

عبد الوهاب مطاوع

أميرق على الورق

الناشر : دار زهور الفكر .

مكتبة المصنفين الإسلامية

جميع حقوق النشر والاقتباس والمعالجة الدرامية محفوظة
للمؤلف .



الغلاف والرسوم الداخلية :
بريشة الفنان : فرج حسن
خطوط الفنان : محمد المغربي





الإهداء

.. إلى روح أبي رحمه الله
.. وإلى روح شقيقي الأصغر رحمه الله .
أهدي كتابي هذا الذي كثيرا ما تمنيت لو أنهما كانا
بجوارى ليقراه مع من سيقراه .

(المؤلف)



هذا الكتاب

هذا الكتاب لم يؤلفه أنا .. وإنما ألفه الزمن ، أعظم المؤلفين ، .
فلقد أتاح لي إشرافى على بريد الأهرام اليومى فى جريدة الأهرام أن أطلع
على تجارب غنية بالخبرة الانسانية نشرت بعضها فى بابى الأسبوعى بالأهرام
« بريد الجمعة » وعلقت عليها وانفعلت بها وعاشت همومها ثم طالبنى قراء
عديدون بأن أجمع هذه القصص فى كتاب يكون فى متناول أيدي القراء
يرجعون اليه كلما ارادوا استلهام تجارب غيرهم والاستفادة بدروسها .
واستجبت لهذه الرغبة . لكننى واجهت مشكلة كبرى فى اختيار القصص
التي يضمها « الكتاب » وبعد تفكير طويل قررت أن اختار أكثرها اقربا
من حدود التجربة الانسانية وأكثرها اثراء لخبرة الانسان بالحياة .. وبالنفس
البشرية .

ومع ذلك فلقد ضاق الكتاب عن استيعاب الكثير من القصص التي
تمت لو استطعت نشرها .. ولا يبقى سوى الأمل فى أن تسع لها كتب
جديدة أصدرها فى المستقبل القريب باذن الله ..
ولقد اخترت لهذا الكتاب عنوانا « أصدقاء على الورق » وهو تعبير
استعملته كثيرا فى كتاباتى فى بريد الجمعة .. ووصفت به العلاقة بين كاتب
يهم بالأم البشر وبين قراء يثقون فيه على غير معرفة ويفتحون له قلوبهم
ويروون له اسرارهم ويسألونه الرأى والمشورة .

فلقد كنا فعلا اصدقاء على الورق .. فشاركنا فى الهموم والمشاكل
والتجارب .. وتقاسمنا معا عبء التجربة ودروسها .. وبكينا معا فى مواقع
البكاء .. وضحكنا معا فى لحظات السعادة .. واحببنا الحياة معا فى لحظات
كثيرة .. وضعنا بها فى لحظات أخرى .. واعتزازا بهذه العلاقة الثمينة .. فلقد

اخترتها عنوانا لكتابي تحية لكل هؤلاء الاصدقاء الذين آثروني بصداقاتهم ومشاعرهم الرقيقة على البعد فبددوا بها وحشتي .. وخففوا من وحدتي الداخلية الكثير فشكرا لهم على ما أولوني من ثقة ومن فضل .

وعذرا لمن حاولت أن اوبسج أجراحهم ففشلت في كثير من الأحيان ومن حاولت أن اشير عليهم بالرأى السديد في مشاكلهم فطاش سهمي في بعض الأحيان .

فلقد قلت مزارا إلى أتعلم من آراء القراء ما لم أكن أعلم وإلى أناسي دائما فيما أبدية من آراء بقول الامام أبي حنيفة : قولنا هذا رأى وهو غاية ما توصلنا إليه في هذا الامر فمن جاءنا بأفضل منه كان أولى بالاتباع منا .. وكثيرا ما جاءني قراء بآراء أفضل مما قلت في هذه المشاكل .. فاتبعتها .. وغنيت لو كنت قد توصلت إليها حين عرضت المشكلة .

وهكذا الحياة مدرسة نتعلم فيها كل يوم ولا نتخرج منها ابدا الا في نهاية العمر ...

عبد الوهاب مطاوع

سألت القس الذى أمضى ١٥ عاما يتلقى الاعترافات ..
ماذا تعلمت من إ confessions البشر ؟
فقال : تعلمت أن الناس أتعس كثيرا مما نظن !

« اندريه مالرو فى مقدمة كتابه »
« لامذكرات »



دائرة الانتقام

أكتب إليك لأرجح صدرى مما يحمله .. وان كنت أشك إننى سوف استريح ولابدأ قصتى من البداية فأقول لك اننى شاب نشأت فى أسرة متوسطة الحال وكانت طفولتى فقيرة لكنها لم تكن حزينة فقد كنت متفوقا طوال دراستى . وكانت نظرة الحسرة فى اعين زملائى الذين انعم الله عليهم بالثراء وهم ينظرون الى تفوق تسعدنى وترضىنى وسارت حياتى هادئة الى ان حصلت على الثانوية العامة والتحقّت بكلية الطب ، وواصلت تفوق ، واثاء دراستى بالكلية تعرفت على زميلة لى وتبادلّت الحب الصادق معها ، واتفقنا على كل شيء ، وكانت تعرف كل ظروفى الاجتماعية وتقديرها ولم يكن الفارق الاجتماعى بيننا كبيرا رغم أن والدها كان موظفا كبيرا فكلمة موظف كبير كما تعلم لامتنى دخلا كبيرا ، وكنت انوى خطبتها فى العام النهائى وتوثقت علاقتنا معا وعلاقة اسرتينا وكانت اجمل ايام حياتى هى الايام التى عشناها معها اثناء الدراسة واقتربت ايام الامتحانات الاخيرة واقترنا من تحقيق الاحلام لكننى بدأت اشعر بتحول غريب فى شخصيتها إذ بدأت مشاعرها تجامى تفتر حتى اصبحت تشيح بوجهها عنى كلما رأتنى واحسست كأن ابواب الجحيم قد فتحت على مصرعها وفى قمة عذائى ذهبت الى مقابلة ابىها وهو رجل فاضل كان يكنى لى حبا وتقديرا لاسأله عما جرى ، فاستقبلنى عجلا وحائرا لايعرف ماذا يقول لى ، ثم ابلغنى ان ابنته قد تقدم لها شاب يكبرها بأثنى عشر عاما حاصل على مؤهل فوق المتوسط قضى فترة طويلة من العمل فى بلاد البترول وجمع مدخرات كافية ، وانه كأب يسعى لصالح ابنته ويعرف اننا مرتبطان ونعزم الزواج قد اعلن هذا الشاب بالرفض حين تقدم له ، لكنه فوجيء بأن ابنته حين علمت بذلك قد ثارت وعاتبته على ذلك بحجة انه كان يجب ان يستشيرها فى ذلك فذهل ابوها واعتقد ان خلافا

قد وقع بيننا وأنا قد تراجعنا عن مشروع الارتباط ، ولما سألها في ذلك نفت وقوع أى خلاف وقالت انها فتاة واقعية وان العريس الجديد قد وعدنا بشقة عمليك بأسمها وسيارة بأسمها وانه قادر على ذلك في حين أن فنى الاحلام الذى هو أنا لن أستطيع كطبيب ناشئ ان احقق لها هذا المستوى الا بعد ان يكون شبابها قد ولّى وذُبلت زهرة عمرها ، ولأعرف حتى الان كيف انتهت الجلسة ولا كيف غادرت منزله . لكنى لم استسلم فسعيت اليها وناقشتها في قرارها فرددت على مسامعى « دررا » جديدة من « الحكمة » التى نلجأ اليها حين نريد أن نقتل مشاعر إنسان وحياته وقلبه ، فقالت لى عبارات كثيرة من نوع أنها ليست مستعدة للصبر ولا لإضاعة عمرها في الكفاح وان الانسان يعيش مرة واحدة وان الزواج فرص وكل شئ قسمة ونصيب .. الخ .

وتجلّت الحقيقة قاسية أمامى .. أنا فقير إذن فأنا غير موجود ، وواجهت الواقع المر .. وظهرت نتيجة الامتحان وكنت كالعادة في مقدمة الخريجين وبدأت حياتى العملية وأنا مسحوق تماما وفي داخلى براكين من الغضب والرغبة في الانتقام من كل الفتيات ومن الواقع الفقير الذى هزمنى في قصة حياتى ، واتاح لى تفوق اختيار المجال الذى أرغب فى التخصص فيه ، وكنت قد بيّنت النية عليه عقب انتهاء فترة الامتياز مباشرة . وبعد فترة قصيرة من العمل فى المستشفى ومن الادخار افتتحت عيادة فى أحد الأحياء ودخلت عيادتى فى اليوم الأول وجلست وراء مكبى وأنا اقول بينى وبين نفسى قد جاءكم من لن يرحم أحداً منكم ومن لن يتردد فى إعصار كل من يدخل اليه ولا عن إمتحان كل مريضة يجد لديها الإستعداد للخطأ ! وتدققت المريضات على عيادتى وبدأت فى « نشر » رقابهن وكانت معظم أعمالى فى دائرة ما يسمى بالعمليات الطبية المحرمة قانونا وأصحابها دائما متعجلون ومستعدون للدفع بسخاء وبدأ المال ينهر فوق رأسى كالطوفان ويبدو أن

المال الحرام كالجراد لا يأتي فرادى وإنما في جحافل كجحافل الجراد ،
 فعيادتي مزدحمة بالمرضى و « أعمالى » تتوسع كل يوم ولم أرحم أحدا ولم
 أعف اية مريضة وجدت لديها ميلا أو استعدادا للبعث وخلال سبع سنوات
 فقط كنت جمعت من المال ما لم يجمعه زملاءى خلال ثلاثين سنة ، فاشتريت
 الشقة وأنتهت بأثاث فاخر واشتريت السيارة وأصبحت عيادتى أشهر عيادة
 فى الحى كله والتحققت بأكبر الاندية الاجتماعية من باب النظرة فقط لأنى
 لا أجد وقتا للذهاب الى أى مكان سوى إلى « المجرة » التى أجزى فيها
 عمليانى ، وفى احدى الليالى وكان المرضى قد إنصرفوا وأنا فى مكتبى أخصى
 النقود المكوّمة أمامى من إيراد اليوم فوجئت بها تطرق الباب وتدخل على ..
 إنها خطيبتى السابقة التى حوّلتنى الى هذا الوحش وقد جاءت لتقول لى كلاما
 بلا معنى .. من أن الله قد انتقم لك منى ، واننى غير سعيدة مع زوجى
 وأنه وحش وتريدنى أن أساعدها فى الطلاق منه لتعود الى وتزوج ونفّوض
 ما فاتنا من سعادة ، سمعت كلماتها ولم أشعر بأى عاطفة نحوها .. ولا بأى
 إشفاق عليها ، وانما شعرت بتشفّ غريب فيها وبشماتة عجيبة فيها .. وظللت
 صامتا الى أن أنهت كلامها ، ثم وجدتنى فجأة انتفض واقفاً وأتجه اليها ثم
 أجذبها من ملابسها وأدفعها فى إتجاه الباب فخرجت مهرولة ودموعها
 تساقطت وعدت الى مكتبى وصدرى يعلو ويهبط ومشاعرى ملتهبة ثم انفجرت
 فى البكاء ربما للمرة الاولى فى حياتى ، ولا تتصور أئنى بكيت من أجلها ،
 فلقد بكيت حزنا على نفسى وعلى ما ترديت اليه ووجدت صورة أبى تقفز
 الى مخيلتى وسمعت صوته يرن فى اذنى كأنه يقول لى أهذا ما علمتك اياه
 من قيم وفضائل .. أهذا ما حرمت نفسى من أجله لتعليمك وتربيتك لكى
 تسعد الآخرين ؟

فخرجت من العيادة المملونة مندفعاً وركبت سيارتى وجريت بها فى
 الشوارع بلا هدف وفى الصباح أغلقت العيادة وأبلغت المرضى انى سأحصل

على اجازة طويلة وأمضيت عدة ايام غير قادر على عمل أى شئ ثم ركبته الطائرة وسافرت الى الخارج لمدة شهر ، راجعت نفسى خلاله وعدت عاقد العزم على أن أبدأ حياة جديدة ومن المطار عدت الى شقة الاسرة الصغير التى تعيش فيها أمى مع اصغر اخوتى بعد ان رفضت ان تعيش معى فى شقتى الفاخرة كأنها كانت تحس بقلب الام انها مشتراة من مال حرام رغم ان اخوتى لم يجرؤوا على إبلاغها بما وصلت اليه وجلست الى جوارها وهى تصل وتدعوى الله أن يفرج كُرْبى وأن يذهب عني الضيق الذى احس به وبعد أيام عدت الى عملى بالمستشفى الحكومى الذى لم أذهب اليه طوال ٧ سنوات إلا خطفاً وكنت أحصل على مرتبى منه بلا عمل وأتصيد الزبائر منه لعيادتى حيث « أذبحهم » فيها وأصبحت اصحو كل صباح مبكراً فأذهب الى المستشفى فأعمل وانا مستريح الضمير وأعود الى بيت امى فى الظهيرة مستريحاً فأمضى الوقت مع امى ومع أخوتى الذين انصرفت عنهم طوال السنوات السبع الرهية .

ومنذ ذلك الحين لم أفتح أبواب العيادة بل ولم أمر من الشارع الذى تقع فيه . والآن يعلم الله صدق توبتى ورغبى فى أن أعود كما كنت إنساناً نظيفاً طاهراً وقد بدأت اشعر بطعم اللقمة الحلال ويطعم النوم الهادئ اه هى « معذبتى » فلم أعد قادراً حتى على كراهيتها وإنما أصبحت اطلب له المغفرة لما سبته من الام للجميع . والآن يا صديقى يؤرقنى شئ واحد هو ماذا أصنع بهذه التلال من الاموال المغموسة فى الحرام التى جمعتها من دماء مرضاى .. لقد حزمت أمرى فيما يتعلق بالعمل لكنى لم أحزم أمرى بما فيما الفعل بعائد هذا العمل المحرم فهل تستطيع أن تشير على بالرأى الصواب وهل ترى أن الله سبحانه وتعالى سوف يقبل توبتى ؟ .



ولكاتب هذه الرسالة أقول : اننى أشكرك يا صديقى على حرصك على ان تضع تجربتك الفريدة هذه امام قراء بريد الجمعة لنستفيد جميعا من درس التجربة المبررة التى عانيتا ، وخير التجارب ما نتعلم منه أن المال الحرام لا يحقق السعادة كما يتصور البلهاء ، وان الطريق الخاطيء لا يقود الا الى العاسة والهلاك .

لقد مررت بتجربة أليمة يا صديقى وقد شاءت الأقدار أن تنجو سريعا من المستقع الذى سقطت فيه وأن تعود إلى نفسك وان تستشعر عذاب الضمير لذلك فأننى لا أتوقع لك أن تعود مرة أخرى إلى الطريق الخاطيء لأن معدنك أصيل رغم كل شيء ولأنك تعلمت الدرس الثمين من التجربة القاسية والمثل الانجليزى يقول « تجربة آلتى تجربة علمتى » ولقد تعلمت خلال فترة قصيرة ما لم يتعلمه من أفنوا العمر يجمعون المال الحرام بلا أدنى احساس بوخر الضمير ومن لا يفيقون عادة إلا على الصدمات المزلزلة وقد لا يفيقون حتى يوارىهم التراب فانت اذن يا صديقى صاحب قلب حكيم وإنى لأستشعر صدق رغبتك فى التطهر مما إقترفت يداك تحت تأثير الخنة التى عشتها ، وحكمة التوبة أنها تفتح الباب أمام الخاطئين فى أى وقت للرجوع عن الخطيئة ، ولو أغلق الله جل شأنه باب التوبة فى وجوه الخاطئين ما وجد خاطئى دافعا لكف الأذى عن الآخرين والتوقف عن غيه مادام سوف يؤخذ بمجريرته الى الأبد ولا أمل فى المغفرة فلا تشك أبدا فى أن الله سوف يتقبل توبتك وأنه سوف يقود خطاك إلى الطريق المستقيم .

أما أموالك المغموسة فى الحرام .. فلعل أهل الذكر يشيرون على عليك بما تفعله بها .. ولكنى قد أتصور مبدئيا أن خير ما تفعله بها هو أن تهب معظمها لشراء أجهزة طبية غالية الثمن كأجهزة غسيل الكلى أو أجهزة رسم القلب وما أشبه والتى يستفيد منها المرضى الفقراء وأن تبرع بهذه الاجهزة للمستشفيات العامة .. فتحول ما كسبته خلال سنوات الضياع الى عمل نافع

يخفف عن الآخرين ألامهم ويجري عليك حسنة جارية تذهب السيئات
 وتبشرك بأجر عظيم ، كما أتصور ايضا أن عليك ان تسقط من حياتك هذه
 السنوات اللعينة وأن تبدأ حياة جديدة سوف يوفقك الله فيها الى من
 تستحقك وقد أحسنت صنعا حين طردت فتاة « الأحلام المنهارة » من حياتك
 الى الأبد فهي فتاة انتهازية بطبيعتها وهي حين عادت اليك لم تعد اليك
 مدفوعة بحبها القديم وحده وانما بما سمحه عن نجاحك و ثرائك فيها أتصور
 فأرادت كمادتها في الحصول على الاشياء الجاهزة بلا كفاح ان تحصل على
 المال والنجاح وفي الاحلام القديم . ولم يكن عدلا أن تعطيا الدنيا كل شيء
 ولم يكن عدلا أن تقبل أنت بقاياها بعد أن باعت الحب والاحلام بالشفقة
 والسيارة بمحبة الواقعية المزعومة ، وهي في الحقيقة ليست واقعية لكنها
 عزوف عن الكفاح ورغبة في الاستسهال وجري وراء المال بلا مشاعر ولا
 أحاسيس .. وهذه كلها بكل أسف من امراض العصر .

فوق السحاب

قد لا تهم مشكلتي أحدا .. وبالرغم من ذلك فإني أحس بالرغبة في أن أرويا لاحد .. لاني في حاجة الى مشاركة وجدانية ولو على البعد .

قصتي يا سيدى تبدأ منذ حوالى سنة حين دعيت لحضور زفاف لإحدى صديقاتي فعرفت في حفل الزفاف على شاب وسيم رقيق عرفت فيما بعد أنه ابن عم العروسة .. جاءت جلستى معه على نفس المائدة فعارفنا وتبادلنا الحديث ومضت أسابيع قليلة بعدها لم أره أو التقى به خلالها ثم فوجئت به بتقديم خطبتي فوافقت .. فلقد كان كما يقولون عريسا لقطة .. شاب هادئ .. مؤدب « وعريق » ماديا واجتماعيا ورحبت به أسرتى ، وكان طلبه الوحيد من اسرتى هو إتمام الزواج خلال شهر واحد فقط من يوم تقدمه لخطبتي وخلال شهر الاعداد للزواج التحرت منه جدا وبصراحة وقعت في غرامه بطريقة عذبة فلقد كان الرجل الأول والاخير في حياتى .. وكان كل شيء يمضى على ما يرام خلال فترة الإستعداد للزواج .. ماعدا إصراره على الزواج بسرعة رهية .. بلا سبب مفهوم حتى لقد دهشت والدته من هذه السرعة وتعجبت من رغبته في عدم انتظار عودة شقيقته التى أتمت دراستها في الخارج وعلى وشك الوصول لتحضر زفافه .. وهى كما يقولون نوعم روحه وسره .. وحبه الكبير ، المهم تم الزواج بغير انتظار شقيقته وبدأنا شهر العسل وكان سعيدا جدا وكنت طائرة فوق السحاب .. إلى درجة أننى التفت الى عبارة كان يرددتها باستمرار خلال ايام العسل هى « ربنا عوضنى بيكى » ولم أتوقف لأسأل نفسى عوضه عن ماذا إنه شاب لديه كل شيء في الدنيا فما هو التعويض في حياته .

المهم قطعنا شهر العسل بعد ٣ اسابيع لنستقبل شقيقته العائدة من الخارج .. واكتشفت في المطار انها كانت صديقة لى في الدراسة وسعدت بها جدا .. ومضى أسبوع آخر وأنا أستغرق يوما بعد يوم في حب زوجى حتى اصبحت أشعر به تحت جلدى وفى عروقي ، فمشاعرى تهتز حين أنطق باسمه .. وقلبي يرتجف حين اراه وانتهى العسل وعاد زوجى الى عمله وفى اول يوم دخل فيه مكتبه معللا بأن لديه عملا ورجائى ان انام واتركه فتركه وذهبت الى فراشى وبعد ساعة نهضت لأطمئن عليه فوجدت نور غرفة المكتب مطفأ .. ووجدت زوجى جالسا فى الشرفة ساهما والدموع تنساب من عينيه . فزعت وحاولت أن اعرف منه ماذا جرى فرفض ورجائى ان اتركه فتركه ومن هذا اليوم يا سيدى لم يعد زوجى .. هو نفس زوجى الذى عرفته وأحبته فلقد انصرف عني تماما ولم يعد ينظر إلى أبدا ولا يتحدث معى إلا بالكلمات الضرورية .. يذهب الى عمله فى الصباح ويعود فى المساء الى غرفة مكتبه ليجلس مع حزنه المستمر وإذا جمعنا مكان او جلسة عائلية انتحى جانبا باحد الحاضرين واستغرق معه فى حديث طويل لا اسمعه وسألته ان كان غاضبا منى فأنكر .. ثم لاحظت أنه ينتحى بشقيقته ويتحدثان حديثا هاما طويلا فسألت شقيقته فلم تقل لى سوى عبارة .. خليك معاه ، فضغطت عليها .. وقلت لها إننى فى طريقى للجنون ففسرى لى ما حدث لزوجى فنظرت إلى باشفاق ثم قالت سأروى لك كل شئ . وروت لى ما لم اتوقعه قالت لى إن زوجى كان مرتبطا عاطفيا لسنوات .. بفتاة أحبها بصدق واحبه واتفقا على الزواج .. لكنها فجأة تزوجت بغيره وتصور أنها قد غدرت به وبجبه فتزوجنى على وجه السرعة لينساها ووجه كل اهتمامه الى وسعد بى إلى أن انتهى شهر العسل وذهب الى مكتبه فى اليوم الأول فاتصلت به احدى صديقاتها لتقول له إن أهل فثاته قد زوجها رغما عنها وإنها عجزت عن المقاومة فاستسلمت ثم سافرت إلى الخارج فى شهر العسل

وعادت لتجديك متزوجا .. ولم تتحمل فانتحرت وكان طلبها الأخير أن تخبر صديقتها زوجي أنها لم تغدر به سمعت ما قاله لي شقيقة زوجي وانهرت .. لهذا إذن كان يتعجل الزواج ؟ .. لهذا اختارني . بكيت طويلا ثم استجمعت نفسي وأدركت أنني اخوض معركة لاسترجاع زوجي .. وقلت إنني ساحارب لإنقاذه وإنقاذ بيتي وسعادتي .. وفعلت المستحيل لاستيعده واخرجه من حزنه ووحدته وانصرافه عني سألت عنها ورأيت صورتها وعرفت عنها كل شيء .. وحاولت ان أكون مثلها في كل شيء في تسريحة شعرها في طريقة لبسها .. وطريقة كلامها .. وعاداتها وفي كل شيء .. ففشلت .. واستمر حزينا وحيدا . وحاولت ان أكون عكسها في كل شيء لعل اعجبه .. ففشلت ايضا واستمر وحيدا وواجهته ذات يوم بما عرفت وقلت له ان ما حدث ليس خطأه ولا خطئي .. وإني مستعدة لان اعيش تحت قدميه من أجل أن تعود اليه ابتسامته .. فنظر إلي بعطف ثم مد يده ليربت على خدي . وكانت المرة الأولى التي يلمسني فيها منذ ٥ شهور .. ثم قال لي « اشكرك يا » وكانت المصيبة أنه نطق باسمها هي لا بأسمى انا وزوجه وحين بكيت اعتذر لي أسفا بأنه لم يقصد ايلامي .. لكنها فلتة لسان ومازلت أعالي هذا العذاب كل يوم .. أحيانا أريد ان أواصل الكفاح معه وأحيانا أخرى اشعر ألا فائدة هناك ولا بد من الانسحاب بهدوء ..

ان شقيقته ترجوني ألا أتركه .. وأن أستمروا في المحاولة وان انجب طفلا لكي يربط بيني وبينه ويرجوني قلبي كذلك أن أستمروا وأن أحاول .. لكن عقلي يكاد ينفجر مما أراه من فشل معه .. فهل ستجدي محاولاتي .. وهل أخطأت ؟ .



.. وأقول لكاتبه هذه الرسالة : لا يا سيدتى لم تخطئى فيما حدث ولا ذنب لك فيه .. لكنها أقدار مأساوية اختارتك بمحض الصدفة لتكونى البطلة المعذبة فى هذه القصة الغريبة التى كدت اشك فى أنها قصة منقولة عن أحد الأفلام القديمة لولا أننى أحسست بصدق مشاعرك وبصدق كلماتك وانت تروين قصوها وتروين عذابك معها .. وإن كنت لا أفهم سر هذه المأساة التى حالت بين زوجك العريق ماديا واجتماعيا كما تقولين وبين الزواج من فتاته .. فقصتك كلها تجرى فى وسط لا يحول فيها اهل بين فتاة ومن تريده كزوج .. بلا سبب هكذا .. إلا إذا كنت قد أغفلت السبب عن عمد .. على اية حال فإننى لا ألومك على ما حدث إلا فى نقطة واحدة هى الزواج السريع الطائر الذى تم خلال شهر واحد من يوم التقدم للخطبة إلى الزفاف وانت لا تعرفين شيئا تقريبا عن زوجك الجديد ، وكانت النتيجة أن اكتشفت انك الوحيدة التى لا تعرف قصته .. كذلك فأنى قد ألومك وان كنت افهم دوافعك واقدرها على محاولائك لأن تستعيدى الزوج الغائب بمحاولة أن تكونى مثلها فى كل شيء أو عكسها فى كل شيء .. فهذه المحاولة وان كانت نابعة عن اخلاصك وحبك لزوجك إلا أنها ليست الطريق السليم لاستعادته .. فكونى نفسك يا سيدتى . ولا تكونى غير نفسك مهما حدث فهو ان استجمع نفسه من محنته وهى محنة حقيقية بكل اسف فلا بد أن يقبلك كما أنت لا كما يتصورك ، بل إنها إهانة لك أن يريدك صورة باهتة لأحد غيرك .. فاصبرى عليه واستمرى فى محاولائك وسوف تنجح محاولائك فى النهاية فمن نعم الله على الإنسان أنه انعم عليه بالنسيان يداوى به جروحه والامه .. وهو سوف ينسى ما حدث بعد حين .. وسيعود إليك لكى فقط أنصحك بتأجيل الانجاب إلى أن تستعيديه تماما وتؤكدى من شفائه مما حدث .. فقفى بجواره فهو يحتاج إليك .. وأنت كما فهمت من رسالتك متمسكة به وراغبة فيه باخلاص وقلبك كما تقولين يرجوك ان تستمرى ، فاستجيبى لندائه .. وأعطى عقلك أجازة قصيرة إلى أن تستعيدى زوجك من غيبته .. وسوف تتصرين فى النهاية بإذن الله .

انتصار الحياة

[أنا يا سيدى صاحبة القصة أو المأساة التى نشرتها منذ ٩ شهور واخترت لها عنوانا معبرا هو « فوق السحاب » وباختصار شديد فألى أكتب لك لآخبرك أن ما توقعه قد حدث وإننى انتصرت كما توقعت لى رغم اننى لم أكن أتوقع ذلك ولم أكن أشاركك تفاؤلك فلقد عملت بما نصحتنى به تماما ، فصيرت على زوجى ، وواصلت محاولاتى معه وكففت عن أن أكون أية إنسانه غيرى وغير نفسى وشخصيتى وأنا أكتب لك قصة نجاحى لأنها قصة نجاح أخرى لبريدك .. فقد بدأت بأن وضعت اعصابى فى ثلاثة وانتهت ثورأتى تماما ، وعدت رقيقة هادئة كما كنت مع زوجى قبل المأساة ، حتى إنه بدأ ينظر إلى باندهاش من تغرى ، ثم بدأت شيئا فشيئا فى التسلل إليه والحديث معه عن أى شيء ... لكننى كنت أحرص فى النهاية على أن يصل الحديث إلى مأساة غريمتى ... وشيئا فشيئا بدأت انزلها من مرتبة الآلهة التى وضعها فيها زوجى إلى مرتبة البشر بحسناتهم ونواقصهم حتى إذا ما وصل زوجى معى إلى هذه المرحلة بدأت فى اقناعه ببطء بأن الإنسان مخير فى تصرفاته وأن كل ما يفعله إنما يفعله باختياره لكن القدر فى النهاية هو الذى يضع لمساته الاخيرة على لوحة الحياة ، فالمستول عن زواج غريمتى وانتحارها فى النهاية هى نفسها وليس أى أحد غيرها ، والمستول عن زواجه منى هو وليس أحدا غيره ، وبعد كل مناقشة هادئة من هذا النوع كنت أتركه وانسحب إلى غرفتى وأتركه يفكر بهدوء فى كلماتى ، وكنت حريصة على ألا أفرض عليه نفسى فى أى وقت أحس فيه انه يحتاج الى ان يكون وحيدا مع نفسه ومع ذكرياته ، وإلى جانب ذلك كنت أحدثه عن عمله ، ولا أكف عن الصخب والمرح معه والخروج بصحبته كلما وجدت لديه استعدادا .

والحمد لله كنت أنجح في أن أرى الضحكة تير وجهه الجميل الذي أعشقه
 بصدق ومع الأيام بدأت نفسي عهداً ... لكن زوجي لم يعد إلى رغم ذلك
 حتى أوشكت أن أياس مرة أخرى وعاد الشك الى نفسي مرة أخرى ،
 وبدأت قدرتي في الضغط على أعصابي تتراجع ... وذات يوم طلب مني ان
 أذهب للبقاء مع والدته طوال النهار لأنها تحتاج إلى رعاية ولأن شقيقته
 مشغولة بالخارج فذهبت ، وفي المساء جاء فاصطحب والدته واصطحبني معه
 إلى بيتا فدخلت الشقة لأجد مفاجأة عمرى . وجدت كل اصدقائنا وشقيقته
 في شقتي ... وأزهارا وشموعا وتورته ... إنه عيد ميلادى .. يا إلهي ! إنه
 يتذكر عيد ميلادى ويقيم حفلا من أجل .. وقد أعد الحفل خلال غيابي ...
 وقفت والدموع في عيني لا أصدق نفسي أنه يتذكر عيد ميلادى ... إنه
 يعود إلى بعد كفاح استمر أكثر من عشرة شهور لقد أراد الله لي النجاح
 في النهاية لأتلى أخلصت في محاولاتي لاسترجاعه ... لقد انتحي بي جانبا وقال
 إنه يعترف بفضل وإنه يعرف الآن ان كل ذرة في قلبه وعقله تحبني ... لقد
 بكيت طويلا والأصدقاء من حولنا يصخبون .

لم أسعد في حياتي مثلما سعدت في هذه الليلة ... إن للانتصار نشوة
 عظيمة ... إن العواطف تستطيع في النهاية مع شيء من العقل أن تنصر ...
 وما أحلى انتصاري ... لقد كتبت لك لأن من حقلك أن تعلم بسعادتي كما
 علمت من قبل بشقائي ... فهنيئا لي بزواجي بعد الغياب الطويل وهنيئا لك
 بدعواتي على نصيحتك المخلصة لي .



ولكتابة هذه الرسالة اقول :

وهيئا لزوجك أيضا ... زوجته الحبة المتفانية « المكافحة » بصبر وإخلاص لاستعادته .

لقد كافحت يا سيدتي كفاحا مجيدا للدفاع عن حياتك وعن سعادتك ومن حقت أن تجني ثمار العناء والشقاء والعذاب الطويل وأن تسعدى بها ومن واجب زوجك أن يقدر لك هذه التضحية وأن يشكر الله كثيرا أن وهبه هذه الزوجة المتفانية المتمسكة به رغم طول « السفر » بروحه ومشاعره بعيدا عنها . لقد انتصرت الحياة في قصتك في النهاية على أشباح الماضي ... ولا بد أن تنصر الحياة لأن الحياة أقوى دائما من الأشباح ، ولأن مثل هذه الإرادة الصلبة لا بد أن تحقق ما تهدف إليه . إنني اشكرك على حرصك على إبلاغي بسعادتك كما سبق أن ابلغتني بتعاستك ، ولا شك أن رسالتك هذه سوف تسعد من تعاطفوا معك في البداية وسوف تقنع أخريات بأن يواصلن الكفاح لاستعادة « المسافرين » بالروح والوجدان بعيدا عنهن ... وهذه هي أهمية التجربة الانسانية التي تطلعنا عليها بعض رسائل البريد ... فرسالتك تثبت لفكري أن للأمل بقية وأنه لا يأس مع الحياة ، وأنه بالصبر والإخلاص قد يعود الغائب ذات يوم إلى عشه فشكرا لك وغمناقي لك بعمر طويل من السعادة إن شاء الله .

الاختيار

بعض الرسائل تشل قدرة الانسان على التفكير ومنها في رأى هذه الرسالة : « انا سيدة عمرى ٢٨ سنة .. أعمل طبية إخصائية للأمراض الجلدية نشأت في أسرة ثرية معروفة وعشت حياة طبيعية ، وفي ذات يوم عرض على شاب مريض بمرض جلدى بسيط فعالجته منه وخلال فترة العلاج تعرفت به وأحببني وأحببته ثم تقدم للزواج مني ووافقت أسرتي بعد معارضة وزففت إليه .

وهذا الشاب محام معروف ناجح بدأ حياته في ظروف مأسوية فقد تربي في ملجأ وحصل على الثانوية العامة ثم التحق بالجامعة وكان يعمل لينفق على تعليمه ، ثم نجح في عمله وكسب مالا كثيرا وتزوج من سيدة لم يوفق معها ثم صدم في اخلاصها له فطلقها ، وقال لي إنه تقدم لفتيات كثيرات رفضه لأن شكله غير مقبول ووجهه غير وسيم . وبالمناسبة فأنا على قدر كبير من الجمال والذكاء وقد تزوجت هذا الشاب وأحببته كثيرا وعشت معه حياة سعيدة كل السعادة ووجدت لديه الحنان والعطف والطيبة وقد أرادني أن أكون ملكة في بيته وأن يحضر لي الشغالات فرفضت لاني اريد ان اخدمه بنفسى .. وفعلا خدمته وأصبحت له زوجة وسكرتيرة .. أرتب مواعيده وأكتب له المذكرات وأختار ملابسه .. وبعد عامين من الزواج تأكدت من خلال الفحص الطبي الذى أجراه على نفسه أنه غير قادر على الإنجاب ، فعرض على ان تنبنى طفلا من أحد الملاجيء لكى لا أشعر بنقص الأطفال في حياتي فرفضت وقلت له إنه يكفيني أن أكون بجوارك .. وأن أكرس حياتي لك فطلب مني أن أستقيل من عملي لأنه لا يحب أن يرانى مرهقة وموزعة بين العمل والبيت ، فاستقلت فعلا وتفرغت نهائيا له وحياتي

السعيدة ، ومضى العام الثالث من زواجنا وسافرنا الى الاسكندرية للاحتفال بعيد الزواج ، وفي رحلة العودة اصطدم لورى كبير بسيارتنا ، فأصيب زوجي بكسر في ذراعه وبجروح بسيطة ، أما أنا فقد أصبت بفقد البصر وأجريت ٤ جراحات لاستعادته فشلت كلها لكنني لم أياس من رحمة الله وسأجرى جراحة أخرى يوم ٢٥ نسبة نجاحها تزيد على ٩٥ ٪ وأمل كبير في الله أن أسترده بصرى . تسألني بالطبع كيف كتبت لك هذه الرسالة وأنا عمياء . لا بأس ، إلى أمل رسالتي هذه على شغالي وأمانة سرى التي تربت معي في بيت أبى وحين أصبت بفقد البصر أصر أبى على أن تصاحبني لتخدمنى . ومضت الحياة بعد ذلك ولم يتغير شيء فأنا باقية على حبي لزوجي وأتفانى في خدمته حتى مع ظروف الجديدة ، وهو أيضا باق على حبه وإخلاصه لى وتفانيه في إسعادى بل إنه أصبح أيضا عيني التي أرى بها الدنيا . لكنني فجأة لاحظت منذ حوالى شهرين أنه قد أصبح كثير السفر والمبيت خارج البيت ، إنه محام مشهور يترافع في قضايا عديدة في محافظات مختلفة ويسافر كثيرا .. لكنني رغم ذلك لاحظت أن نوبات سفره قد زادت وبالذات الى الاسكندرية وفي إحدى المرات غاب هناك أسبوعا كاملا كان يتصل بى خلاله كل يوم بالتليفون ويعدنى بالحضور كل يوم ثم حضر أخيرا متعللا بأن القضية كانت مرهقة وطالت جلساتها . ولم أعترض وفي الصباح غادر البيت إلى مكتبه ، وقالت لى أمانة سرى إن بدلة زوجي تحتاج الى تنظيف فطلبت منها إخراج محتوياتها قبل إرسالها للمكوى ففعلت . فإذا بها تجد بين أشياءه قسيمة زواج حديثة من سيدة بالاسكندرية . لم أصدق اذنى فطلبت منها أن تقرأها مرة ثانية وثالثة ورابعة وحين انتهت من قراءتها للمرة الخامسة كنت قد غبت عن الوعي . لماذا يا ربي ؟ .. لأننى عمياء ؟ أن عمای مؤقت كما يقول الأطباء ... ثم ما معنى هذا ؟ ان تصرفاته معى تقول لى إنه مازال يحبني ويغمرني بعطفه وحنانه فلماذا يتزوج غيرى ؟ وماذا افعل الآن إننى لم أفتحه بعد بأنى قد عرفت نبأ زواجه ولم أفتاح أهل به ولو

فعلت لسعوا لتطليقي منه على الفور .. وأنا الآن حائرة لا أعرف ماذا أفعل ؟
 فإني إذا أبلغت أهلي بالنابأ وطلقوني منه ثم أجريت الجراحة ونجحت واستعدت
 بصري فإني سأندم طوال حياتي على اني طلقت منه ، وإذا فشلت العملية
 فإني لن اندم على عدم إبلاغ أهلي لاني في هذه الحالة سأظل عمياء ولن
 أستطيع خدمته كما كنت أفعل في سنواتنا الاولى . وان كنت سأزداد ارتباطا
 به لأنه عيني التي أرى بها . ماذا أفعل .. أرجوك أن تحييني قبل موعد
 الجراحة يوم ٢٥ الحالي ..



.. هذه هي رسالة الزوجة المذبذبة التي تلقيتها .. والتي عنيها حين قلت
 ان بعض الرسائل تشل قدرة الانسان على التفكير ، فالحق يا سيدتي أنى لا
 أريد أن أغامر بإبداء رأى حاسم فى مشكلتك وأفضل أن أستعين بعقول
 القراء لتشاركنى مهمة التفكير الصعبة فى النصيحة المناسبة لك . فمشكلتك
 صعبة بالفعل وأنت تواجهين فيها اختيارا مريرا بين الرضا بحياتك الحالية وبما
 تقدمه لك من بعض العزاء .. وبين هدم المعبد من أساسه والبدء من جديد
 فى ظروف قد لا تكون مواتية . أنت تواجهين الاختيار بين الرضا بنصف
 زوج ونصف الحنان والحب وبين الوحدة والفقدان الرفيق الذى تميلين إليه ،
 وعليك وحدك أن تختارى ، ولو تركت لنفسى العنان لقلت إنى احسن من
 كلمات رسالتك أنك متمسكة به رغم كل شيء وراغبة فيه وفى إستمرار
 الحياة معه . ولقلت لك إن ظروفك الأخيرة ليست فى رأى الدافع الأساسى
 وراء نزوة زوجك ومغامرته الحمقاء .. ذلك إن بعض الرجال يرفضون أن
 يصدقوا أنهم المسئولون عن عدم الانجاب رغم نتائج الفحوص ويسعون سرا
 لتجربة حظوظهم مع أخريات لإقناع أنفسهم بأنهم قادرون على ما حرمتهم
 الطبيعة منه ، أعتقد أن هذا هو سبب مغامرة زوجك وليس فقدك للبصر
 لأنه مؤقت .. وأنت تتظرين جراحة نسبة نجاحها عالية .. ولم يمض وقت

طويل على تعرضك للمحنة بحيث يأس زوجك ويحاول تعويض نفسه عما فقد ، وحتى لو كان فقدك للرؤية دائما .. أيكفى هذا وحده للانصراف عنك .

إننا نعرف نماذج عديدة ناجحة لزواج موفق سعيد بين أزواج وزوجات حرمهم الله نعمة البصر لذلك فإن هذا السبب لا يكفى وحده في رأيي للانصراف عن زوجة محبة مخلصه مثلك . ثم ألم يفكر زوجك ماذا كان من الممكن أن يحدث لو أصيب هو في هذا الحادث بفقد البصر وأصبحت أنت بالجروح البسيطة ؟ .

أكنت تتخلين عنه بهذه السرعة ؟ أشك في ذلك كثيرا .. لأن المرأة السوية أكثر عادة رضا بقضاء الله من بعض الرجال الجاحدين ، أنني لا أريد أن أواصل الحديث معك لكي لا أنجرف الى إبداء رأي محدد قد يكون جائرا لكنني سأنقل إليك ما أتلقاه من آراء قراء البريد^(١) ، وإلى اللقاء .

(١) رجعت معظم آراء القراء انفصال الزوجة عن زوجها لعدم وفائه وذلك بنسبة

٦٥٪ من الآراء .

الزهور .. السوداء

لم اتردد في الكتابة اليك لاننى أشعر بحاجتى الى صديق ابته همومى في زمن عز فيه الاصدقاء .. وعز فيه من يمكن أن يعطيك اذنيه لسمع همومك .. ولابدأ من البداية البعيدة فأقول لك يا سيدى اننى شاب في اوائل الثلاثينات أحمل مؤهلا فوق المتوسط .. وقد نشأت في أسرة متوسطة من ابوين كريمين وبدأت حياتى العملية بعد تخرجى من المعهد في وظيفة بالقطاع العام ، ومضت الايام هادئة الى ان اكتشفت اننى قد بلغت السادسة والعشرين وآن لى ان ارتبط بالإنسانه أبنى معها عش حياتى فوجدتها في شخص قريبة لزميل لى في العمل . تعرفت اليها ودخلت المنزل من الباب وتمت الخطوبة ، وحصلت على اجازة بدون مرتب وسافرت للعمل في الدول العربية لاجع ما يكفى للحصول على شقة وتأثيث عش الزوجية واخربت يا سيدى وذقت طعم الغربة من أجل غرض محدد هو المال . ولا استطيع ان أصف لك مالمقته خلال رحلة غربتى من عناء وهوان ومشقة وكبت نفسى واجتماعى لكننى رغم ذلك تحملت وشقيت وعملت مضاعفا في اسوأ الظروف فكنت اعمل دائما في الصحراء وفي الجبال وفي سبيل حافز مادى اكبر ، وعملت اكثر من وردية عمل في اليوم الواحد ، وعملت في نوبات العمل خلال الليل لاحصل على نقود اكثر ، وحرمت نفسى من كل شئ عدا ما يقيم اودى من الطعام ، لاوفر ما احتاج اليه من مقدم للشقة ومن كإليات لها ، ورغم ذلك فلقد كنت سعيدا لاننى اشقى من اجل هدف سعادتى مع الانسانه التى اخترتها .

ومرت الايام ثقيلة بطيئة لا يعرف ثقلها الا من على الغربة والوحشة .. يكفى أن اقول لك اننى كنت أخط خطأ على حائط غرفة نومى كلما طلع

النهار سعيداً بإنقضاء يوم من أيام عذابى سوف يُقربنى من تحقيق حلمى وكلما اكملت ٧ خطوط شطبت عليها سعيداً بإنقضاء اسبوع واقتراب جمع الشمل وكلما تجمع لدى مبلغ من المال حوَّله الى مصر حتى استطعت خلال ٤ سنوات إستجار الشقة وتأثيثها بكل الكماليات ، وجاء يوم العودة وعدت الى مصر طائراً على جناح السعادة ، وبعد أسابيع من عودتى تم الزفاف ودخلتُ عش الاحلام الذى بنيت طوبة طوبة بشقائى وإغترائى لكنى أحسست بعد أيام من بدء حياتى الجديدة بشيء غامض فى جوّها لا اعرف كنهه . أحسست بان جوّاً من الفتور يخيّم على عش الاحلام وبدأت أحس باننى غريب فى بيتى . وأن فاة احلامى ليست على ما يرام معى لكنى لا اعرف السبب . وقلت لنفسى لعلها الغربة الطويلة التى باعدت بيننا ولعل الأيام تتكفل بإذابة الجليد لكن الأيام حملت لى بعد ذلك اكثر من تطور هام فبعد الزفاف بإسبوع أحضرت زوجى سريراً سفرياً وضعته فى غرفة الصالون وأصبحت تقضى معظم وقتها وحيدة فيه ، وصُدمت صدمة هائلة .. لكنى لم افقد الامل فى تغير الاحوال بعد ان تخلق العشرة الروابط العميقة بيننا ، وكسّمت الامى .. وواصلت الحياة فى صبر ، وعدت للعمل بعد الاجازة آملاً ان يخفف عنى العمل ما أعانيه .

وسألت أهل الخبرة من زملائى .. فقالوا ان هذه هى أحوال بعض الفتيات الصغيرات فى بداية حياتهن الزوجية .. حيث تتغير حياتهن فجأة ويجدن أنفسهن بعدات عن الامل وبيت الامل الذى نشأت فيه ، وان الفتاة تألف بعد قليل حياتها الجديدة وتمسك بها ، وأنه من المفيد فى هذه الحالة بعض اللمسات الرومانسية البسيطة كهدية صغيرة أو باقة زهور .. مع كلمات رقيقة او فسحة فى الخارج ، واسمح لى ان اقول لك اننى حتى هذه اللحظة لم اكن قد اشتريت فى حياتى باقة زهور ولا اعرف عنها شيئاً لكنى سألت فدلنى زميل على محل قريب ونصحنى بشراء زجاجة عطر وتقديمها

مع الزهور ففعلت ودُحِحت في الشوارع حتى وجدت سيارة تاكسي للعودة الى البيت لكيلا تتمزق الزهور في الاوتوبيس ، وعدت حاملا الزهور ولفة الهدية مترقا أثر المفاجأة على وجهها الحزين وفحت باب الشقة متوثبا ففوجئت بمنظر مازال محفورا حتى الان في ذهني فوجئت بالشقة خالية تماما من كل شيء .. من زوجتي التي اغتربت من اجلها ٤ سنوات ، ومن الأثاث ومن السجاد ومن الستائر .. ومن التليفزيون ومن كل الكماليات ، دُزرت في غرف الشقة كالجنون فوجدتها خالية تماما .. ليس فيها سوى البلاط وبعض ثيابي ملقاة على الأرض .

آه .. انني لا اريد ان اذكر هذه اللحظات القاتلة .. لكنها تتسلل الى رغما عني .. فاتذكر منظري وانا اطوف بالغرف الخالية مذهولا ثم وانا اتقع نفسي بان ما حدث ليس حقيقة واحاول ان اجد شيئا استند اليه لكيلا اسقط على الأرض فلا أجد سوى كومة ملابس فاجلس فوقها .. واضع رأسي على يدي حتى تجف دموعي .. ثم انهض لواجه الامر الواقع في النهاية وصدقني انني لم أبك حزنا عليها لكني بكيت حزنا على نفسي وعلى قدرتي وعلى سنوات عمري التي أهدرتها في الجبال والصحارى وحزنا على البراءة التي اغليت في زمن لا مكان فيه للبراءة فأنا لم افرض نفسي عليها .. فلماذا قبلتني في البداية ؟ .. ولماذا تطعنني هذه الطعنة ولم يمض على زواجي منها سوى ٣٠ يوما تبينت في هذه اللحظة فقط أن زوجتي قد حزمت امرها ودبرته ونفذته وانا غائب تماما عن الموقف .. متصورا ان الامر مجرد رهبة للحياة الجديدة وانها سوف تألفها بعد قليل .

وبقدر ما تحملت من الام نهضت فجأة وذهبت الى بيت أسرق وطلقتها بلا تردد وبعد أيام بدأ الرسل يتوافدون بين الأسرتين لانهاء الامور التقليدية .. ولم أتوقف عند أى شيء وخلال الايام والاسابيع السوداء التي تلت ذلك تكشف لي ما لم اكن اعرفه ، فبعد ثلاثة شهور بالضبط من طلاق

لها تزوجت بمن تحب وهو زميل لها في العمل غمت بينهما علاقة الحب خلال إغترابي . وكرهت الدنيا واصررت على ان أحيا وحدي في الشقة الخالية لكيلا أرى احدا أو يراى احد وعدت الى شقتي ولست بحاجة لان اقول لك اننى لم اكرر بعد ذلك تجربة شراء الورود في حياتى مرة أخرى بل لعل كرهته .. ومرت ٣ سنوات .. وعدت اشعر من جديد بالوحدة وبدأ الحنين يراودنى الى الزوجة والاطفال والاسرة مرة أخرى لكنى جريخ .. وفارغ الجيوب بعد ان وضعت كل مدخراتى في العش المنهار . وقطار العمر يمضى .. فهل ترائى استطيع ان ابدأ حياتى من جديد وماذا على ان افعل هل اغترب مرة أخرى لاعود وانا في الاربعين وهل ترى اننى سوف استطيع ان أنسى ما حدث بسهولة ؟ .



.. ولكاتب هذه الرسالة اقول :

نعم يا سيدى تستطيع ان تبدأ حياتك متخلصا من اثار هذه التجربة المريرة عليك .. بل لا بد وان تبدأ حياتك من جديد ، فليس من المنطقى ان يضيع الانسان عمره في اجترار الامة .. وفي البكاء على الاطلال ولا شك انك تعرضت لتجربة قاسية .. ضاعف من اثارها ما يبدو لى من سلامة طويتك ونقص خبرتك بالحياة وبالبشر فلا شك ان النهاية الدراماتيكية التى شهدتها عن الاحلام كانت لها مقدمات طويلة تنمو تحت السطح لكنك لم تلتفت اليها فى غمار كفاحك لبنائه بالغربة وبالعمل المضاعف والشقاء لكن ما مضى قد فات ولا يفيد الان البكاء على اللبن المسكوب بل ولا يشرف الانسان وهو فى مكمل رجولته وحياته ان ينهار انهيارا تاما امام تجربة مهما كانت مرارتها ، فقف على قدميك مرة أخرى وتعلم ان الحياة تجارب وعثرات وان الانسان استمد قدرته على البقاء من قدرته على امتصاص الالم واحتماله ، والحق اننى رغم احتقارى لنصرف فتاة أحلامك وانتهازيتها التى سمحت لها

باستكمال المشوار معك وهى مرتبطة بغيرك الا اننى ارى ان ما حدث هو افضل كثيرا من استمرارها معك وهى غير مخصصة لك ولو بمشاعرها فما اقسى ان يحيا الانسان مع من تهفو نفسه الى غيره وما اوحش ان يعيش تحت سقف واحد مع من لا يرى فيه شريك احلامه وكم من مأس يصنعها هذا الحال .. فاشكر الاقدار التى ارادت ان تجيبك هذا المصير وبلا مأس اجتماعية .. كوجود اطفال يعقد وجودهم الامور .

فاستعد نفسك يا صديقى فقصتك قديمة قدم التاريخ وقدم عذاب الانسان وحيرته ، لكنها ليست من قوانين الحياة بل هى فى النهاية استثناء من القاعدة والاستثناء موجود دائما .. والقاعدة السليمة الخيرة موجودة ايضا دائما فليست كل الفتيات كفتاتك ولا يعنى امتحانك بهذه الفتاة أنك سوف تمتحن بغيرها ، بل لعل ضريبة الالم التى دفعتها ترشحك لأن تنال حَقك العادل من الحياة ولأن يعوضك الله عما لقيت بمن تضمد جراحك وتعيد اليك ثقتك بنفسك وبالحياة والبشر والخير ، وما اكثر التجارب الناجحة التى سبقتها تجارب مؤلمة فاشلة . بل لعل التجارب المؤلمة تنضج شخصية الانسان على نار هادئة وتساعد على تفهم الحياة والتعامل معها .

والحق انك انسان شهم مضحٌ فلقد انسحبت من حياة فتاتك الظالمة بهدوء ولم تتردد فى طلاقها .. ولم تفكر فى مماثلتها .. او تعليقها او جرحها فى المحاكم كما يفعل الآخرون وهذه « فروسية » تتفق مع شخصيتك وتلاءم معها اما السفر الى الخارج فأمره متروك لك لكنى أتصور ان وجود الشقة وحده يذلل اصعب عقبات الزواج وبالتالي فلا حاجة لرحلة إغتراب جديدة تبدأ بالارتباط الاسمى مع فتاة ثم تتركها لتبحر من جديد فى بحار المجهول لفترة طويلة لا أحد يعرف ماذا يمكن ان يحدث فيها فإذا ارتبطت مع أخرى فلنصاونا على بدء حياة جديدة هنا تتشاركان فى بنائها معا ، لتكونا انثى الاثنان حريصين على نجاحها واستمرارها .. ومسؤولين معا عن ذلك ..

نَهْ والا فما فائدة الالم اذن .. إذا لم نتعلم من تجاربنا ؟ .

أيام السعادة

إننى شاب فى الثانية والثلاثين من عمرى أعمل فى وظيفة مرموقة والحمد لله واتقاضى مرتبا معقولا جدا ومتزوج من زوجة رائعة تربطنى بها علاقة حب عميق ومتجدد وقد بدأت علاقتى بها حين كنت اتردد على الكلية لاستعيد ذكريات الجامعة فالتقيت بها وتعارفنا سريعا وأحببتنا واحببتى ودامت علاقتى بها ٣ سنوات حتى تخرجت ثم تقدمت لأهلها لخطبتها .. وبدأنا سويا رحلة الكفاح لبناء عش الزوجية كان مرتبى أيامها ٢٦ جنيه وكانت هى الاخرى تتقاضى مرتبا مشابها فبدأنا نشد الحزام على بطوننا لكى نجتمع مبلغا لدفع خلو شقة صغيرة .. وكان متوسط الخلو ايامها حوالى الف جنيه فكافحت ليلا ونهارا وكافحت هى الأخرى حتى جمعنا اول الف جنيه تلامسنا معها فى حياتنا واذكر انه عندما اكملت الألف الاولى انا صرخنا من الفرح بقرب تحقيق الاحلام وفى الصباح الباكر خرجنا لنطوف على السماسرة فاكشفنا ان متوسط الخلو قد ارتفع الى ٢٠٠٠ جنيه .. صدمنا وإنهارت احلامنا وفكرت طويلا واستقر رأيى على أن ابحث عن عمل فى دولة عربية لعدة شهور لاجمع المبلغ ففعلا وفقنى الله فى العمل فى إحدى البلاد وتحملت الغربة لمدة ٦ شهور حتى جمعت مبلغ ٢٥٠٠ جنيه .. وما أن امسكت بها حتى عدت الى شريكة حياتى طائرا على جناح السعادة .. ولا أستطيع ان اصف لك فرحى حين وفقنى الله الى صاحب عمارة رحيم كان يطلب ٥ الآف جنيه من الجميع .. لكننى وقفت أمامه انا وخطيتى والدموع تكاد تطفر من عيوننا وروينا له قصة حبنا وكفاحنا فرق قلبه لنا وأقسم أن يعطينا الشقة بما معنا من نقود ووقع العقد وسلمنا مفتاح الشقة وهو يتمنى لنا السعادة .

سعدنا سعادة لا توصف وانطلقنا نطوف بالشقة ضاحكين مصفيين مهللين وبدأت أعمل ليلا ونهارا .. وأول كل شهر نقتطع ثلاثة ارباع مرتينا ونعطيا للتجار .. وكان يوم شرائنا لغرفة النوم ومائدة السفرة و ٤ كراسي عيدا .. وكان يوم زواجنا عيدا آه .. ما احلى الراحة بعد العناء .. لقد إبتسمت لنا الدنيا بعد ان أمضيت ٦ سنوات تقريبا في حرمان شبه متصل لبناء هذا البيت .. ثم بدأ الكفاح يؤتي ثماره .. فتقدمت في عملي وتضاعف مرتبي عدة مرات وزاد مرتبي ايضا .. واكرمنى الله بفرصة عمل أخرى في الخارج لمدة سنة اصلحت بها حياتي .

ومضت الايام سريعة سعيدة .. وذات يوم اشترت زوجتي « صندلا » صيفيا من احد المحلات ثم عادت الى البيت لتجربه فوجدته ضيقا بعض الشيء فعادت الى المحل لتعيده فاكشفت أن مقياس الصندل هو نفس المقياس الذي ترتديه لكن قدمها هي التي ليست طبيعية بل متورمة قليلا .. شككت في الامر فاصطحبتها الى الطبيب فشخص المرض خطأ وتبطننا معه لمدة ٦ شهور بلا تقدم وكل اسبوع اشترى دواء بـ ٦٠ أو ٧٠ جنيها ثم هدانا الله الى طبيب عظيم فحص زوجتي ثم قال ان هذا التورم ليس بسبب مرض الفيل كما تعالج الآن لكنه ناتج عن ماء متجمع بالساق بسبب مرض في الكلى ، وبدأنا رحلة العذاب وكان أول ما طلبه الطبيب هو الامتناع عن الحمل .. وحدث ان سافرت في مهمة للخارج لمدة شهر كنت خلالها أتصل بها كل اسبوع لاطمن عليها .. وذات مرة طلبتها فلم يرد التليفون فاتصلت بأهلي لاسأل عنها فقالوا لي ان التليفون عطلان .. فلم اطمن وقطعت رحلتي وعدت بعد أيام فاكشفت انها قد نقلت الى المستشفى بعد ان اصيبت بغيوبة .. وان الكلى قد توقفت تماما عن العمل واصبحت في حاجة الى غسيل مستمر لمرتين كل اسبوع .

ولن أصف لك ما نتحمله من عذاب كل ثلاثة ايام مرة .. لكى لا اوجع

قلب أحد .. وسأختصر فأقول ان الطيب قد نصحنى ان ابحث عن متبرع
بكلية لاجراء جراحة زرع الكلية لها لانها شابة وتحمل هذه الجراحة ..
فعرضت نفسى على الفور فاجريت لى التحاليل لكنى صدمت بنتيجتها التى
تؤكد انى لا اصلح لنقل كليتى لها .. ولا أنسى الحالة العصبية التى انتابتى
حين عرفت نتيجة التحاليل .. فلقد ثرت ثورة عارمة فى قسم التحاليل
بالمستشفى .. وصرخت .. وبكيت .. وهوأت حتى على طيبة التحاليل
الإنسانة التى تحملتى وقالت لى والدموع فى عينيها انها سعيدة ان ترى انسانا
وفيا لزوجته على هذا النحو .. لكن المسألة فى رأى لم تكن مسألة وفاء ..
ولا تضحية .. بل ارتباط حياة ودم .

المهم فشلت تحاليل شقيقها الوحيد ايضا .. ونصحنى اطباء التحاليل
بالبحث عن متبرع آخر وأعطونى اسم وعنوان متبرع كان قد أجرى التحاليل
ليتبرع بكلية لمريض اخر فاتصلت به وطلب منى ٥ الاف جنيه فرجبت لانى
استطيع بيع سيارتى وجهاز الفيديو والتلفزيون وأن ادفع له . واجرينا له
التحاليل فالتت عدم صلاحية كليته ثم أعطونى عنوان شاب اخر يصلح
وسبق ان أجرى التحاليل فاتصلت به فطلب منى عشرة الاف جنيه . شرحت
له ظروفى وحياتى وأنى لو بعث كل ما املكه فانى قد استطع تدبير هذا
المبلغ لكنى لا استطع تدبير تكاليف الجراحة والمستشفى أيضا وعرضت عليه
سيارتى وكل ممتلكاتى فقبل .. ثم اختفى .. ثم عاد يتصل بى من جديد ويطلب
مبلغا أكبر .. فأشرح له الظروف من جديد فيوافق ويمضى خطوات فى طريق
التحاليل والاستعداد للجراحة .. ثم يخفى مرة أخرى وهكذا شد وجذب
ومنذ اكثر من شهرين ونحن على هذا الحال فى يوم نفرح بقرب تحقيق
الامال .. وفى يوم آخر نخزن لانيارها وهكذا .. والغريب انه ليس محتاجا
بالصورة التى قد تتخيلها فهو شاب متعلم من اسرة متوسطة يعيش فى شقة
أحسن من شقتى مع اهله .. وليس فى حاجة ملحة للمال .. ولا اعرف

نوازعه او تفكيره لكنى مضطر لان أفعل المستحيل لانقاذ زوجتى .

ومازلت حائرا ومعلقا فى الهواء مع هذا الشاب .. لقد قرأت عن بعض المشاكل التى تم حلها فى بريد الجمعة فقررت ان اكتب اليك لعل أجد طريقك متبرعا رحيمًا وانا على استعداد لبيع كل ما أملك وأقدمه هدية ، يقبل مساعدتى فى انقاذ زوجتى ..

فهل أستطيع ان اجد متبرعا يقبل ما عندى لقاء مساعدته فى انقاذ زوجتى واسرة وبيت ؟ .



• ولصديقى كاتب هذه الرسالة اقول اننى لا أملك سوى نذر رسالتك .. وقد نشرتها وكلى ألم مما تعانیه انت وزجك الشابة الرقيقة ، عذاب .. فى وقت كان المفروض فيه أن يكون وقت الراحة بعد العناء ووقت التطلع للأمال بعد ان تحققت الاحلام لكن ماذا اقول ؟ إنها الدنيا يا صديقى التى قلت عنها يوما انها « ناقصة » تعطى شيئا لتأخذ شيئا ، لآه رفعتنى معك الى السماء وأنت تروى قصة حبكما وكفاحكما لبناء عالم الاحلام ، ثم هويت بى الى الأرض وانت تروى تفاصيل رحلة العذاب ، مرض زوجتك إلى لا أستطيع بكلماتى ان اقدم لك عونًا كثيرًا .. لكنى فقد قد اقول لك : لا تنس من رحمة الله .. فقد كان أجدادنا يموتون بأمرأة تعالج الآن بالأسيرين ... وما يعجز عنه الطب اليوم قد يكون غذا سم الشفاء .. « ويخلق ما لا تعلمون » .. وكل يوم هو فى شأن وقد يبيى ا لزوجك ولأمثاله من المعذبين بهذا المرض اللعين فرجا من ضيقهم بعلا جديد فى علم الغيب يخفى الان « ولا يخفى عليه » .

أما انت يا صديقى فواصل بحثك .. وقد يبيى الله لك ولزوجك فرجا هذه المحنة عن طريق نافذة البريد .. فان شاءت ارادته ذلك فيها ونعم

وان لم يشأ .. فاستمرا في العلاج بالمسيل . فإن اعرف اشخاصا يعيشون حياة طبيعية ومنظمين في غسيل الكل من عشرين سنة . وكيف حياتكما على هذا الاساس وتآلفا مع مقتضياتها الجديدة .. وإرضيا أولا بما أراد الله فان الرضا هو بداية الفرج وتذكر انه رب يوم بكيته منه فلما صرت في غيره بكيته عليه ، فافزع زوجك بتقبل الامر بواقعية وواصل حياتكما ولا تفقد الابتسامة مهما حدث .. وسوف يخفف عنكما الكثير ان يحمل كل منكما للآخر كل هذا الحب .. فاحميا بحبكما ضد هذا العذاب .. أعانكما الله وأعان امثال زوجتك من المعذبين وفرج كروبهم جميعا .

طائر الحب والسعادة

افتح بريدى احيانا فألمح بين ركاب المآسى .. نقطة ضوء مشعة بالامل فأسعد بها كما يسعد المثلث الى السعادة بلحظة صفاء وسط هجير الحزن
ثم اسرع لاضعها بين يدي قراء البريد ليشاركنى الاخرون مشاعرى ..
وفى هذا الاسبوع تلقيت فى بريدى هذه الرسالة .

اكتب هذه الرسالة لأنى أحس بان على ديننا ينبغى ان اؤديه للحياة والى الباب ولقرائه على وجه الخصوص وقبل ان اتركك للحيرة سأبادر بأن اقول لك اننى الشاب الذى كتب لك منذ حوالى ١٠ شهور يحكى قصة - وزواجه من فتاة وكيف بنينا معا وبمعجزة عشنا الصغير طوية طوية .. رضى الامكانيات ، ثم ابتسمت لنا الدنيا فسافرنا للعمل فى احدى الدار العربية لمدة عامين عدنا بعدها لمصر .. طائرين على جناح السعادة بعد عرفنا الراحة اخيرا بعد الشقاء .. واستكملنا اعداد عشنا واشترينا كل حلمنا بان يضمه بيتنا ، واشتريت انا سيارة صغيرة ، واستعدنا لان نستمتع بشمرة كفاحنا ، فاذا برفيقة كفاحى تسقط فجأة مريضة بالكلى واذا باحد السعادة تثقلها الموم ونبدأ رحلة العذاب وزوجتى الرقيقة الشابة تستمر للمرض وتعجز عن العمل ونحيا على غسيل الكلية مرتين كل اسبوع والاطباء يجمعون على ضرورة زرع كلية لها ، فاتقدم لزرع كليتى فى جسمها فدناتج التحليلات مخيبة للامال ، ثم اتعذب فى البحث عن متطوع الى ان افنى فى الكتابة اليك ، ولقد نشرت رسالتى بعنوان « ايام السعادة » وتلقيت طريقك بعدها استجابات عديدة من قراء البريد الاهرام ، للتبرع بالكل لاناقد زوجتى . ولعلك تذكر ان عدد المتطوعين من ابناء مصر الخير والعدل قد بلغوا ٤٢ متطوعا ، اعطيتى اسماءهم وعناوينهم فبدأت الاتصال

فأريت من خلال هؤلاء الشباب غماذج من البشر ما كان لي ان اراها او اطلع عليها او اعلم بوجودها في الحياة لولا ان وضعي الاقدار وسط هذه التجربة الالهية فأريت من يقبلون اجراء هذه الجراحة بلا هدف .. سوى الرغبة في اسعاد اسرة صغيرة ورأيت منهم هذا الشاب الذي شارك في حرب اكوبر ومازالت في جسمه اثار باقيات لعدة جراحات خطيرة من اثر الإصابة ، وهو يصبر رغم بساطة حاله على ان يدفع من جيبه ثمن التحاليل للمدنية اللازمة لاختبار صلاحية الكلية للزرع .. ورأيتى ارفض ذلك فيصر اصرارا عجيبا حتى ليشكوكى اليك بسبب ذلك . ثم حين تمجئ التحاليل مؤكدة عدم صلاحيته يعود ليشتكى اليك بالى غير متحمس لاعطائه هذه الفرصة للتقرب الى الله سبحانه وتعالى بالتبرع بكليته لزواجى .

رأيت هذا الشاب ، ورأيت غماذج عديدة لشبان يحملون في جوانبهم قلوبا خيرة مطيعة لله وراغبة في الخير .. حتى لتضحى باجزاء من جسمها لانقاذ من لا يعرفونها .. ومن لم يسمعوا بها الا من رسالتى في بريد الجمعة ورأيتى بعضى الاسابيع اطوف بكل هؤلاء المتطوعين على معامل التحاليل .. فأجرى لهم التحليلات المختلفة .. ثم تأتى النتائج بمفاجات لم يتصورها عقلى في البداية ..

فالمطوعون جميعا غير صالحين بكل اسف لنقل الكلية لزواجى الشابة . ليس هناك من يصلح لذلك سوى الشاب الذى عرفته في بداية رحلة هذاب عن طريق استاذة التحليلات والذى يطلب تعويضا معنا عن تضحيتة الذى اشرت اليه في رسالتى الاولى .

وبعد مشاورات عديدة مع الاطباء .. وبعد ان اصبحت شبه متفرغة تقاذ زوجتى ، عدت من جديد للاتصال بهذا الشاب ووضعت الامر من جديد بين يديه ، واشهد انه بعد ان عرف كل هذه التفاصيل كان متفهما

الى اقصى حد ، واصبح صديقا عزيزا لى واستقر رأى الاطباء على ان نب
المرحلة الجديدة .. فى مركز الكلى بجامعة المنصورة ، واكتشفت ان هنا
رحلة طويلة ايضا للاعداد للعملية ومررنا بكل المراحل الى ان جاء اليه
المشهود .. ودخلت زوجتى غرفة العمليات فى لحظة واحدة مع الشار
المتطوع .. كل منهما على مائدة عمليات وحول كل منهما فريق من الاطباء
اما انا فقد كنت عند دخولها على باب الغرفة يدي فى يد زوجتى وقلبي
معها .. وكان الشاب على السرير المتحرك مستسلما وخائفا ايضا مثل
واشهد انى قد احبته فى هذه اللحظة اكثر من اى وقت اخر ودعوت ا
له من قلبي ان يوفقه فى حياته وان يحقق له كل احلامه .. وحين اذ
« الموكب » بالتحرك لدخول الغرفة انحنيت فقبلت زوجتى الغائبة ء
الوعى .. واستدرت فقبلت هذا الشاب ودعوت له كثيرا ثم غاب الاثنا
خلف الباب المغلق .

وجلسنا على المقعد القريب فى الممر .. واخرجت مصحفى وبدأت
اقرا فيه ودموعى تنساب منى فتسقط على الصفحات وتحجب عنى السطور
وكل من حولى من احبابى واحباء زوجتى الذين عاصرونا خلال ايام السعاء
وايام الشقاء يتمتمون بآيات القرآن .. أو يتظاهرون بالمرح ويحاولون ش
ازرى .. بمبارات التطمين والتشجيع ..

وبقيت على هذا الحال ٦ ساعات كاملة .. مرت علىّ كانها ٦ قرون
ثم فتح الباب وخرج رئيس فريق الاطباء مرهقا .. مجهدا ، فهضت ء
مقعدى كأنما لدغنى ثعبان .. ونظرت اليه وروحى كلها معلقة بشفتيه فا
باساريره المتعبة تنفرج ببطء ويقول لى شبه هامس : مبروك .. فلم اذ
بنفسى وانا اندفع اليه اقبله واحاول احضانه .. وهو يقول لى : اه
ويضحك بسعادة .. واذا بالفريق كله يخرج من الغرفة ضاحكين فرح
كأنهم نجحوا فى امتحان صعب وكلهم سعداء كما لو كانت المريضة شقيقتهم

او زوجتهم .. وكلهم يبتوننى وانا ادور وسطهم اقبل كل من يقع فى طريقى
 منهم وفى اى مكان : الوجه او الرأس وهم يضحكون وينصحنونى بان امالك
 نفسى لكن كيف اهدأ ؟ واحدهم اكثر مرحا بلطفت الى اهلى ويقول « مفيش
 زغرودة حلوة » فتطلق الزغاريد مجلجلة فتكون اخر ما اعيه من الوجود
 لاني لم اشعر بنفسى بعد ذلك الا وهم يعملون على افاقى بالنشادر وحولى
 تخرج الضحكات بالدموع والجميع سعداء .. لكن اين زوجتى واين هذا
 الشاب الطيب . فاعرف انهما فى غرفة « الافاقه » واسرع الى هناك
 واراها .. ويكون اللقاء بعد ان كنت قد ظننت ان « لاملقيا » كما يقولون ..
 واذكر نعمة الله على .. فاسجد له شاكرا . وغضى اياما فى المستشفى ثم نخرج
 ونبدأ بعد ذلك رحلة ما بعد الجراحة .. ففى كل اسبوع نساقر الى المنصورة
 للفحص والمتابعة وتنفيذ مراحل علاجية ضرورية بعد الزرع .. ثم يتحسن
 الحال ويطمئن الاطباء قليلا فيجعلون موعد الفحص مرة كل اسبوعين ..
 ونستمر شهرين على هذه الحال .. ويزداد اطمئنانهم .. فصبح الزيارة مرة
 كل شهر .. وهى المرحلة التى نعيشها الان ومنذ اكثر من ٥ شهور ، بعد
 ان عادت السعادة الى بيتى الصغير .. وبعد ان عادت الابتسامة الى وجه
 زوجتى ووجهى .. واصبحنا نخرج فى المساء لنتمشى على النيل كما كنا نفعل
 فى ايام السعادة واصبحنا نزور الاقارب والاهل والاصحاب واسرة هذا
 الشاب الطيب الذى اصبح واحدا من اسرتى واصدقائى .. واخيرا عادت
 الى عملها وعدت انا أيضا الى عملى بعد ان انصرفت عنه تقريبا طوال هذه
 الحقبة .. والحمد لله كثيرا على كل شيء .. ان فى الدنيا خيرا كثيرا لكننا لا
 نراه الا فى الشدائد .. وفى قلوب ابناء بلادنا نبع لا ينضب للحنان والعطاء
 والمشاركة لكننا لا نكتشفه الا فى الملمات وانا اكتب لك هذه الرسالة لشكر
 على كل هؤلاء الذين عرضوا على التبرع بكليتهم لزوجتى وطاقوا معى بمعامل
 التحاليل وتركوا اعمالهم من اجلى بلا سابق معرفة ولشكر على هذا الشاب

الطيب الذى اراد الله على يديه الخير لى .. ولزوجى ، ولشكر عنى كم هؤلاء الاطباء العظام الذين وقفوا بجوارنا فى محنتنا فى القاهرة والمنصور والذين بذلوا أقصى ما فى جهودهم لانقاذ حياة « عروسة بريد الاهرام » على حد تعبيرهم بعد ان قرأوا جميعا قصتها فى بريد الجمعة .. واكتب اليك لتقول نيابة عنى .. لكل من يعانون المحنة التى عانيتها : لا تقنطوا من رحم الله .. فلقد وسعت رحمته كل شئ ، وابواب الامل مفتوحة للجميع كما اراد فرج الله قريب .



.. ولكاتب هذه الرسالة المضيئة بالامل اقول : لمست قلبى مرتين .. مرة فى رسالتك الاولى وانت تروى لى شقاءك مع رحلة العذاب التى فاجأتك فى بداية حياتك ومرة فى رسالتك الثانية وانت تحكى لى عن فرحك الصادقة بنجاح الجراحة وعودة طائر السعادة الى عشكما الصغير وبألمها من فرح من القلب يا صديقى . تستحقها بكل تأكيد وتستحق ما هو اكثر منها فلقد شقيت كثيرا وكافحت كثيرا وآن « للمجاهد » ان يستريح بعد طول العناء وآن لعشكما الصغير الذى شهد هذه العاصفة العاتية ، ان ترفرف عليه نساء الراحة والهناء من جديد ، إلى سعيد جدا بسعادتك .. وسعيد بشفا عروسك الشابة الرقيقة التى امتحنتها الدنيا فى فجر حياتها بكل هذه الاحوال ، واقضى لكما حياة سعيدة مديدة بإذن الله ، كما الى سعيد ايضا بهذه الرسالة التى تقدم لى دليلا جديدا على ما أؤمن به عن جوهر هذا الشعب الصابر المكافح .. الذى تطفى عليه احيانا صغريات الحياة فتخفى بعض ملامحه خلف قناع مزيف .. لكنها لا تمحو وجهه الاصيل المشرق بالخير والعطاء ابدا .. والا فقل لى بربك .. فى أى مكان اخر كان من الممكن ان يجد معذب مطلق ٤٢ انسانا على استعداد لاقتطاع أجزاء من اجسامهم لتقديمها هدية لمن لا يعرفونه لإسعاد قلبين وإنقاذ اسرة صغيرة من العذاب .

وبلا أى مقابل ؟ واين يمكن ان تجد مثالا لهذا الشاب الذى يستحق كل احترام والذى كان يكتب الى ليشكولى من انك « املت » رغبته فى التبرع لزوجتك بكلية ولم تحقق له رغبته وهو المصاب فى الحرب والذى تعذب من قبل بعدة جراحات ؟ واين كان يمكن ان نجد انسانا بسيط الحال كهذا الشاب يرهق نفسه بدفع اجور التحاليل الطبية استعدادا للتبرع بكلية ويحبر أصرارك على الرفض اهانة له ويرفض رغبته بآباء . وهو مواطن لامورد له سوى معاش عجز بسيط قد ينفقه آخر على وجبة عشاء واحدة فى احد الملاهى .

واين يمكن أن نجد أمثال هؤلاء البشر الطيبين الذى يجودون بسماحة لا نظير لها بما يملكون .. وقد لا يملك بعضهم شيئا ؟ انا قد نكون شعبا من الفقراء لكننا بالتأكيد شعب من الاغنياء بامثال هؤلاء البسطاء الذى على استعداد للعطاء دائما .. وقد يكون العطاء باعضاء بشرية من اجسامهم ؟ وقد نكون شعبا من الفقراء .. لكننا بالتأكيد مازلنا اغنياء بهذه الخصال والفضائل التى يعتبرها البعض من علامات « التخلف » كالتمسك بالقيم الدينية .. والعاطفية .. والميل للعطاء والمشاركة بأقل الامكانيات المتاحة .. انه شعب عظيم رغم كل شيء يا صديقى لم يقدره احد حق قدره بكل اسف .. ومثله لن يضام مهما جرت عليه عواذى الزمان ولا بد ان يحصل يوما على نصيبه العادل من الحياة . آسف لقد سرحت بعيدا لكن رسالتك اهاجت مشاعرى .. واثارت لدى كل هذه التأملات والى سعيد بها حقا .. وسعيد بأن رسالتك ستفتح ابواب الامل امام كثير من المعذنين .. وستقول لامثالكمما بالدليل : ان فرج الله قريب وستقول ايضا : اسألوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار لفرج ولقد سألت الله يا صديقى فأعطاك من فضله .. وانتظرت الفرج فأناك فأهنا بما انعم

الله عليك .. ولا تنس حق الحياة وحق هؤلاء البشر عليك .. فاعلم ..
بكل ما تستطيع .. واعلم البشر بما هم مستحقون منك من الوفاء والاخلاص
وخفف عن الآخرين ولو بالكلمة الطيبة ، وتذكر انك مدين للحياة ولا
بدين كبير فأدِّ دينك بالعطاء والحب للآخرين وبخدمة البشر ومساعدة
يحتاجون الى عونك والسلام .

الطريد

« اقرأ بريدك كل أسبوع .. واتابع مآسيه وأفكر منذ زمن طويل في أن أكتب اليك لانفس عما في صدرى ثم أؤجل قرارى حيناً بعد حين ، حتى وجدت نفسى والدنيا قد إسودت في عيني فأمسكت القلم لأكتب لك هذه الرسالة : أنا يا سيدى لم تسود الدنيا في عيني لأننى أنظر من شرفة « بيتى »^(١) فأطل على قصر تقام به المهرجانات كل يوم ويفرق أصحابه في الترف والسفه ، كما هو حال المهندس الشاب الذى كتب اليك بذلك . ولا اسودت الدنيا في وجهى لأننى اعيش في « بيت »^(٢) أبى ومازلت أبحث عن حقة لاتزوج فيها كما هو حال المهندسة الشابه حديثه التخرج التى كتبت اليك . ولا انا سجين الاسوار الحزين لغدر^(٣) خطيبتى بعد دخولى السجن كما كتب اليك السجين الشاب الذى سيقضى مدة العقوبة طالت أم قصرت ثم يعود إلى « بيته » ولا حظ يا صديقى الى اضع كلمة بيت دائما بين قوسين ، لان في هذه الكلمة البسيطة مشكلة حياتى التى سأروى لك الآن . فانا شاب بكلية الطب بالسنة النهائية .. لم يبق على تخرجى سوى ٣ شهور قد تحدث. بعدها المعجزة وأصبح طبيباً يخلف آلام البشر .. وقد مات أبى وأنا طفل صغير فلم أعرفه ولا أكاد أذكر شيئاً عنه وكنا وقتها نقيم في مدينة صغيرة قريه من القاهرة ، ٤ أخوه منهم ٣ أشقاء وأخت واحدة ، أنا أصغرهم ، وكافحت الأسرة الصغيرة حتى تعلم الأبناء وتزوجوا جميعاً ما عداى بالطبع

(١) مضمون احدى الرسائل التى نشرت في بريد الجمعة بالأهرام .

(٢) مضمون رسالة أخرى .

(٣) مضمون رسالة ثالثة .

وعملوا وأقاموا في القاهرة ، وبقيت أنا مع أمي في مدينتي الصغيرة - حصلت على الثانوية العامة بمجموع كبير والتحقّت باحدى كليات الطب بالقاهرة .. واجتمعت الأسرة لقرار مصري فاستقر الرأي على أن نعيش وأمي مع شقيقي الأوسط في شقته الصغيرة مع زوجته وولديه ، فأقمنا ، أنا وأمي في غرفة وشقيقي وزوجته في الغرفة الأخرى ، ومضت الحياة طيبا يرعاني شقيقي الأوسط بدخله البسيط إكراما لامي وأنا أبذل قصارى جهدي في الدراسة وأنجح كل عام والحياة تبدو واعدة بالمستقبل الطيب وبالخير . ثم فجأة ماتت أمي وأنا في السنة الثالثة بكلية الطب ، فاهتز كل شيء وبكىها طويلا ، ولم أكن أتصور أنى فقدت بفقدائها كل شيء النصر .. والأمان .. والكرامة .. وكل شيء . فبعد وفاتها بأسابيع قليلة بدأت معاملة زوجة أخي لي تتغير وبدأ الجميع يضيقون بوجودي بينهم وراحت زوجة شقيقي تدس لي عند شقيقي وعائل الوحيد وأبي الذي أعرف غيره وصمد أخي في البداية قليلا ثم ضعف بعد فترة قصيرة وانس لزواجه وكثرت المشاكل ، وأنا صابر أبذل المستحيل لأرضاء أخي وزوجته وولديهما . إلى ان كان يوم وكنت جالسا على مكبتي أذاكر دروسي ، وأبهمومي فأجد صورة أمي تطفو فوق صفحة الكتاب الذي أقرأه .. وأندحانها وعطفها على .. وتدمع عيناى فأفلق من سرحاني وأعود لنفسي ثم في الباب فجأة بعنف ودخل أخي ووراءه زوجته ، والغضب واضح في عينيه ثم صاح قتي « ماذا تفعل هنا » .. واندفع بلا مقدمات يلقي بكبي الأرض وبملابسي وزوجته تساعده وفرحة الشماتة القاسية في عينها وأنا أقمذهولا كئيب في يدي .. ولساني عاجز عن النطق ثم نطقت أخيرا : جهد .. وكانت العبارة الوحيدة التي استطعت ان انطق بها .. هي « حاء يا اخويا .. » حاضر يا اخويا .. فقد فهمت أخيراً بعد صدمة المفاجأة .. يريد فهمت يا صديقي أنه يطردني من رحته .. ومن رعايته .. ومن مأوى

الوحيد لسبب لا اعرفه ، وانحيت متعجلاً أجمع كئيب وأدواتي وقواميسى ..
وملابسى القليلة من الأرض وأضعها فى حقيبة صغيرة . ثم استأذنته فى ان
اطلع البيجامة وارتنى القميص والبنطلون والحذاء فأشار بيده ان « افعل »
ففعلت تحت بصره ، ثم حملت كئيبى وملابسى وغادرت الشقة بخطوات
سريعة متعثرة .. وحاولت أن أبحث بعينى وأنا فى طريقى للخروج عن وجهى
ابنى اخى اللذين احبتهما من قلبى لادعهما .. فوجدت باب الغرفة مغلقاً
عليهما ، فأخذت طريقى الى باب الخروج صامتاً .. نزلت الى الشارع أحمل
صفاً عالياً من الكعب وحقيبة صغيرة بها بعض الحاجيات ومشيت بلا
هدف .. وفى جيبى ٧٥ قرشاً هى كل ما أملكه من الدنيا .. ومشيت حتى
كلت قدماى من المشى .. وكلما تعبت وضعت حملى على الرصيف وجلست
بحواره التقط أنفاسى .. ودموعى تساقط بلا إرادة . ثم وجدت قدماى
تقودانى إلى بيت شقيقتى المتزوجة وقد اقترب الليل من منتصفه وضغطت
الجرس ففتحت شقيقتى الباب ووجدتنى أمامها حاملاً كئيبى ففهمت كل
شئ . وفى اليوم التالى جاء شقيقى الأكبر وقرر مع شقيقتى أن أقيم لديها
على ان ينق هو على لاستحالة إقامتى لديه لسبب بسيط هو أن زوجته هى
شقيقة زوجة أخى الأوسط .. وقرر مقاطعة أخى الأوسط لطرده لى بلا سبب
وبدأت إقامتى فى بيت اخى منذ ذلك اليوم وعادت الحياة تمنى طبيعية
رغم الجراح ... لكن المشكلة يا صديقى هى أن « ابن ادم » ثقیل حيث
حل وفى أى مكان لا يملكه ، وأنا لا بيت لى ولا أب ولا أم ولا دخل ،
وشقيقتى مثقلة بأعباء ستة أبناء وزوج لهم عليها حقوق .. والعواطف الحارة
تبرد بعد حين تحت وطأة الحياة وضيق المكان فبدأت معاملة الأبناء والزوج
تتغير .. وبدأ الإحساس بمزاحمتى لهم ثم بالقرف منى والضيق لى وبوجودى ،
وكنت قد تعلمت الدرس من التجربة الأنثى التى مرت بها .. فحاولت أن
أوزع « ثقل » بين بيت شقيقتى وبيت شقيقى .. فكنت كلما أحسست أن

الإناء قد فاض بما فيه في بيت شقيقتي .. حملت كسبي وذهبت إلى بيت شقيقتي الأكبر .. حيث أقابل بالوجوم عند رؤيتي وبالإستقبال الفاتر ، والضيق المملوكوم ، فاتحمل كل ذلك صابرا لمدة لا تزيد على ٣ ليال ، على أمل أن تكون هذه المدة بمثابة أجازة يتنفس خلالها زوج شقيقتي وأبناؤه السنه الصعداء لغياي عنهم .. ثم أجد انه لا مفر من العودة اليهم قبل أن أطرده من بيت شقيقتي فأحمل كسبي مرة أخرى وأعود فأحس أن عودتي قد نزلت عليهم كنزول القضاء المستعجل .. وأنا ادرك ذلك .. ولكن ماذا افعل . هل جربت يا صديقي مرة أن تدخل بيت شقيقك متخرجاً .. مكسوفاً .. عجبلاً .. مبتسماً .. فتقابل بنظرات الضيق بدلاً من نظرات الترحيب وبالسلام الفاتر بدلاً من التحية الحارة ثم تحس بأن الجميع يتمنون من أعماقهم لو لم تحيى ؟ ثم بعد أيام تذهب إلى بيت شقيقك فيكون نفس الاستقبال ونفس الاحساس .

إننى أواجه هذه المحنة منذ عام وإلى الآن ولاأملك الا الصبر عليها .. فانا بلا بيت ولا أهل .. ولا أحد يهم بأمرى أو يسأل عني .. إنها محنة يا صديقي ألا تملك من امرك شيئاً فلا تستطيع ان تتحرك في المكان الذى تعيش فيه ولا تستطيع أن تنام أو تصحو أو تذاكر أو تأكل أو تشرب الا بارادة غيرك إننى أكتب إليك هذه الرسالة تنفيساً عني ولأدعوك ان تشاركنى فيها كما تشارك الآخرين ولكى لا تذوب حزناً وأسى عندما تعيش مشاكل الآخرين التى تصلك فترد عليها مشكوراً ليس لأن مشاكل الآخرين أقل أهمية وإنما لأننى اتصور أنه لا يوجد انسان غيرى لا مأوى ولا احد له غيرى ، كذلك أكتبها لك ليرى المهندس الشاب صاحب الشرفة والمهندسة الشابة حديثة الصخرج والسجين الشاب المجروح أن كلا منهم رغم كل شيء له بيت يعود إليه لعل ذلك يدفعهم للصبر على ما يشكون منه ولكى يرضوا بحاجاتهم فهى أقل غناء من حياتى .. » .



هذه هي الرسالة التي تلقيتها في بريدي ولكاتبها أقول ومن الذي قال إن ما ينشر في بريد الجمعة هو أكثر المشاكل إيلا ما ومأساوية في الحياة ؟ إن الحياة مليئة بالمآسى لكن كل انسان يتصور أن مشكلته هي المأساة الوحيدة في الحياة وهو معذور في هذا الظن لأنه يعيش آلامه هو لا آلام الآخرين ومن حقه أن يشكو مما يعاينه بل وأن يصرخ ألما أيضا فالألم المكثوم أكثر قوة من الألم المسموع ومن فوائد أبواب البريد في الصحف أنها تتيح لنا فرصة الاطلاع على الآم الآخرين وعذاباتهم فكشفت أحيانا أن ما نعاينه هو من تفاهات الحياة بالقياس الى الآمها ومشاكلها الاخرى ، وفي حالتك هذه أنت تتصور انك الوحيد في العالم الذي لا بيت له ولا احد يهتم به ويرعاه وهذا غير صحيح فكثيرون هم من لا بيوت لهم ولا أهل ولا أحد يرعاهم وينفق عليهم كما يفعل شقيقك وأنا لا اقلل من شأن مشكلتك .. فقد آلمتني بأكثر مما تتخيل خاصة مشهد الطرد البشع من بيت أخيك القاسى المجرد من المشاعر الإنسانية ، لكنى فقط أدعوك لأن تضعها في حجمها الطيبي وسط جبال المآسى التي تطل علينا من الجانبين ، وأدعوك لأن تنظر إلى الآمام بوجه مبتسم بالرغم من كل شيء لكى تنهى رحلة كفاحك وعذابك التي أوشكت على النهاية قريبا باذن الله ، وأدعوك ايضا لئلا تحمل احساسا بالمرارة في نفسك تجاه شقيقك الاكبر او شقيقتك او زوجها و أبنائها وأطالبك بان تقدر ظروفهم وتحمس بها .. ان شقيقتك مغلوبة على أمرها وحائرة بين واجباتها ومشاعرها الأخوية تجاهك وبين واجباتها ومشاعرها العائلية تجاه زوجها وابنائها ، وشقيقك في نفس الموقف الصعب « وبنى آدم » ثقل كما تقول انت وهما معذوران وأنت معذور وكلنا معذرون في هذا الزمن الصعب الذى لا يتحمل فيه أحد احداً ولا تسمح فيه علب السردين التى يسمونها مساكن بالقيام بالواجبات العائلية تجاه الآخرين .

إن رحلتك يا صديقى قد أوشكت على النهاية بنجاح إن شاء الله وسوف

تخرج طبيباً تقيم في المستشفيات خلال عام الإمتياز بعد شهور . وزوال
العيب المالى الذى تمّله حالياً للآخرين سوف يغير بعض ملامح الصورة الحزينة
وبريد الأهرام من جانبه يسعده أن يتحمل مسئوليتك^(١) خلال الشهور
الباقية مع كل الاحترام الواجب لمشاعرك وظروفك الخاصة مساهمة في
إقناعك بأنك لست وحدك في الدنيا فأنت لست فعلاً وحدك يا صديقى
بل إن حالك أفضل كثيراً ممن لا شقيق لهم ولا شقيقة وممن يلاطمون الحياة
وتلاطمهم وهم وحيدون تماماً بلا عائل ولا نصير ولا مأوى فاستجب أنت
أيضاً الى ما تدعو اليه المهندس الشاب والمهندسة الشابة وسجين الأسوار
وارض بحياتك وابتم للمستقبل الذى سيكون أفضل من الماضى بكل تأكيد
ولا تتوقف عن حب الآخرين وأولهم شقيقك وشقيقتك فمن لا يحب الناس
لن يحبه أحد وليس من حقه أن يأسى على حب الناس له ، والدنيا أخذ وعطاء
وليست أخذاً فقط ولا عطاءً من جانب واحد فقط فاعط الناس حبا تجنه
حبا ولا تتصور أن من واجب الناس تجاهك ان يحبوك وأن يرعوك بغير أن
تكلف نفسك عناء محبتهم . فهكذا الحياة يا صديقى أعذ وعطاء معادة وعناء
راحة وشقاء أيام سعيدة وأيام تعيسة الى مالا نهاية ولو لم تكن كذلك لما
كانت حياة ولكانت الجنة التى بها توعدون .

تكفل بريد الأهرام وقراؤه بحل مشكلة المسكن المؤقت لكاتب هذه الرسالة وبالمسئولية
المادية عنه حتى تخرج طبيباً بعد شهور من نشر هذه الرسالة .



وسط الزحام

انا يا سيدى طبيب أعالج الناس .. لكنى لا أستطيع علاج نفسى .. وآمل ان اجد لديك أملا فى الشفاء فأنا شاب عمرى ٢٩ سنة أمتلك عيادة خاصة بالقاهرة تُدْرُ عليّ دخلا كبيرا وأمتلك سيارة .. وفى طريقى إلى الحصول على شقة لائقة وقد حققت كل ذلك عقب تخرجى من كلية الطب وخلال ٣ سنوات وقد تصعب كيف حققته خلال هذه الفترة لكنى أقسم لك بالله أنه لم يدخل جيبى قرش واحد إلا من حلال لكنه من توفيق ربى ورضاه وتمسكى بتعاليم دينى. فلقد فتح لى أبوابا من الرزق لا يعلمها الا الله .. وقد عا ذلك بعض الشيء ما أنطوى عليه أنا من ذكريات أليمة وخفف قليلا من طابع حياتى الحزين منذ طفولتى .

فلقد نشأت وحيدا يتيما .. لم أر ابى لكنى سمعت عنه من أمى وفتحت عيناي للحياة فوجدت نفسى وحيد أمى .. تحنو عليّ وتكافح لتعليمى من قطعة أرض صغيرة ورثتها عن أبويها .. فعشت طفولة بائسة نقات خلالها بالفتات .. وبأقل شيء يحفظ على الانسان حياته .. لا أعرف الطعام الساخن إلا فى الأعياد ، وأخلع جلبابى الوحيد لأكثثر به بدلا من الغطاء فى ليالى الشتاء .. ونحيا فى غرفة ضيقة فى بيت بإحدى قرى الريف يعلم الله كم عانينا فيها من البؤس والحاجة والشدة ..

وقد كان ذلك وأمى معى ترعائى وتحنو على وتشد من أزرى ، فما بالك وقد رحلت عنى فجأة وأنا فى سن الخامسة عشرة ؟ اننى لا أريد ان استطرد فى الذكريات الأليمة لكنى مضطر لأن اروي لك بعض لحات من حياتى تمهد لك معرفة مشكلتى ، فلقد وجدت نفسى وحيدا ولا مفر من مواصلة الحياة فواصلت الكفاح وحدى .. لا سلاح معى سوى دعاء امى ورضا الله عز

وجل ، ثم روح عالية وهبى الله اياها ونفس عفيفة ثم ذكاء من فضل الله
هَيَأْنِي لِأَن أَتَفَرَّقَ فِي دِرَاسَتِي فَكُنْتُ الْأَوَّلَ دَائِمًا فِي كُلِّ مَرَاكِلِ الدِّرَاسَةِ
مِنَ الْإِبْتِدَائِيَّةِ حَتَّى الْجَامِعَةِ .

وَلَا تَتَصَوَّرُ عُمُقَ حَزَنِي حِينَ اسْتَدْعَيْتِ ذَاتَ يَوْمٍ لِأَقَابِلِ مُحَافِظِ الْإِفْلِيمِ
مَعَ أَوَائِلِ الْمُحَافَظَةِ لِصَافِحَتِي وَيَقْدُمُ لِي شَهَادَةُ التَّفَرُّقِ ، فَقَدْ جَاءَ الْأَوَائِلُ فِي
أَبْيَ زِينَتِهِمْ وَمَعَهُمُ الْآبَاءُ وَالْأُمَهَاتُ وَالْأَشْقَاءُ وَالنَّشِيقَاتُ وَالْأَعْمَامُ
وَالْأَحْوَالُ .. وَكُلُّ هَئِي مِنْهُمْ يَتَوَسَّطُ دَائِرَةً مِنَ الْأَهْلِ وَالْأَحْبَابِ السَّعْدَاءِ
بِهِ .. أَمَّا أَنَا فَقَدْ كُنْتُ أَجْلِسُ وَحْدِي فِي إِنْتِظَارِ سَمَاعِ اسْمِي ارْتَدَى بِدَلَّةِ
أَقْرَضَهَا لِي أَحَدُ أَبْنَاءِ قَرِيْبَتِي مِنَ الْمَتَسِرِّينَ ، أَرْقُبُ سَعَادَةَ الْآخَرِينَ وَأَنَا أَذُوبُ
خَجَلًا . فَلَا أَخَ وَلَا أُخْتَ .. وَلَا أَبَ وَلَا أُمَ . وَلَا عَمَ وَلَا خَالَ .. بَلْ
أَنَا وَحْدِي . تَمَامًا كَشَجَرَةٍ نَبَتَتْ خَطَأً فِي صَحْرَاءٍ قَاحِلَةٍ لَا شَيْءَ حَوْلَهَا سِوَى
الرِّسَالِ . وَجَاءَتِ اللَّحْظَةُ الْمُنْتَظَرَةُ .. وَتَقَدَّمَتِ الْمَصَافِحَةُ الْمُحَافِظُ وَتَسَلَّمَ
شَهَادَتِي .. وَغَدَّتْ مَتَعَثْرًا فِي خَجَلِي .. وَلَمْ يُخَفِّفْ مِنْ أَسَايَ أَنِّي كُنْتُ الْأَوَّلَ
عَلَى كُلِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اصْطَحَبُوا « قِبَائِلَهُمْ » مَعَهُمْ .

وَوَاصَلْتُ الْحَيَاةَ وَأَنْهَيْتِ دِرَاسَتِي الثَّانِيَّةَ ، وَدَخَلْتُ كَلِيَّةَ الطَّبِّ ،
وَفَكَّرْتُ فِي أَمْرِي فَوَجَدْتُ أَنَّ الْحُلَّ الْوَحِيدَ لِمُوَاجَهَةِ أَعْيَابِ التَّعْلِيمِ وَالْإِقَامَةِ
فِي الْقَاهِرَةِ هُوَ أَنْ أُبِيعَ قِطْعَةً مِنَ الْأَرْضِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي وَرَثْتُهَا عَنْ أُمِّي وَأَنْ أُضَعَّ
لَمَنْهَا فِي صَنْدُوقِ الْبَرِيدِ وَأَنْ اسْحَبَ مِنْهُ كُلَّ شَهْرٍ أَقْلَ مَبْلَغٍ يُمْكِنُ يَكْفِي
لِنَفَقَاتِ الْحَيَاةِ .. بِشَرْطَيْنِ مُهِمَيْنِ : الْأَوَّلُ هُوَ إِنْ اسْكَنْتُ فِي الْمَدِينَةِ الْجَامِعِيَّةِ
لَأَنَّهُ لَا طَاقَةَ لِي بِنَفَقَاتِ الْحَيَاةِ خَارِجَهَا .. وَالثَّانِي هُوَ أَلَّا أَتَعَثَّرَ فِي دِرَاسَتِي
وَأَنْ أَحْصِلَ عَلَى الْبِكَالَوْرِيُوسِ بَعْدَ ٦ سَنَوَاتٍ بِالضَّبْطِ هِيَ مَرَحَلَةُ الدِّرَاسَةِ ،
وَسَاعَدَنِي أَهْلُ الْقَرْيَةِ الطَّيُّونَ فِي بَيْعِ قِطْعَةِ الْأَرْضِ بِأَعْلَى سَعَرٍ مُمْكِنٍ وَقْتَهَا ..
بَلْ وَبِمَا يَزِيدُ عَنْ قِيَمَةِ الْأَرْضِ نَفْسَهَا مِنْ بَابِ الْمُسَاعَدَةِ وَالرَّحْمَةِ فِي الْوَاقِعِ ،
وَرَحَلْتُ إِلَى الْقَاهِرَةِ مُزَوِّدًا بِنَصَائِحِ أَهْلِ بَلَدِي وَدَعَوَاتِهِمْ لِي بِالتَّوْفِيقِ . لَكِنِّي

للاسف لم أقبل في المدينة الجامعية لمدة عامين في البداية .. ولو علموا بحقيقة حالي لأعطوني كل المدن الجامعية في مصر لأسكن فيها .. فواجهت مصري وأقمت لدى احد « بلدياتي » الذي قبل ذلك رافة بي ، لكن تكاليف الحياة خارج المدينة لم تكن في حسابي فنزلت للعمل الى جانب الدراسة .. وعملت في كل عمل يمكن أن تتخيله بشرط أن يكون شريفا لا أكسب قوتي واوفر لنفسي تكاليف الدراسة في كلية الطب وانت تعرف كم تكلف .. لم أترك عملا لم أضع يدي فيه .. ولم أضيع لحظة واحدة في حياتي ليست للعمل أو الدراسة والذاكرة .. ووقفني الله سبحانه وتعالى في دراستي . وكان التفوق في دراسة الطب حليفي .. فواصلت الدراسة حتى تخرجت .. وعملت وحققت نجاحاً يحبره البعض من زملائي معجزة .. فافتحت عيادة واشترت سيارة ودفعت ثمن شقة وعملت في عدة مستشفيات وزاغت عيادتي حتى أصبح مرضاي بالعشرات كل يوم ، وأخلصت لمهنتي فأعطتني بسطاء ، ووجدت نفسي قد حققت آمالي وآن الاوان لكي ألتقط أنفاسي من الكفاح المر الذي واصلته لمدة عشرين سنة ، فقررت أن أتزوج وهنا ظهرت مشكلة حياتي .

فلقد أعجبت بفتاة هداني الله إليها لتكتمل بها سعادتي وتقدمت لخطبتها فرحب بي أهلها في البداية ثم بعد أن دخلنا في التفاصيل وجدت نفسي أواجه موقفا مؤلما لاحيلة لي فيه ، فبعد المقدمات الأولى قيل لي .. تعال ومعك أهلك لتعرف عليهم .. فقلت ببساطة : لا أهل لي . فلم يفهموا في البداية ، فقلت مرة أخرى ببساطة انني ابن وحيد لأبوين وحيدين ، فليس لي إخوة ولا خالات ولا أخوال ولا أعمام ولا عمّات . وشرحت لهم ظروفي ، فلم يُصدّقني أحد وأجمعوا على أنني أتلاعب ولست صريحا رغم أنني اقسمت لهم على صدق ما اقول ، بلا فائدة .

وسألت نفسي .. ما ذنبي يا رب في ألى ابنٌ وحيد لأبوين وحيدين شاء
حظهما العاثر ان ينجبانى وحدى لليم والوحدة و « المعرة » بين الناس بانعدام
الاهل ؟ ومن أين آتى باخوة أو اعمام او أخوال او أبناء خالات وأخوال
وأعمام وعُمت لأقْدَمهم لأسرة خطيبتى ؟ وكيف أجيب على تساؤلات أهل
الفتاة المستكرة .. « أليس لك حتى زوجة خال تأتى معك عند الخطوبة » ؟
وكيف تكون لى زوجة خال او زوجة عم ولم يكن لى عم ولا خال ؟ .

باختصار .. ووجهت بالرفض .. ونزفت من مشاعرى وكرامتى دماً
وانصرفت عن فكرة الزواج لفترة الى أن تهدأ نفسي ، ومَرَّت فترة طويلة
نسيْتُ خلالها بعض الآلام ، ثم تكررت المحنة بكل أسف مع شقيقة صديق
لى رحب أهلُه بى فى البداية وعند التفاصيل رفضونى لنفس السبب وكان
صديقى نفسه هو أول الراضين ! وحجتهم الوحيدة هى : ماذا نقول للناس ؟
ولم يصدقوا هم ايضا قصتى التى لا يصدقها ولا يعرفها سوى أهل بلدى
وبعض المقربين منى .

وانهزمت نهائيا بعد ذلك .. ومرضت نفسيا .. وكرهت الحياة وبالرغم
من أننى قد تغلبت على صعاب كثيرة فى حياتى .. فلقد انهزمت امام هذه
المشكلة وتأذيت نفسيا كثيرا .. وملَّكتُ كل شىء حتى بدأت انصرف عن
عيادتى فأتيتها يوماً وأغيب عنها يوماً ، وأقضى أوقاتا طويلة اقود فيها سيارتى
وسط الزحام شاردا ساهما لا أعبى مما حولى شيئا .

لقد تعمدت الا اكتب لك اسمى وعنوانى لانى لست باحثا عن فتاة تقبلنى
بوضعى الذى أنا عليه لانى تعقدت جدا من هذا الموضوع ، لكننى اكتب
اليك لأجد لديك بعض الراحة ولأسألك : أليست هذه هى ارادة الله التى
شاءت لى أن اكون هكذا بلا اهل ؟ وهل أنا مسئول عن أن ابى وأمى
وحيدان وأنى وحيد أبوى .. ولماذا لا يقدر الناس ظروف الآخرين ويتجنبون
إيذاءهم فيما لا ذنب لهم فيه ولا ارادة ؟ اننى لا أريد منك حلا للمشكلة

لا لى لم اعد راغبا فى حلها لكنى اريد منك كلمة رثاء لى قد تخفف عنى
بعض الامى .. ولى الله وحده فى كل ما لقيه وما ألقيه فى حياى من عناء ..



.. ولكاتب هذه الرسالة المؤلمة اقول :

لا يا صديقى لن تجد عندى « كلمة الرثاء » التى تنتظرها .. وانما ستجد
لدى كلمة بل كلمات إعجاب وانبار بك وحب لك . فأنت تستحق
الاعجاب لا الرثاء لصلابتك وكفاحك الأسطورى لكى تبنى حياتك وحيدا
تماما من الاهل والاقارب ومجردا من كل سلاح سوى إرادتك الحديدية
منذ كنت فتى فى سن الخامسة عشرة .

، مثلك يفخر به العقلاء ولا يرثون لهم .. لكن اعجابى بك يخالطه
لوم لك وعتاب عليك .. إذ كيف ينهزم شاب ممتاز بكل معنى الكلمة له
مثل إرادتك وصلابتك وتفوقك وذكاكك ، أمام موقف سخيى من أمثال
هذه السخافات التى تزخر الحياة بها ؟ وكيف تضع منك نفسك .. وانت
الفتى الذى واجه الحياة بكل مرارتها وصعوباتها وحيدا وهو ابن الخامسة
عشرة ؟ .

لقد واجهت من شذائد الحياة ما يبدو الى جواره هذا الموقف السخيى
هوا وعشا ، فلم لم تنظر اليه من عل .. وتفهم حجمه ، وتواصل حياتك
الى ان تجد من تستحقك ومن يفخر بك اهلها كشاب مستقيم ناجح ومتفوق
وابواب الحياة مفتوحة امامه على مصرعيا إنك رغم هذا النجاح مازلت
فى البداية .. ومثل هذه الارادة الصلبة لن تتوقف إنجازاتها عند حدّ افتاح
عبادة وامتلاك سيارة .. وانما سوف تحقق الكثير يا صديقى والكثير ، فكيف
تنهار أمام هذه العقبة المؤلمة ؟ .

انى اعرف تماما انه لا جريرة لك فيما حدث ومن المؤلم فعلا أن يُحاسب

الانسان عما لا حيلة له فيه ولا إرادة ونحن لا نختار لأنفسنا أبوين وأشقاءنا وأهلنا .. لكننا قد نختار لأبنائنا أمهاتهم وأخواتهم .. وهذه فقط هي مسئوليتنا تجاههم ، اما ما غير ذلك فهو على حد تعبير أبى العلاء المعرى « هذا جناه أبى على وما جنيئ على احد » . وأنت لم تكن على أحد يا صديقى .. ولم تحقق إلا كل خير وكل نجاح فلا تُحمِل نفسك مالا طاقة لها به .. والوحدة الحقيقية هي وحدة النفس الداخلية لا انعدام الأهل والأقارب فما أكثر ما نشعر أحيانا بالوحدة ونحن وسط زحام الآخرين وصخبهم وضجيجهم ، والوحدة الحقيقية هي ان تكون عاجزا عن حُب الآخرين والا تكون قادرا على اجتذاب حُبهم لك ، وأنا شخصا كثيرا ما تصلنى رسائل من فتيات وشباب يشكون إلى من إحساسهم بالوحدة فى بيوت مزدهجة بالآباء والأمهات والشقيقات والأشقاء ، حيث ينطوى كل انسان على نفسه وآماله وآلامه بلا مشاركة حقيقية من الآخرين ولا مشاركة منه لهم .

فالناس يا صديقى قد يتجاوزون لكنهم أيضا قد لا يشاركون .. وقد لا يخفف عنهم جوارهم شعورهم بالوحدة وفقدان الرفيق وإنعدام الأهل بمعنى الكلمة الحقيقى .. فلست وحدك فى همومك .. لكنك قد تميز عن كثيرين بما حَبَّتْ به العناية الإلهية من مزايا وإمكانات أهمها الذكاء والنزوق والإرادة فافتح قلبك للآخرين يا صديقى وتمسك بروابطك بأهل قريتك ولا تفصل عنهم فهم اهلك الحقيقيون وعُد الى مرضاك وإعطهم الحب والرعاية والاهتمام .. وابذُر الحب والخير والعطاء لمن حولك ومن تتعامل معهم ومن يستجدون بك تجد لك فى كل بيت شقيقاً .. وفى كل مجتمع أسرة وفى كل مكان أباً وأماً وأهلاً طيبين ..



صورة الزفاف

« وجدت نفسى طفلا وحيدا لا اخ له ولا اخت .. يلعب فى بيت واسع مزدحم بالاقارب .. لى ام ككل الاطفال .. ولى أب طيب يعطف على .. هوت كما يلهو الاطفال .. وتعلمت فى المدرسة كما يتعلمون ولم يستوقفنى كثيرا فى طفولتى ان ابنى يدو بالنسبة لى اكبر مما ينبغى لطفل فى السابعة او الثامنة .. أو انه ليس شابا كاباء اصدقائى فى الشارع او المدرسة . وذات يوم كنت العب فى غرفة نوم امى فعثرت بين اوراقها على صورة قديمة لها بفستان ابيض الى جوارها رجل غريب .. تفرجت عليها بامعان ثم حملت الصورة الغريبة الى احدى خالاتى وسألته ببراءة : من هذا الرجل ؟ فاجابت بعفوية انه ابوك . وكانها احست بانها اخطأت فصمتت ورفضت الاجابة على اسئلتى الكثيرة .. الى ؟ من يكون اذن هذا الرجل الذى اقول له « يا بابا » منذ ولدت ؟ بعد الحاح منى وبعد فترة طويلة عرفت انه جدى لامى وعرفت ان ابنى الحقيقى منفصل عن امى من قبل ولادتى وعرفت اننى ثمة زواج لم يستمر اكثر من عدة شهور تحطمت سفينة بعدها على صخرة الانفصال .. وان كلا من الزوجين قد شق طريقه بعيدا عن الآخر ولن تصدقنى اذا قلت لك اننى لم اتوقف طويلا عند هذه المفاجأة القاسية .. فلم أبك او أنهار وانما واصلت حياتى العادية .. لكنى بين حين واخر بدأت افقد هذا الاب الغائب واتذكر ملامحه التى رأيتها للحظات فى صورته فقد اخفيت الصورة بعد ذلك ولم ارها مرة أخرى قبل سنوات طويلة . وفى سن السابعة عشرة بدأت احس بحنين غريب الى هذا الاب شبه المجهول بالنسبة لى وضاعف من احتياجى اليه انه فى هذه السن كان جدى الطيب قد رحل من عالمنا وكانت خالاتى واخوالى قد تزوجوا وتركوا بيت الأسرة ولم يعد فيه سوى وسوى امى . وبالرغم من ذلك فقد اجتزت هذه المرحلة الحرجة

من العمر بآلام كثيرة وخسائر قليلة . وأكملت دراستي وتعرفت على زوجتي خلال الدراسة واحبتها ثم تقدمت لاسرتها لكي اخطبها واكتشفت في هذه الفترة مرة أخرى أهمية ان يكون للانسان اب . فهو الذى يدبر لك امورك في هذه المناسبة الهامة في حياتك وهو الذى يشير عليك بما تفعل وبما تقول وهو الذى يصحبك في لقاء التعارف الاول مع اسرة الخطيبة فتقدمه لصرهك بفخر قائلاً اى الاستاذ فلان . ثم تسحب انت الى الظل ويتكلم الكبار فيما بينهم عن المهر والشبكة والشقة وموعد الزواج . ولن تعرف يا صديقى هذه المראה الا اذا جربت بها بنفسك .. مرارة ان تجد نفسك وحيداً في هذه المناسبة كأنك مقطوع من شجرة .. لكن هذا حديث اخر . المهم ان تزوجت وانجبت من زوجتي وعشت حياة هادئة سعيدة والحمد لله لكنى بدأت الاحظ على نفسى منذ ذلك الحين اهتمامى الشديد الذى لا استطع ان اقاومه بتسقط اخبار اى والبحث عنه . بدأت استجوب اقارنى عنه وارتب المعلومات الضئيلة عنه .. واضع خططاً للبحث عنه كما يفعل المخبرون الخصوصيون في الحلقات البوليسية الاجنبية ، عرفت انه كان مهندساً وانه عقب انفصاله عن أمى غادر مصر وعمل في أوروبا لعدة سنوات ، وأنه تزوج من المانية وانجب منها ثلاثة ابناء ، وعلمت انه عمل عدة سنوات في السودان وعدة سنوات في ليبيا .. ثم علمت انه استقر بصورة نهائية منذ سنوات في استراليا . طرقت ابواب اقاربه المحدودين في مصر سائلاً عنه فرفضوا مساعدتى بآية معلومات عنه وكان موقفهم منى عدايتاً بالرغم من انى لا اريد منه شيئاً . وذات يوم سمعت انه في مصر حالياً ضمن فوج سياحى قادم من الخارج هو وزوجته وابناؤه الثلاثة « اخوتى » الذين لا اعرفهم ولا يعرفوننى .. وعرفت ان الفوج يقم في فندق « كوزمو بوليتان » بالقاهرة كان الخبر قد وصلنى قرب منتصف الليل .. فلم اتم الليل بطوله وفى السادسة صباحاً ارتديت افخر ثيابى .. وجمعت من الصالون كل التحف الصغيرة الموجودة به وافخر زجاجة كولونيا

لدى ولففتها جميعا فى ورقة هدية زاهية اللون وكبت عليها اهداء مناسباً ،
ثم حملت الهدية واسرعت الى الفندق .. تقدمت الى موظف الاستقبال وسأته
عن الفوج فقال لى فى هدوء لقد غادر الفوج الفندق فى الثالثة صباحا ليلى
بطائرته التى تتحرك فى السادسة والنصف .. نظرت الى ساعتى فوجدتها
تقترب من الساعة .. وفوجئت بدمعة تسقط فوق زجاج الساعة .. لا
اعرف كيف افلتت من عيني .. فحملت هديتى وانصرفت متعثرا خجلا من
موظف الفندق . عدت بعد ذلك بيومين لاحاول الحصول على عنوانه
باستراليا من سجلات الفندق فقالوا ان الافواج السياحية لا تسجل عناوين
اعضاءها فى بلادهم الاصلية . فذهبت الى السفارة الاسترالية بالقاهرة وطلبت
منهم مساعدتى فى الاهتمام الى عنوانه هناك فسمعوا قصتى فى الم ثم قالوا
لى لا نستطيع مساعدتك .

ستأتنى بالطبع .. ولماذا هذا الاحاح فى البحث عن ابى .. هل تحتاج
اليه بعد هذه السنوات الطويلة ؟ فاجيك على الفور : اننى لا احتاج اليه
ماديا فأنا رجل فى الثلاثين مسئول عن نفسه واسرته واعمل عملا ناجحا ..
ولدى اسرتى الصغيرة ومسكنى لكنى فقط اريده ان يعرف انى ابنه .. وان
له ابنا فى الثلاثين طويلا وسيما ناجحا فى عمله وفى حياته ، فقد يسره ان
يعرف ذلك ، فاذا سره ذلك فلعله يسره ايضا ان اكتب اليه فى المناسبات
بطاقة بريد اهنته فيها بالاعياذ واتمنى له فيها الصحة والسعادة فاذا جاء الى
مصر يوما فقد يسره ان تستقبله فى المطار اسرة ابنه الصغيرة وان احمله
بسيارتي الى فندقه اذا لم يرغب فى الإقامة فى بيت ابنه .. ولا شئ اكثر
من ذلك .. لقد اردت ذلك فقط .. فهل انا مخطفء فيما اريد وهل تستطيع
ان تقدم لى اية مساعدة للاهتمام اليه فى استراليا عن طريق بريد
الاهرام ؟ .



هذه الرسالة تلقيتها وقرأتها فتصورت نفسى اقرأ قصة رومانسية يغالب فيها البطل اقدارا اقوى منه ويبحث عن النجاة فيها فى العثور على اب غائب يتقل بين انحاء العالم ناسيا وراءه فى ركن من الدنيا ابنا لا يعرفه . هل اخطأ من قال يوما ان الزمن هو اعظم المؤلفين ؟ لا اظنه اخطأ فى ذلك فما تسجده الدنيا احيانا من قصص درامية يفوق كثيرا فى غرابته ما يسجده بعض المؤلفين .

تسألنى يا صديقى هل اخطأت ببحثك عن ابيك بعد كل هذه السنوات فاجيبك على الفور : لا لم تخطئ فهذا حقك المشروع فى ان تحاول الالتقاء بابيك والتعرف عليه « وإبلاغه » أن له ابنا مكتمل الرجولة وسيما ناجحا عطوفا يحمل مشاعر النبوة لأب لم يعرفه .. بل ان رغبتك فى التواصل مع ابيك هى رغبة نبيلة فى حد ذاتها من ابن تجاه اب لم يطلق منه شيئا من الرعاية والحنان او المسؤولية المادية .. واكثر نبلا منها هو انك لا تريد منه شيئا سوى ان تعطيه كصفك ليتوكلأ عليها فى شيخوخته وذراعتك ليستد اليها .. ولعلك لا تتبر أشجان الكثيرين برسالتك هذه ممن اعطوا كل شيء لابنائهم ثم بحثوا عنهم فى شيخوختهم ليتوكلأوا عليهم فلم يجدوهم .. او وجدوهم لاهين منصرفين عنهم الى حياتهم ومشغولياتهم . وهذه مفارقة اخرى من مفارقات الدنيا الغريبة فانت تبحث عن اب لا تعرف له عنوانا .. وابناء كثيرون لا يبحثون عن اباء وامهات يعرفون جيدا عناوينهم وارقام تليفوناتهم .. المهم انى مع تقديرى لمشاعرك لا اريد ان تتركس حياتك لهذا الهدف وحده .. فلقد ارضيت ضميرك واديت واجبك تجاه ابيك فان نجحت فى الاتصال به فهو شيء جميل وان فشلت الجهود فعض كما عشت من قبل وكما يعيش الكثيرون ممن حرموا من آباءهم وأمهاتهم .. وقدم لابنائك ما حرمت منه انت واحرص على حياتك لكى لا تعرضهم لما تعرضت له انت وهذا هو درس التجربة المفيد ، اما مساعدتى لك فالحق انى لست كبير الامل فى امكان

مساعدتك لكن هناك املا واهيا هو ان يقرأ قصتك هذه احد قراء الاهرام
المقيمين في استراليا فيكتب الى طالبا اسم ابيك .. فاذا حدث ذلك فان الامل
يصبح كبيرا لان المصريين في استراليا منظمون في جمعيات ولهم اماكن
تجمعات معروفة يسهل الالتقاء اليهم عن طريقها فمضى ان يتحقق هذا الامل
الواهي .. ويجمع الشمل مع تمنياتي لك بالسعادة في كلتا الحالتين .

حد السيف

بعد تردد استمر ثلاثة أشهر قررت أن أكتب إليك لأسألك عن رأيك في مشكلتي . انا يا سيدى شاب في الثانية والعشرين من اسرة ثرية تمتلك فيلا في القاهرة وأخرى في الاسكندرية ولدينا سيارات وشغالات وخلافه كنا نقضى الصيف في الاسكندرية منذ ٧ سنوات عندما ركبت مع شقيقى سيارته لنسافر إلى القاهرة لأعرف نتيجة امتحانى في الشهادة الاعدادية وفي الطريق انقلبت السيارة بسرعة بنا عدة مرات وأصبنا اصابات مختلفة ، فأصيب شقيقى برضوض خفيفة .. واصبت أنا لسوء حظى في العمود الفقرى .. ولا أريد أن أطيل في التفاصيل المؤلمة .. وسأعبرها لأقول لك الى منذ ذلك اليوم وانا حبيس المقعد المتحرك .. ولن اصف لك الصدمة التي اصبت بها وأنا أجد نفسى جسما عاجزا عن الحركة .. وهذه هى ارادة الله ولا راد لقضائه وعلى أية حال فلقد كنت أحسن حالا من غيرى ممن اختار لهم القدر هذا المصير ، فلقد جهز لى ابى الفيلا بمساعد تحملنى الى ادوارها وخصص لى سيارة وسائقا للذهاب الى المدرسة كل يوم وسارت حياتى الى إن التحقت بالجامعة وكانت فترة اكثر كآبة في بدايتها إذ كان على السائق بمساعدة أحد السعاه ان يحملنى كل يوم أمام زملائى في الجامعة ووسط نظرات الشفقة من كل جانب ، وكان على أن أتفادى نظرات الآخرين وان اخفض رأسى لكى لا أرى أحداً وأنا محمول بهذه الطريقة لكى أتناسى وجود الآخرين ، ومضت ايامى الاولى في الجامعة على هذا النحو .. الى أن برزت وسط هذه النظرات المشفقة عيان أحسست لأول وهلة رايتهما فيها انهما لا يحملان لى الشفقة وانما شيئا آخر لا أعرفه على وجه التحديد ... وشدتنى هاتان العيان إلى صاحبتهما .. ووجدت نفسى لأول مرة على

استعداد لان اتقبل صداقة جديدة منذ تغير مجرى حياتى وأعجبني فيها أنها لم تشعرني انها تعرفني اشفاقا على وانما ارتياحا الى فارغحت اليها أنا ايضا وازداد ارتباط كل منا بالآخر .. وحدث بعد ذلك أن تغيبت فترة عن الكلية ففوجئت بها تزورني في البيت مصطحبة شقيقها الأصغر وحاملة معها كراسات المحاضرات التي فاتتني . حاولت أن اقاوم مشاعري تجاهها ولكن الوقت كان قد فات . ومع نهاية العام الدراسي كنا قد تأكدنا اننا قد ارتبطنا برباط لا ينقسم ، لكنني مع ذلك وقفت مع نفسي لأراجعها .. وقررت في النهاية ان أصارحها بحقيقة حالى ومن خلال دموعى قلت لها كل شيء . قلت لها إلى جسد بلا روح واننى عاجز عن الزواج ، وامتنعت عن مقابلتها وعن الذهاب الى الكلية .. وعشت اياما سوداء . لا أذوق النوم .. ولا الراحة ولا أغانر البيت وكلما لاحت صورتها في مخيلتى ابعدها بعنف لكى لا أضعف ، ويبدو أن المعاناة النفسية التي عانيتا كانت شديدة لأنى رحمت ذاتى يوم في غيبوبة افقت منها فوجدت نفسى طريح الفراش في المستشفى ، ووجدتها بجوار سريرى ومعهامى ووجدتها تؤكد لى انها تحبني وانها ترغب بصدق فى ان تتزوجنى وتقسم لى اننى إذا لم اتزوجها فلن تتزوج غيرى ، وبكت وبكيت معها وبكت امى ، وبدأت افكر فى الارتباط بها ، لكن اخوتى عارضوا فكرة زواجى منها .. وقال لى اخى الاكبر انها لا تريد من ورائى سوى المال وانها بعد ان تحصل على ما تريد سوف تتركنى وتخلف لى الحسرة والندم ، وسأل عنها زوج شقيقى وجاء يقول لى ان حالتها المالية حسنة وأنها ابنة احد المديرين ، فعاد أخى الاكبر يقول لى انها ربما ترغب فى الزواج منى لتخفى اثار خطأ ارتكيبته .. فتأزمت نفسيا وامتنعت عن مقابلتها ثم قابلتها من جديد وصارحتها بشكوك أخى فيها فبكت وقالت لى من بين دموعها أنها على أتم استعداد للخضوع لأى فحص طبى يؤكد زيف هذه الفكرة .

إحترت يا سيدى واحترار دليلي .. فأنا أحبها وهى تحبني وتجمعنا رابطة روحية غريبة .. فكلانا يشعر بالآخر على بعد كيلومترات .. وكلانا يفكر في نفس الأشياء في نفس الوقت .. ونحب نفس الأشخاص .. ونكره نفس الأشخاص .. ونحب نفس الألوان ونكره نفس الألوان .

إننى أريد ان اسالك سؤالاً يحيرنى ويقض مضجعى هو هل يوجد على ظهر الأرض من يقبل أن يفرّ بانسان عاجز من أجل المال ؟ وهل الحب انجرد من أى رغبة موجود ؟ وهل للثلى الحق في الحب والزواج ؟ .

إننا لم نستقر على قرار حتى الآن .. وهى سوف تواجه كل أسرتها من أجل وستقف أمام معارضتهم لزواجها منى وأنا سوف اواجه معارضة اخوتى من أجلها .. وأريد أن تساعدنى بالرأى في اتخاذ قرارى ، فأسرع لأننى يجب أن أحدد موقفى قبل بداية العام الدراسى وهو آخر اعوامى في الجامعة .. اننى حائر يا سيدى .. فأنقذلى .



• ولكتاب هذه الرسالة اقول :

وأنا اكثر حيرة منك يا صديقى .. وأصارحك اننى لا أستطيع أن أجزم برأى قاطع في مشكلتك إلا لو حكمت المنطق القاسى البارد كحدّ السيف وحده واعترف لك اننى لا اريد من البداية ان احكم المنطق وحده في قصتك متناسيا كل الاعتبارات الاخرى فمن قال ان الحياة يحكمها المنطق وحده ؟ ألسنا نرى في الحياة زيجات توارثت لها كل مقاييس النجاح حسب القواعد المنطقية الدقيقة ومع ذلك فشلت ونجرح أصحابها كأس التعاسة حتى الثمالة ؟ ألسنا نرى في الحياة زيجات حكم عليها اصحاب العقول منذ البداية بالفشل لأنها ضد كل منطق وضد كل المقاييس ومع ذلك فلقد نجحت وأثمرت وأزهرت زهور السعادة الفوّاحة ؟ .

ماذا نقول في ذلك ؟ وماذا يمكن أن يقول المنطق البارد عنها ؟ إن السعادة يا صديقي هبة من عند الله يؤتيها من يشاء فلم لا تكون السعادة تعريضا لك عما امتحتك به الحياة ؟ .

لقد ذكرتني رسالتك بقصة أمريكية قديمة قرأتها منذ زمن طويل ، كانت الأسرة فيها مشغولة ، بالاستعداد لزفاف ابنتها وجاء شقيقها الأكبر من مدينته البعيدة مع زوجته الجميلة التي تزوجها منذ شهور فقط بعد حب عفيف ولاحظ الأب ان ابنه مهوم بشيء لا يعرفه .. وعرف أنه على خلاف مع زوجته ويرغب في طلاقها ، ولم يجد في غمار الاستعداد للزفاف فرصة لمناقشته إلا خلال حفل الزواج الراقص ، فانتحى به جانبا ثم سأله لماذا تريد ان تطلق زوجتك ؟ فأجاب الابن : لاننى لست سعيدا يا أبى ، فظفر اليه الأب نظرة طويلة حانقة ثم قال له بحق : ومن هو السعيد يا ولدى ؟ هل كل هؤلاء الأزواج الذين يراقصون زوجاتهم حولنا سعداء ؟ هل كل هؤلاء الزوجات سعيدات ؟ هل ترى هذين الزوجين انهما منفصلان منذ ٣ اعوام لكنهما يريان أطفالهما ويلبيان الدعوات الاجتماعية معا .. وهل ترى هذين الزوجين انهما لا يخاطب احدهما الاخر منذ ٤ سنوات الا أمام الآخرين في الحفلات العامة والدعوات ؟ وهل ترى .. ولماذا نذهب بعيدا اننى متزوج من امك منذ ٢٥ عاما فهل يعنى ذلك بالضرورة اننى سعيد ؟ إن هناك أشياء عديدة تربطنا معا .. ونشارك فيها اما السعادة الحقيقية فهذا شيء اخر ولو طلق كل زوج زوجته لانه لا يشعر معها بالسعادة كما يتصور خلعت بيوت عديدة من سكانها .. فاعقل يا بنى .. ولا تهدم بيتك بيدك ؟ ولا اعرف بالتحديد لماذا ذكرتني رسالتك بهذه القصة .. هل لأنها تقول إن السعادة مطلب عزيز النال - وان الانسان لا يستطيع أن يحكم على المظهر الخارجى للآخرين ؟ ام لأنها تقول إن هناك أشياء صغيرة عديدة يمكن أن تجمع بين الناس ولو خلعت حياتهم من السعادة لا اعرف على وجه التحديد لكننى اقول

لك يا صديقى إن كل شيء محتمل .. وإن السعادة ليست مقصورة على
الأصحاء .. ولا على الزيجات التى تتوافر فيها المقاييس المنطقية الدقيقة .
فاستفت قلبك وحده ولتستفت قلبها فإن أفتاك بصدق حاجتك إليها
وصدق حاجتها إليك وارتبطتما معا فلربما غيرتما المألوف وعشنا حياة سعيدة
أما إن فشلت التجربة بعد حين واكتشفت هى أنها لا تستطيع أن تواصل
الرحلة معك الى النهاية فلقد فُزْتُ من العمر بزمن من السعادة لا يقدر بكنوز
الدنيا وخرجت من التجربة بأقل قدر من الخسائر وكذلك هى ، ولا يحكم
على القلوب إلا خالقها . إننى اعرف أن رأى هذا لن يرضى أصحاب المنطق
العقلانى المجرد لكن لا أستطيع أن اطالبك بأن ترفض أى شعاع للامل يتسلل
الى حياتك ولو فعلت لما أعفيت نفسى من اللوم .

الجريمة .. والعقاب !!

هذه رسالة من رسائل « الاعتراف » التي أتلقها من حين الى اخر واواخر الرد عليها في باب « ردود خاصة » مهونا الامر على صاحبها غالبا وداعيا إياه لأن يكف عن اجترار الالم وان ينظر الى الامام .. لكن هذه الرسالة تختلف تماما عن كل الرسائل التي تلقيتها من قبل من هذا النوع .. لذلك فلقد آثرت نشرها رغم بشاعتها لعلنا نجد فيها معا ما يضيف الى خبرتنا بالحياة شيئا جديدا حتى ولو كان مؤلما غاية الالم .. تقول كلمات الرسالة التي لم اتدخل كثيرا في صياغتها لكي احافظ على فضاة صدقها الكريم .

« اكتب اليك لعل أجد السلوى والعزاء لي فيما اعانيه فانا يا سيدى انسانية أكره نفسي وقصتي بدأت منذ ٨ سنوات حين تزوجت رجلا له ابنة وحيدة في العاشرة وكانت فتاة مسالمة طيبة القلب لكنى كنت اكرهها بلا سب ولا تسألنى لماذا لأننى أنا نفسي لم استطع أن اجد جوابا على هذا السؤال حين سألته لنفسى كثيرا الا إذا كان هذا السبب هو ألى انسانية أنانية لم أقبل ولم أتخيل ان يشاركنى في الرجل الذى أحبه احد أو « شئ » حتى ولو كان هذا الشئ هو إبنته الوحيدة ! لذلك كنت أعاملها بقسوة غريبة وكنت أحملها « شغل البيت » كله لكي لا أتيح لها فرصة للمذاكرة ومع ذلك فقد كانت تنجح في المدرسة كل سنة ولا تشكو ولا تتبرم .. ولا تشكونى لايها مهما فعلت ربما استسلاما للامر الواقع أو خوفا منى .

وكانت هذه الابنة يا سيدى مريضة تهاجمها من حين الى اخر نوبات الكلى القبطية فتعذب عذابا لا يطيقه بشر .. لكنى كنت لا أسأل فيها عندما تمرض وكنت أغلق عليها باب حجرتها حين تهاجمها التوبة لكي لا اسمع صراخها الذى يفتت الكبد ولم يكن يؤثر في وقتها بكل اسف .. ومرت ٧ سنوات

على هذا الحال والبنت مستسلمة للحياة وإرادتى ولأوامرى .. وكان أبوها يعرف انها مريضة بالطبع لكنه لم يكن يعرف ان الثوبات تعاودها كثيرا .. وان كل نوبة تأتى أشد من النوبة السابقة لأنى كنت قد حرمت عليها ان تشكو من مرضها لايها ولانى أيضا لم أكن ابلغه بها . وكان زوجى يحكم عملا بيت كثيرا خارج بيته مطمئنا الى ان ابنته فى رعايتى . وفى ليلة جاء الى البيت على غير انتظار إذ كانت من الليالى التى يبيت فيها فى عمله . وكأنه يعرف ماذا سيحدث فقد كانت النوبة قد عاودتها طوال النهار وهى راقدة فى غرفتها المغلقة عليها تعذب ويصلنى صوت صراخاتها المكثومة لكى لا أنهرها اذا سمعتها ، ثم حين عاد أبوها سمعنا معا صوت صراخها . كالفحيح فلم أجد مفرا من الذهاب إليها معه فى غرفتها وكانت مستلقية على السرير تجز على اسنانها من العذاب ويتنفض جسمها مع كل هجمة ألم فيرتفع فوق السرير ويتفوس ثم يهبط مسترخيا ضعيفا الى أن تعود الهجمة كانت تجز ، من الألم يا كبدى ففزع أبوها واقربت أنا منها ووضعت يدى على كفها . وصدقنى - وانا اعرف رأبك الآن فى - اننى كنت قد احسست بالندم وبالألم من أجلها لأول مرة فى حياتى ، فلمستها يدى ففوجئت بها تبعدنى عنها بكل ما تبقى فى جسمها الضعيف من قوة وتصرخ فى اخرجى بره .. اخرجى بره . ثم أمسكت يدها الذى تنساقط دموعه وراحت تقبلها وظلت ممسكة يدها تقبلها الى ان فارقت الحياة بعد لحظات .

ورحلت ابنة زوجى الصغيرة . رحما الله وتركت لى عذابا لا يطاق هو عذاب الضمير .. فلقد اكتشفت بشاعة ما ارتكبته ضدها من ضرب واهانة واهمال . لقد ماتت وارقات . لكنى الآن اتعذب بها فانا اصحو من النوم مفزوعة ... احلم بها ٣ او ٤ مرات كل ليلة وأراها فى الحلم تخفى وتقول لى « انت السبب فى موتى » . حتى أصبحت اخاف النوم حتى لا اراها . أدخل المطبخ فأراها فى كل مكان فيه حيث كنت أرغمها فى الليالى الباردة

على ان تغسل الأواني والاطباق لكي لا أتيج لها فرصة للمذاكرة ، واراها في كل ركن في البيت إنها تطاردني وانا نائمة وانا مستيقظه وأبها ذهبت . حتى لقد طلبت من زوجي أن تترك الشقة التي نعيش فيها الى شقة اخرى ولكن هيات ان يتحقق ذلك مع ازمة المساكن . انها تعذبني لاني السبب في موتها « ليتني ما عذبتها .. ليتني عاجلتها .. ليتني اشفقت عليها وهي تعذب بالألم . انني أكتب لك هذه الرسالة وأنا اعرف انها سوف تثيرك ضدى لعلك رغم ذلك تقول لي كلمة تخفف من عذابي وأكتبها ايضا لكي تقرأها كل زوجة أب على وجه الأرض فلا تعامل أبناء زوجها « بكرامية » ولكي لا نسيء معاملة أبناء زوجها .. وان كانت قد فعلت فلتكف عن ذلك وتصلح من خطئها قبل ان ياتي يوم لا يبقى لها فيه سوى الندم وسوى العذاب كما اتعذب الان .. فهل اجد لديك السلوى التي أطلبها ، التوقيع « زوجة أب حاقدة ونادمة » .



.. هذه هي الرسالة « الجريمة » التي تلقيتها ، ولكاتبها اقول بلا تردد لا يا سيدتي لن تجدى عندي ما تريدين .. فلقد ارتكبت ابشع الجرائم .. وهي جريمة تعذيب النفس البشرية التي حرم الله تعذيبها وارتكبت هذه الجريمة ضد من ؟ ضد فتاة صغيرة ضعيفة لا حول لها ولا قوة طيبة القلب إستسلمت لقدرها فلم تشك ظلمك لها لأحد ولم تصرخ في وجهك الا حين اذن الله لروحها أن تتحرر من سجن الجسد وان تغادر هذه الدنيا الظالمة ، فكيف هان عليك يا سيدتي أن تسمعي صراخها المكتوم وهي تعذب بالألم في نوبات الكلى البشعة فلا تحرك فيك عطفك ونحوك ولا تشارك الانسانية البسيطة التي لا يخلو منها بشر حتى القطة المحترفين .. فتسارعى الى نجاتها بالعلاج وبالدواء او حتى بالكلمة الطيبة وهو أضعف الايمان ؟ لقد رأيت رجالا اشداء في نوبات الكلى المؤلمة يصرخون من الألم صرخات تزلزل

الجدران .. ويقولون عقب زوالها ان الآمها تهد الجبال .. فكيف هان عليك ان تربها وهى الفتاة الضعيفة فى هذا العذاب ولا يتحرك لها قلبك ؟ بل حرمت عليها الصراخ من الألم . حتى الصراخ من الألم يا سيدى حرمتها منه .. أى بشاعة .. واى قسوة واى سادية ؟ إن كثيرين لا يحتملون مشهد قطة تتعذب بالألم لأنها روح أمرنا الله بألا تعذبها فكيف احتملت عذاب هذه الابنة الطيبة القلب المطيعة المستسلمة لاقدارها .. وبأى ذنب استحققت كل هذه الاهوال .. وماذا ستقولين للعادل الذى لا يظلم أحداً حين تقفين معها أمامه يوم الحساب .. « وإذا المؤودة سئلت بأى ذنب قتلت » حقا بأى ذنب استحققت هذه البرينة كل هذا العذاب ؟ وبأى ذنب وأدتها يا سيدى بأنها يتيمة محرومة من عطف الأم وحنانها ؟ ام بأنها ودیعة ائتمنتك عليها ابوها وهو غافل عن « ساديتك » وسوء طويتك وقسوتك ؟ ثم تشكين بعد ذلك مما تعانیه ومما ترين فى احلامك ؟ ألم تعرفى يا سيدى أن لكل جريمة عقابا .. وان بعضنا ينال بعض عقابه فى الدنيا وبعض عقابه فى الآخرة . وان العقاب عاجله وآجله هو ضربه واجبه السداد عما جنت أيدينا ؟ صحيح انها أعمار وآجال فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون .. لكن ذلك لا يخفف أبدا من جريمة تعذيبك لها حتى الموت .. ولا من جريمة اهمالك لعلاجها .. وتفاعسك عن نجاتها فى اشد حالات الألم .. فلا عجب اذن ان « تدفعى عاجله » الآن يا سيدى فهذا عدل . وسوف تدفعين « آجله » حين يشاء الله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأوئك يئذل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما .

فليكن ما حدث درسا لك لا تنسیه مع الايام ولتكن توبتك خالصة حقيقة ولتكفرى بالعمل الصالح عما جنيت لعل الله يتقبل منك . وارجو الا يكون ندمك مؤقنا وألا يكون محاولة للتخلص من العذاب الذى تلاقينه الآن ، أو للتخلص من خيال الفتاة البرينة الذى يطاردك على طريقة « لن

تام الليل يا ما كبث ، كما كان شبح الملك القتييل يطارد قاتله . وفى النهاية فانه اذا كان لرسالتك البشعة هذه من فائدة فلعلها فى انها تقول للاباء والامهات بلا استثناء بالتجربة المؤلمة : ان ابناءكم وديعة استودعكم الله اياها وسوف تسألون عما صنعتم بالأمانة ، فلا تفرطوا فيها ولا تدعوها تغيب عن إشرافكم ورعايتكم وحمايتكم مهما كانت الاحوال .. فلا احد يعرف ماذا يمكن ان تصل اليه نوازع النفس البشرية من الفظاعة فى بعض الاحوال ولا احد يعرف ماذا تخفى بعض الوجوه « البريئة » وراء اقنعتها ثم فى أن هذه الرسالة تقول « للبعض » وبالتجربة المؤلمة ايضا كفوا عما ترتكبون من جرائم فى حق الأيتام الضعفاء الذين استودعهم اياهم فلن تفلتوا من العقاب عما جنيم .. ولن يفيدكم الندم يوم لا ينفع الندم .

وليغفر الله للجميع .

الندم

« تخشيت أن احضر اليك في مكتبك خوفا من ان تقسو على .. وقررت ان اكتب اليك بما جرى لى بعد نشر رسالتى الاولى فى بابك .. فأنا يا سيدى زوجة الاب التى نشرت رسالتها منذ عدّة شهور بعنوان معبر هو « الجريمة والعقاب » والتى هاجتها فى ردك على الرسالة ولست ألوّمك فى ذلك فأنا استحق كل ما كتبته عنى .. بل واكثر منه .

نعم أنا زوجة الاب التى تسببت فى موت ابنة زوجها البريئة الطيبة المريضة بالكلى والتى كانت تتركها تتلوى من الألم فى غرفها وتحرم عليها حتى الصراخ من الألم والتى كانت تخفى عن أبيها مرضها وتحرم عليها الشكوى حتى ذُبلت الفتاة ، أنا هذه الزوجة القاسية الأنانية وانا اكتب لك هذه الرسالة لأروى لك ماذا صنعت بى الايام بعدها ، فعقب نشر الرسالة قرأها زوجى والد الفتاة وشكّ فى الامر ، فسألنى عنه ، وكنت فى قِمة عذابى بعد المأساة فاعترفت له بالحقيقة .. بكل شيء .. لأنى اردت ان ازج عن صدرى ما يثقله .. وصُدِمَ زوجى صدمة بالغة إهتز لها كيانه .. ومضت ايام ثقيلة وهو يعانى من آلام تنوء بها الجبال ويمضى الساعات صامتا حزينا اما انا فقد إستسلمت لمصرى ، ثم حَزَمَ زوجى امره وطلقنى بعد فترة قصيرة ، وصدقنى اننى لست منزوعة مما جرى لى ، فكل جريمة عقاب كما قلت انت فى تعليقك على رسالتى الأولى ، وهذا هو عقابى وليته يقتصر على ذلك او ليته يعفىنى من عقاب السماء بعد أن نلت جزائى فوق الأرض لقد اصبحت وحيدة .. ولا هم لى الا ان اكفر عن خطيئى فأخرجت بعض ما املك من مال كصدقة على روح الابنة التى تسببت فى موتها ولست نادمة على ذلك فلعل الله يتقبل منى التوبة .. وقد هاجنى المرض اللعين وأصبحت طريحة الفراش واحس اننى

سوف ألقى وجه الكريم وقد ارسلت لك هذه الرسالة لیساعنی قراؤك الذين قرأوا رسالتی الاولى وصبوا غضبهم ونقمتهم على وهم على حق لكنی ارجو منهم السماح ، كما كتبت رسالتی هذه لتكون عبرة لمن سلکوا نفس طریقى وظلموا أبرياء صغارا لا يستطيعون الدفاع عن انفسهم او عن حقوقهم .. ولیعلم الاخرون ان الله فوق الجميع یراقبهم ویحصی علیهم اعمالهم وانه يأخذ بحق المظلومین من ظالمیهم وان تأخر القصاص .. والسلام علیکم ورحمة الله وبرکاته .



.. ولكاتبه هذه الرسالة اقول :

لیغفر الله لك يا سیدتى ما تقدم من ذنبك .. ولیقبل منك توبتك .. ولیغفر عنك جزاء ما أحسست به من ندم صادق على ما فعلت .. وجزاء ما لقيت فی الدنيا من عقاب ولقد یرضى الانسان احيانا بما یلقى من عقاب عاجل مؤملا ان یکون من المعجلین لهم بالعقاب فی دنياهم .. وممن یدل الله سیئاتهم حسنات فی أخرهم وأظن ان هذا الاحساس هو سر رضائك عما جرى لك فيما بعد .. فلقد تطهرت يا سیدتى مما فعلت ، بنيران الندم التى تلسعك كالسنة اللهب .. وهذا يؤكد لك انت قبل غیرك ان لك ضميرا كان غافيا ثم استيقظ عقب التجربة المريرة فلعل فی ذلك دروسا قاسية ، لمن يتصورون أنهم يتحركون فی الحياة بلا رادع من ضمير .. او من وازع دینی .. وقد یزأون احيانا بمن یدكرهم بعذاب الضمير اذا استيقظ .. وبعذاب الندم اذا شبت فی القلب نيرانه .. لیتذكروا ذلك جيدا .. ولیستعدوا جميعا للجهیم الذى ينتظرهم عندما يستيقظ النائم بین حنايا صدورهم ولابد من يوم يستيقظ فيه وان طال الانتظار .

اما انت يا سیدتى فلا تیأسى من رحمة الله .. وأظن ان قراء هذا الباب

الذين نعموا عليك من قبل لا يحملون لك الآن أية ضغينة بعد كل ما جرى ..
وما انت في النهاية سوى امرأة وحيدة ضعيفة إغترت بالدنيا في بعض الفترات
من حياتها فقست .. ثم دفعت الثمن غاليا ولم تزل .. فليقبل الله توبتك والله
يغفر الذنوب جميعا . سبحانه وتعالى وفي النهاية فانه :

« اذا كان ذنبى كل ذنب فانه

محا الذنب كل الخو من جاء تائباً»

صاحب الجلالة

أنا شاب عمري ٣٩ عاما اكتب اليك هذه الرسالة وأنا جالس في مكتبي ، بالورشة التي أملكها وأديرها .. فانا ميكانيكي اكسب كثيرا وانفق كثيرا لكنني الى جانب ذلك متعلم ، او بمعنى اصح أحب ان أحس أنني متعلم ، فقد أنهيت دراستي الثانوية وكان والدي يفريني دائما بالعمل معه في الورشة لكي أساعده في العمل وأحفظ عليه ماله . لكنني كنت أحلم أيامها بان اكون « أفندي » كان ذلك منذ عشرين سنة .. وكان « الأفندي » هو الصورة التي تلهب خيال الشباب أيامها . ولم تكن المهنة موضع احترام كبير او بمعنى اصح موضع حسد و« قر » من الناس كما هي الان . المهم الى استسلمت لمصري وبدأت العمل في الورشة وفرح أي فرح كبيرا بذلك اما أنا فكنت موزع المشاعر بين الرضا والغضب .. والحق انني لم اكن أدخل في داخلي من « حسد » لزملائي الذين واصلوا تعليمهم وأيضا تجاه أشقائي الصغار الذين كانوا يواصلون طريق التعليم بنجاح وأنا اعترف بذلك ، فأنا بشر أما ابناء المهنة الذين كنت اتعامل معهم .. وهذه عقدة اخرى فقد كنت أحاول ان احس بانني « مختلف » عنهم وقد وجدت في عملي الجديد تعويضا عن اشياء عديدة فانا في يدي وجيى باستمرار مبالغ كبيرة وزملاء الدراسة الذين واصلوا طريق التعليم يشكون دائما ضيق ذات اليد . والحق الى اشعر بشيء من الترفع إزاءهم ، وسأكون صريحا معك واقول لك انني كنت أشعر بنفس الشيء تجاه اخوتي اللذين واصلوا طريق التعليم وعملوا بالوظائف لنفس السبب . المهم مضت الايام ومات والدي رحمه الله ، وكان قد باع لي سوريا نصف الورشة في حياته فلم اجد صعوبة في نقل باقي ملكية الورشة إلى فقد تفاهت مع اخوتي وهم شقيقان وشقيقتان على ان اتكفل بنفقات تعليم وزواج شقيقتنا ورعاية انا الى اليوم المحتوم .. وعدا ذلك فلا شيء . وقد كان

وفى هذا الوقت كنا جميعا نعيش فى شقة واحدة واسعة فوق الورشة .. فمضت الحياة هادئة .. تزوجت شقيقتاى وتزوجت أنا من فتاة طيبة جميلة من معارفنا احببتها فترة طويلة وانجبت منها ابنة جميلة .. ثم ابنة ثانية .. ثم املت على والدتى فى الانجاب مرة ثالثة لارزق بولى عهد يحمل اسمى فكان النصيب هو ابنة ثالثة واستجبت لرغبتها مرة أخرى فكان النصيب ابنة رابعة .

وفى هذا الوقت حدث « انقلاب » فى الصنعة ، فبعد ان كانت تدر عدة مئات من الجنيهات كل شهر انفق منها ببذخ ويبقى منها جزء معقول للادخار اصبحت فجأة منجما للذهب . واصبحت تدر الآلاف ولعبت « البلية » معى فتاجرت الى جوارها فى قطع الغيار وخلال سنوات محدودة كنت قد اصبحت من الأثرياء .. فقررت تجديد حياتى .. انتقلت الى شقة فى عمارة يسكنها دبلوماسيون فى حى الزمالك . وبقيت أُمى فى شقتها القديمة مع اسرة شقيقى الصغير الذى تزوج فيها . اما شقيقى الأصغر فقد تزوج وعاش فى شقة اخرى فى نفس الحى واشترى سيارة فولفو .. ووجدت نظام الورشة كما هو منذ ايام ابنى فاقطعت لنفسى مساحة منها أحطتها بسور زجاجى وجعلت منها غرفة لمكتبى .. وألقتها بغرفة مكتب فاخر لاختلف عن غرفة مكتب أُمى وزير . ووضعت على مكتبى عدة تليفونات ملونة .. ووضعت فى الغرفة ثلاجة وتلفزيونا ملونا .. « وكوفى ميكرو » أى جهاز صنع القهوة ، وعينت لنفسى ساعيا يقف على باب المكتب وسكرتيرة تحمل دبلوم تجارة ، واكملت الصورة التى أردتها لنفسى ستألى بعد ذلك وأين المشكلة .. فأقول لك المشكلة أننى اعيش هائلا مع زوجتى وبناتى أحبين جميعا ويادلننى الحب ، لكن غير راض ولاسعيد لأنى اريد أن أرزق بابتين يحمل اسمى .. ويرث مالى ويرث الورشة التى إتسع نشاطها ، وبين حين واخر توسوس لى نفسى أن اتزوج خفية وأنجب ولدا يرث هذه « المملكة » ويحفظ لاختوته مالى وكلما طال العمر اختمرت الفكرة فى ذهنى ، فما رأيك ؟



.. رأى إنك انسان جاحد لاستحق العطف ، وانما تحتاج الى من يهوى على رأسك بلكمة قوية تفيقك من غيوبتك ! .. يارجل .. انعم الله عليك بكل هذه النعم وأرضى كل « عقدك » حتى أصبحت تقارن غرفة مكتبك بغرفة مكتب وزير .. وتسكن عمارة يسكنها الدبلوماسيون .. وتركب « الفولفو » وتلبس « البير كاردان » .. وتقدم لضيوفك القهوة من « الكوفي بيكر » كما يحدث في المسلسلات الاجنبية وتحب زوجتك وبناتك .. ولا تشكو من مرض ثم تقول لى انك غير راض لانك لم ترزق ولدا يرث عرش مملكتك ؟ ماذا تظن نفسك ؟ خوان كارلوس ملك اسبانيا أم كارل جوستاف ملك السويد ؟.. لقد كنت على استعداد لان احترم آلامك .. اذا قلت لى انك تشاق الى طفل .. وهو شيء مقبول .. لكنه ليس نهاية الدنيا . ولا فرق بين ابنة وابن . لكنك حتى لا تقول لى ذلك وانما تقول أنك تريد وريثا للورشة يحمل اسمك وهذا هو ما يغيظ .. فالسعادة ليست فى ابن يحمل الاسم او ابنة .. لكنها فى الرضا .. وفى اسرة حانية ترعى الانسان وتبدد وحشته .. وكل هذه المقومات حباك الله بها .. وزاد عليها من فضله .. سعة فى الرزق فماذا تريد ؟

اذا كنت تبحث عن المتاعب . فانت وشأنك لكن اذا كنت تطلب النصيحة .. فاسمع نصيحتى ولا تتزوج مرة اخرى لكى تنجب ولدا فحظم قلب زوجتك وتبدد سعادتك .. فمن يدريك ان زوجتك الجديدة ستحب ولدا .. لا بنتا .. ومن يدريك انها سوف تنجب على الاطلاق .

اننى استطيع ان اروى لك اكثر من قصة لاشخاص ارتكبوا نفس الخطأ فاخلفت المقادير ظنونهم فهل يستحق عرش « الورشة » كل هذا العناء .. الحق انك لست مشغولا بعرض الورشة ، وانما مشغول بأن تحجب عن اخوتك ثروتك .. وانت حر فى ذلك وهناك وسائل قانونية عديدة تطمئن بالك من هذه الناحية لكن من يدريك انهم ينتظرون منك شيئا ؟ .. اليس من المحتمل

ان يكون بينهم من هو اغنى منك نفسا والغنى غنى النفس قبل كل شئ،
بدليل انك بكل ثروتك مازلت اسير عقدك .. ومازلت تتلمس الامان
والرضا فلا تجدهما .

والحق انك رجل مفرور واناى وشديد « الهياقة » لامؤاخذه ولا تستحق
عناء الرد عليك .. وقد اضعت وقى بمشكلتك السخيفة لكن هذا هو قدرى
على أية حال .. ولست نادما عليه !



شبح .. من الماضى

أنا طالبة بالسنة الثالثة باحدى الكليات الجامعية اعيش مع اسرة مكونة منى ومن شقيق يلينى فى السن وهو طالب جامعى ثم من أمى السيدة الفاضلة التى ترعانا وتزرع الحب فى نفس كل منا تجاه الآخر وتجاه البشر اجمعين .

ولقد كان لنا يا سيدى ككل الأبناء أب .. لكنه رحل عن عالمنا منذ أكثر من ١٠ سنوات ، ورغم طول السنين وصغر سننى حين غادر دنيانا فمازلت اذكر وجهه .. وكلماته وصوته الهادىء وابتسامته الحزينة كأنه « يسامح » بها الدنيا عما فعلته به وبنا من بعده . ولقد كنت احبه الى درجة العبادة واذكر له انه لم يغضب منا انا وأخى ولا مرة واحدة .. ولم يضرب أحدا منا ابدا .. كما لو كان يُحس كما يقول الناس انه ستركنا وحدنا للحياة صفاراً ، ورغم صغر سننى فلقد كنت احظ دموعه وهو يصلى ويطيل الصلاة .. وهو مستغرق فى الدعاء الهامس لفترة طويلة بعدها كما بدأت الاحظ بعين الطفلة .. انه لم يعد يذهب الى « الشغل » ولا يكاد يخرج من البيت . وأنه يمضى اليوم الطويل .. يصلى أو يبكى ويدعو .. فاذا اقربنا منه مسح دموعه بكفّه .. وابتسم وضحك فى وجهنا وأعطانا نقودا صغيرة لنشرى الحلوى ..

وكنا فى اجازة الصيف .. وقد اعتدت ان اصحو من نومى واتجه الى غرفة نومه لأداعبه .. فذهبت إليه ذات صباح فلم أجده .. وعرفت انه فاجأته فى الليل نوبة قلبية ونقل الى المستشفى ، وهناك زرناه مرة وحيدة ثم غادرنا الى العالم الافضل .. ووجدنا انفسنا امى وشقيقى وانا .. ثلاثة فى مواجهة الحياة وحدنا فأحاطتنا امى بمناحيها .. وعلمتنا الصبر والامل .. وارادت ان تنزل للعمل لانها متعلمة وحاصلة على شهادة لكن أخوالى رفضوا

السماح لها بالعمل وتكفلوا بنا بمساعدة معاش بسيط لا يتجاوز الثلاثين جنيهاً ورغم أن الحياة مضت بعدها كما تمضي دائماً وواصلنا تعليمنا إلا أنني كنت أحس بجو ثقيل يحيم على أسرتنا . وأحس بنظرة حزينة مستقرة دائماً في عيني أمي حتى من قبل وفاته . وبدأت استشعر تناقضا واضحاً بين ما أسمعته عن مركز أبي في عمله ومظاهر هذا المركز في حياته .. وبين المعاش الضئيل الذي نتقاضاه . وشيئا فشيئا عرفت السبب .. وانفجر في وجهي السر المكتوم .. عرفت أن أبي كان مديراً لإحدى الشركات العامة في عاصمة المحافظة التي نعيش فيها ، وأنه أخطأ حين أعطى ثقته الزائدة لمن حوله فكانت نتيجة هذه الثقة أن أتهم في قضية إختلاس يعلم الله أنه برئ منها .. فأوقف عن عمله وبدأ التحقيق معه ثم المحاكمة .. فلم يتحمل مواصلة المشوار وأصيب بنوبة قلبية وانتقل إلى جوار ربه . أما قيمة الإختلاس الذي حطم أسرتنا يا سيدي فلقد كان ثلاثة آلاف جنيه وكان لهذه القصة أثرها في حرمان والدتي من حقوقه في المعاش لكنها بكفاح مرير استطاعت الحصول على معاش الثلاثين جنيهاً .. ولولا أخوالي وهم بمحمد الله ذوو مراكز مرموقة لهلكنا في السنوات الصعبة التي تلت وفاته . وواصلنا الحياة وحاولنا أن ننسى الماضي بكل جراحه .. وواصلنا تعليمنا ، وأمى العظيمة تدفعنا للأمام حتى كدنا ننتهي من تعليمنا الجامعي .

وحرصت أمي على أن تجعل منا مثاليين للأخلاق وحسن التعامل مع الناس .. وليس هذا غرورا مني لكنها الحقيقة والله العظيم .. ولعلها كانت تعرف أننا سوف نحتاج إلى سلاح أكبر من سلاح العلم لكي تسير بنا سفينة الحياة بسلام ولكن هل أجدي حرصها هذا ؟ يبدو أنه لم يجد كثيرا .. لأننا الآن وبعد أكثر من عشر سنوات من وفاة أبي .. مازال بعض الناس حولنا ينظرون إلينا نظرة مريبة ويتشككون في مصدر أي شيء نشتريه ولو كان قطعة ملابس رخيصة .. كأنهم يتساءلون من أين لكم هذا . وليت الأمر

اقصر على النظرات أو الكلمات ذات الانحاء المؤذية لكنه تجاوز ذلك الى الاضرار بي وأنا فتاة في سن الزواج .

فلقد تقدم لي اكثر من خاطب بالطريقة التقليدية وخلال مرحلة التعارف وسأل كل طرف عن الاخر يسأل فيسمع قصة الاتهام الظالم لاني .. فلا يعود ، ولقد تكررت هذه القصة معى مرتين ، حتى يشتت وصدت نفسي عن التفكير في هذا الموضوع الى ان ابلغنى زميل لى بالكلية ونحن نؤدى الامتحانات العملية انه يريد ان يزور اسرتى بعد الامتحانات .. فحاولت الاعتذار .. ولكنه اصر .. وبالفعل جاء لزيارتنا في مدينتنا خلال العطلة الصيفية .. وغادرونا على وعد بزيارة تالية لم تتم بالطبع .. ومضت شهور الصيف طويلة الى ان بدأت الدراسة وعدت الى كليتى ففوجئت به يصافحني باستخفاف .. وفي شيء من السخريه ، وكنا مجموعة من الزملاء نتحدث عن الاسعار وصعوبة الحياة ومصاريفها ، ففوجئت به يقول لى : وماذا يهمك من هذا .. وأنت سترثين الملايين . فأسودت الدنيا في وجهى واحسست بأطرافي تتلجج .. وخرست حتى انتهت الجلسة ، ثم قمت مهزومة .. منهارة .. وقررت الا اقرب من مكان يوجد فيه .. والا اطيل الحديث مع احد من زميلاتي او زملائي لكى لا ينحرف الحديث الى ما يجرح مشاعرى .. سيدى .. لقد أصبح قلبى ينقبض مع كل طارق جديد على بابنا لكى لا تتكرر المأساة وعاد الحزن يحيم على صماتنا من جديد لان ما اصابنى .. اصاب أيضا شقيقى الوحيد الذى بدأ يدفع هو الاخر ثمن شيء لادخل له فيه .. تماما كما أدفع انا نفس الثمن ورغم كل ما حدث فلم ولن اكره اى .. ومازلت احبه الى درجة العبادة كما كنت دائما .. ولقد رأينا باعينا انتقام ربنا العزيز الجبار من كل من اشترك في هدم اسرتنا .. وهو انتقام لا أستطيع ان اصفه لك وارجو الا تعتبر ذلك شامة .. بل دليلا جديدا على انه يهمل ولا يهمل ..

وبعد كل ذلك اسألك .. ما هو ذنبنا فيما حدث يا سيدى لكى لا يرحمنا الناس حتى بعد هذه السنوات الطويلة .. وماذا جنينا لكى يشعروا بنا بأن هناك وصمة فى حياتنا تبعد الآخرين عنا .. وماذا يريد الناس منا يا سيدى لينسوا الماضى .. كما كنا قد نسيناه لولا ظلمهم لنا الذى أحياه من جديد ؟ .



« ولكاتبة هذه الرسالة أقول : لا ذنب لكم .. ولا جريرة .. لكنها الدنيا التى تقسو أحيانا على الأبرياء بلا جريمة . فأيا كان الخطأ الذى وقع فيه أبوا الراحل ، فليس من العدل .. ولا من الرحمة ان تدفعوا انتم ثمنه وان يلا حاكم « عاره » الى الأبد .. لكنها قسوة المجتمع فى بعض الأحيان . فالبدأ الأساسى فى فلسفة العقاب هو « شخصية » العقوبة أى ان تنحصر آثارها فى شخص مرتكب الجريمة او الخطأ ، وهذا هو العقاب الجنائى الذى تقضى به المحاكم اما العقاب المعنوى الذى يقضى به المجتمع فهو لا يعرف « شخصية » العقوبة .. ولا يفرق بين مذنب وبريء ويضع عادة المخطيء وأسرته وأهله وربما اصدقاءه أيضا فى سلة واحدة وينزل عليهم بهراوته القاسية بلا رحمة . ورغم ان هذا العقاب المعنوى هو فى حد ذاته أحد ضوابط حركة الحياة والمجتمع لانه أحد الروادع التى تردع البعض عن ارتكاب الخطأ خوفا مما يلحق باعزازهم من عار وفضيحة ، الا انه يقسو فى أحيان كثيرة فيعاقب الأبرياء عن جرم لم يرتكبه .. ويطالبهم بدفع فاتورة باهظة من حقهم الطبيعى فى الكرامة والأمان كما يحدث معك ومع شقيقك . ويزيد من قسوة هذا العقاب المعنوى انه كصنوه العقاب الجنائى لا يستأسد ، فى أحيان كثيرة الا على الصغار ومن هم فى حكم « الغلابة » .. اما الوحوش الضارية فلا يطوها فى أحيان كثيرة عقاب جنائى او معنوى .. الا ان تتزلزل الأرض مؤذنة

ب سقوط وحش كاسر تخلت عنه الدنيا فجأة . لكن هذه قصة اخرى !
فلندعها جانبا ونعد الى رسالتك .

لقد مست قلبي كلماتك الرصينة عن ابيك .. وهزنى انك تحيينه الى
درجة العبادة رغم كل شيء .. وان قسوة المجتمع عليك لم تل من حبك
ووفائك له .. ولعله كما تقولين قد قضى مظلوما فعلا وما أكثر من في الحياة
من مظالم بل وما أكثر من فيها من جنة لم يظلمهم عقاب الدنيا .. ويتنظروهم
عقاب السماء لذلك قيل دائما ان الرحمة فوق العدل ، ومن الرحمة الا
يأخذكم المجتمع بهذه الخطيئة التي لم ترتكبوها الى نهاية العمر ، ولكن الكارثة
ان ذاكرة الناس تبدو احيانا أحد من حافة المقصلة . والحق اني احس في
كلماتك عن ابيك وشقيقك وامك احساسا عائليا آسرا ، وأعجب حبك لابيك
ووفائك لذكراه دليلا على صفاء نفسك .. وقيمك الخلقية . التي غرستها
فيك أنت وشقيقك أمك بفهم تربوي عالٍ لمعنى إحترام رمز الاب .. والوفاء
له .. رغم كل شيء ، وارى ان مثل هذه التربية الكريمة كفيلة بأن ينسى
لكم مجتمعكم الصغير هذه الذكرى القديمة أو هذا الشبح القديم من
الماضى .. وان يتعاملوا معكم على اساس من خلقكم وقيمكم .. ولا شيء
آخر .. فهل يعدل البشر مرة ؟ .

رسالة من الباب الخلفى

اكتب اليك من الاسكندرية لاحدثك او لأحدث نفسي بما يدور فى خاطرى .. حيث اعمل الان فى عمل جديد يتطلب منى اسعاد الآخرين كل ليلة حتى الهزيع الاخير من الليل .

ولعلك قد عرفتى .. فأنا ذلك الفنان الذى اصطلح النقاد على ان يسموه بالفنان الكوميدي الضاحك الذى ينتزع الضحكات من النكالى بتعبيرات وجهه وتمثيله الصادق .. والذى قالوا عنه انه يقدم فنا راقيا لا تهريج فيه .. وكم كان يسعدنى ان اقرأ هذه الكلمات عنى .. لولا ان مرت بحياى احوال فقدت معها القدرة على الاحساس بطعم اى شىء .. ويجدوى اى شىء ..

وهكذا الحياة يا صديقى .. نجرى وراء اشياء .. فاذا بلغناها نكون قد فقدنا فى الطريق اشياء جوهرية لا تعوض وفقدنا القدرة على الاستمتاع بما حصلنا عليه .

وانت تعرف بدايتى .. وتعرف تأثير النشأة الصعيدية على .. واننى من اسرة صغيرة واننى كافحت كفاح الابطال لكى اتعلم والتحق بالجامعة .. ثم لكى اجد عملا .. واتزوج ، وسأعبر هذه المراحل سريعا لاقول لك : اننى وجدت نفسى فى منتصف العمر .. متزوجا من زوجة طيبة اصيلة وابا لثلاثة ابناء اكبرهم طالب بالكلية الحربية واصغرهم بالمدرسة الابتدائية ومازلت اكافح لاجد لقدمى موزعا فى العالم السحرى الذى اخترت العمل فيه وهو المسرح ، وانت تعرف قصص الباب الخلفى للمسارح اى باب الممثلين .. وتعرف كم يشقى الانسان ليدخل منه الى خشبة المسرح ..

وكيف يجمع هذا الباب بين النجوم اللامعين الاثرياء .. وبين المغمورين البسطاء الذين قد لا يجدون في بعض الاحيان قوت اطفالهم ..

كنت موظفا حكوميا صغيرا .. فاحتفظت بوظيفتي أمانا ضد الفقر وركزت جهدي في الباب الخلفي أخرج من باب لأدخل بابا باحسا عن فرصة ، وكانت البداية صغيرة .. دور ضابط شرطة يدخل خشبة المسرح بعصية ليلقى القبض على بطل المسرحية النجم اللامع في نهايتها .. واذكر الليلة التي بدأت بها طريقى كنت واقفا خلف الكواليس انتظر لحظة الدخول وقد تجمعت في صدرى كل همومى .. ومر امامى شريط كفاحى الذى طال بغير بادرة أمل في الوصول الى الراحة .. كانت مطالب الحياة قاسية .. وأسرق الصغيرة تعالى من ضيقها ما عالى ، واحسست فجأة بالحجل من أن يراى بعض من يعرفونى من زملاء وانا اؤدى هذا الدور الصغير واحسست برغبة في الاخفاء .. فاذا بيدى ترتفع الى « كاب » الشرطة الذى أرتديه فتشده الى عيني ليخفى نصف وجهى وجاءت لحظة الدخول فدخلت بعصية والكاب يخفى عيني وانا أتخط بين الممثلين لأرى شيئا .. فاذا بالمسرح يضع بالضحك .. واذا بنجم المسرحية اللامع يضحك من قلبه ثم يجد في هيتى الغريبة مادة للضحك والاضحاك وفي ختام المسرحية حين رفعت الكاب عن وجهى حيأتى الجمهور لأول مرة في حياتى .. ثم إذا بهذا المشهد العفوى يتحول الى مشهد اساسى كل ليلة وتزداد مساحته الزمنية من ٣ دقائق الى عشرين دقيقة كاملة واذا بلحظة الضيق من حياتى وتفاهة شأى تتحول الى لحظة ميلاد ، فشاركت بعد هذه المسرحية في اعمال كثيرة .. واديت ادوارا كبيرة .. وتحسنت ظروف الاجتماعية شيئا فشيئا وارتفع اجرى .. وتحسنت ظروف اسرقى .. واشتريت سيارة بسيطة ومع كل خطوة من خطوات طريقى كانت هى تقف معى وورائى .. زوجتى الطيبة سمحة النفس والوجه .. التى ماشكت يوما ضيق الحال .. ولاوعورة الطريق .. وكانت

تحرص دائما على ان تحضر حفلات الافتتاح لترانى .. وكلما رأت مساحة دورى تزيد سعدت واحسنت بالفخر .. وكلما رأت البنت الذى يكتب به اسمى على واجهة المسرح يتضخم شيئا فشيئا احسث بالانتشاء وكلما حيانى الجمهور او ضحك تمثيلى تلفتت حولها فخورة كأنما تقول للجميع انه زوجى ..

ومضت الايام تقترب بنا من حافة السعادة وتحقيق الامال الى ان جاء صيف ودعيت للتمثيل فى مسرحية تعرض فى الاسكندرية وبدأت البروفات ، فاذا بزوجتى الحبيبة تسقط مريضة وتدخل غرفة الانعاش بمستشفى المعادى .. واذا بى أجدنى كل يوم مضطر للبقاء بجانبها حتى الظهيرة ثم أركب سيارتى لاناظق الى الاسكندرية لأصل الى المسرح فى المساء واعود لاسافر الى القاهرة فى الثالثة صباحا ..

وإذا بى أعيش أياما مع الامل .. واياما مع اليأس .. وفى كل الحالات أجدنى كل مساء واقفا على خشبة المسرح اؤدى دورى فأنترع الضحكات رغما عنى .. وانا كما تعرف من القلائل فى عالم المسرح الكوميدي الذين لايتسمون أبداً على خشبة المسرح .. وتتسم « فورمة » وجهى بانها تراجيدية حزينة ومع ذلك تثير الابتسام .. ولعل ذلك ماساعدنى على ان استمر فى عملى فيما بعد ، فلقد توالى على المتاعب .. فانقلبت بى السيارة وانا فى طريقى الى القاهرة مع ابنتى لنزور زوجتى فى المستشفى بعد ان طلبت الزوجة رؤية ابنتها ونجونا من الموت والاصابة بقدر الله جل شأنه .. ثم توالى الفصول .. فاذا بوطاة المرض اللعين تشتد على زوجتى واذا بها تتركى فجأة وأنا فى منتصف الطريق .. فلا نجومية حققت .. ولاإسما فداً صنعت .. ولاثروة جمعت .. ولاشئ سوى العدم .. والفراغ . ونصف حياتى قد تخطى عنى .. وأتجاوز هذا الفصل الحزين سريعا .. لاقول لك اننى ايضا دخلت

نفس غرفة الانعاش التي دخلتها زوجتي .. بعد ان كادت انفاس الحياة تنقطع
عني .

وهذا هو الفصل الحزين الآخر الذي اخفيته عن الجميع .. فمنعت من
الحركة طويلا بعد ان تبين اني اعانى من قصور وتقلص مزمن في شريان قلبي
التاجي .. لكن الحياة ارغمتني على الحركة والعمل والوقوف فوق خشبة
المسرح من جديد ، ومارست العمل وانا خارج غرفة الانعاش .. ولكن
الاطباء يجمعون على حاجتي الى جراحة لاستبدال الشريان التاجي .. وهى
جراحة بكل اسف لاتجرب الا في الخارج وتكاليفها باهظة .. ولست نجما
مرموقا حتى يتحمس احد لعلاجي على نفقة الدولة .. وانا لاستطيع ان
اتسول علاجى على نفقة بلادى رغم انه من حقى كفى من المواطنين ،
وانا حاليا اعمل فوق خشبة المسرح .. أثير الابتسام وانا مكتئب . وأنزع
الضحكات وعيناي مغرورتان بالدموع كلما سرحت وتذكرت اطفالي
الثلاثة وهم في نظري اطفال مهما كبروا .. لكنهم لم يستمتعوا بما يتمتع به
الاطفال ولم تكن حياتهم ناعمة ولاهينة ، والحبوب في جيبي أتناولها تحت
اللسان كل ماأخشاه ان يغمى على ذات ليلة فوق خشبة المسرح فيتعطل
العمل ثم يشيع في الوسط الفني انى مريض جدا .. فلايطلبني احد في عمل
بعد ذلك .. ويتوقف اخر مصدر لرزقي بعد ان تركت الوظيفة الحكومية
حين استقرت خطواتي فوق المسرح .. ويضيع اخر امل لى في الجراحة ..
وانت تسألنى ماذا اريد .. فأقول لك انى اريد ان اسألك مامعنى الحياة
حين نشقى فلا نصل الى مانريد .. ولماذا يكافح البعض كفاحا داميا ثم
لايصلون الى شيء مثل بل يخسرون خلال الطريق اشياء لاتعوض في حين
يصل آخرون الى اكثر مما تمنوا وباقل قدر ممكن من العناء وهل هذه الحياة
عادلة في اختيارها البعض للشهرة والثراء .. والبعض الاخر لكى يعيشوا
حياتهم مغمورين تعساء ؟

اننى اعرف اننى القى عليك اسئلة لاجواب لها .. لكننى كنت فى اشد الحاجة الى من يشاركنى هوى الذى لايراه احد غيرى ووقع اختيارى عليك فكانت هذه الرسالة .. والسلام ..

.. ولصديقى كاتب هذه الرسالة اقول :

صدقت وانت صادق دائما حتى فى الامل حين قلت انها اسئلة بلا اجوبة .. فهى نوع من حديث النفس للنفس التماسا للسلوى والعزاء .. وليست التماسا لاجوبة محددة .. فكثيرا مانسأل انفسنا مثل هذه الاسئلة فلان نجد جوابا .. وقد لانجد العزاء أيضا على ان تجربة الحياة تقول لنا ان لكل انسان نصيبه فى الدنيا .. وان الاقدار قد تتساوى فى النهاية الى حد كبير .. واننا لاينبغى ان نحكم على الآخرين بمظاهرهم الخارجية فمن قد نظنهم سعداء .. قد يكونون أتعس مما نظن .. ومن نظنهم تعساء قد تكون لهم سعادتهم الخاصة التى لا ندرك عمقها فالسعادة مسألة نسبية يا صديقى .. ومايسعد إنسانا قد لايرضى غيره ، وانت شخصا أصدق مثال على ذلك فمن يراك وانت تضحك التكاالى كل ليلة قد يحسبك إنسانا لاهيا سعيدا تنام فريز العين بما حققت من نجاح ، ولايعرف احد ماذا تخفى القلوب . لكنك من ناحية اخرى ربما لو قارنت نصيبك من الدنيا والنجاح بنصيب غيرك من التعساء لربما وجدت لنفسك بعض العزاء .. وقد يكون بينهم من كافح مثل كفاحك وربما أكبر . وفى الحياة متناقضات كثيرة . لايتسع المجال لحصرها .. ومن متناقضاتها أن تأتى احيانا ثمرة الكفاح المضنى بعد ان يكون الانسان قد فقد حتى القدرة على الاستمتاع بالنجاح او المال . او الشهرة .. وقد لا تأتى وهو على قيد الحياة أصلا .. فهل تدري مثلا ان آخر عبارة نطق بها الفنان العالمى فان جوخ وهو يموت لشقيقه « ثيو » كانت : لو أنك استرددت حتى ثمن ادوات الرسم التى اشتريتها لى ؟ « وكان شقيقه يعمل

عارضاً للوحات ويعول شقيقه في أيامه الأخيرة ، ومات فان جوخ بغير ان يبيع لوحة واحدة من اعماله ، ثم مضت سنوات بعد وفاته فاذا بلوحاته تباع بعشرات الالوف .

او تدرى مثلاً ان الفيلسوف الالماني شوبنهاور قد أمضى حياته في البحث والدرس والتأليف وهو مغمور مجهول حتى شارف السبعين ، فاذا بشهرته تدوى في العالم وينال عليه التقدير والتكريم بعد ان فقد حتى القدرة على الاستمتاع بالنجاح فقال : بعد أن عشت عمري كله وحيداً منسياً بين الناس .. جاءوا فجأة يودعوننى الى قبرى بالطبول .

إنها امثلة كثيرة يا صديقى : ولاأحد يملك مصيره .. ولاأحد يعرف أين سعاداته الحقيقية فربما كان مانشكو منه الآن هو افضل ايامنا بالمقارنة مع ما يخفيه الغيب ، فلنتعامل مع حياتنا كما هى .. ولنسعد بما أتيح لنا من قدر محدود او غير محدود من الأسباب . ولننظر الى غدنا دائماً بقلب يخفق بالامل .. وأتجاوز هذه النقطة لاتحدث عن صحتك واقول لك ان عليك ان تتقدم بطلب اجراء جراحتك على نفقة الدولة سواء في مصر او الخارج مادمت غير قادر على تحمل نفقات الجراحة .. وهذا حقك كمواطن سواء أكنت مشهوراً ام مغموراً .. فالقياس هو العجز عن تحمل النفقات وليس الشهرة او النجومية .. بل لعل ذلك اكثر تأكيداً لحقك في العلاج لان النجم اقدر على تحمل نفقات علاجه ، فأطرح اليأس جانباً .. وتقدم الى المجالس الطبية او زرني لنبحث مع الامر .. وسوف تبسم لك الحياة من جديد .. وسوف تكمل مشوارك الناجح الى اقصى مداه باذن الله ..



.. ولا مؤاخذه

أحسست أنني انتقلت الى عالم غريب من أول سطر قرأته في هذه الرسالة ان كاتبها هو موظف في الاربعين من عمره زوج وله ٤ اولاد يعيش في شقة قديمة بحي شعبي مع امه واخيه العانس ، وهو ككثيرين غيره يعالى من عجز مرتبه المحدود عن الوفاء بمتطلبات « القبيلة » كما يسميها .. لكن تفكيره لحل مشكلته المادية قاده الى طريق غير مألوف فماذا فعل ؟ .. سأترك رسالته تروى قصته وتنقلكم معي الى هذا العالم الغريب . « فكرت ان اكتب اليك بعد ان قرأت قصص الكفاح التي تنشر وتشيد في تعليقاتك عليها بكفاح اصحابها .. وتحاول بكلماتك ان تأسو جراحهم . وان كنت لا اتوقع ان تشيد بكفاحي .. ولا ان تطيب خاطري بكلمات رقيقة فالحق الى اخجل مما سوف احكيه لك لكن ما باليد حيلة فلقد اضطرت اليه ، وقصتي انني تدرجت في الوظيفة بمؤهل متوسط الى ان وصل مرتبي الى حوالي ٨٠ جنيا .. سوف تقول انه مرتب معقول .. وسأقول لك بل هو اكثر من معقول لكن كيف يكفي هذا المرتب للاتفاق على ام وزوجة وأخت عانس في كفالتى و٤ ابناء ثم على الزوج نفسه . وكيف يكفي وحده بلا أى مورد اخر لنا لتعليم ٤ ابناء في المدارس من كتب اضافية وكراريس وملابس واحذية .. ومصرف يومي .. واجور للمدرسين الخصوصيين .. فاذا احتاجت زوجتي الى فستان اسودت الدنيا في وجهي واذا احتجت انا الى بدلة كل عامين احترت واحار دليلى واذا احتاجت والدتي واختي الى ملابس دخت من هول الصدمة .. وان كانت بطاقة الكساء الشعبي تخفف عني بعض هذا العذاب ، سألت نفسي مرة ما معنى حياتي ؟ اننى أمضى يومي في العمل لا استطيع ان انفق فيه اكثر من ثمن ٢ ساندوتش وكوب من الشاي و ٣ او ٤ سجائر .. ثم أعود الى بيتي مشحونا في الاوتوبس منهكا وكارها

للدنيا .. فأمضى باقى اليوم فى البيت لالى عاجز عن اتفاق اى قرش خارجة .. وكفى ان اقول لك ان بواب العمارة التى أسكن بها اشترى التلفزيون الملون قبل ان اسمع انا عن التلفزيون الابيض والاسود وان اولادى كانوا يتسللون الى غرفته ليتفرجوا مع اولاده على هذا الاختراع العجيب ورغم ذلك فأنا موظف « بيه » فى عمل رأس ٦ موظفين وأقصى فى مصالح الناس كل يوم ولأى « بيه » فلا أستطيع ان افعل ما يفعله البواب .. اذ لا أستطيع ان اقبل بقشيشا من احد .. كما يفعل لأى بيه لكن غلبان وهذه مصيبة طبقة الموظفين من امثالى .. وفى كل ضائقة كانت تمر بى لم اكن اجد من يقبل إقراضى الى حين ميسرة سوى صديق طفولة قديم يسكن فى باب الشعرية توقف عن الدراسة منذ الابتدائية واندمج فى اوساط الموسيقيين وعمل معهم عازفا على الطبل .. اى « طبالا » ولا مؤاخذه . كنت ازوره بين حين وآخر فيفرح بزيارتي جدا ويقدمنى لاصحابه بفخر فلان بيه رئيس اقسام كذا بمصلحة كذا .. وكنت اميل عليه واسأله قرضا فيقدمه لى بسماحة ويصبر على حتى يأنى الفرج وارده اليه .. والفرج هنا هو منحة من الحكومة فى مناسبة من المناسبات وخلال متاعبى فكرت فى ان اجد حلا لمشكلتى بالعمل بعد الظهر لكن ماذا يستطيع موظف كتابى مثلى ان يعمل وهو لا يعرف احدا من اصحاب الشركات ! وفى احدى المرات .. كان الحال قد ضاق بى الى اقصى حد فتوجهت الى صديقى فى باب الشعرية .. وشكوت له همومى .. فبادرنى باقتراح غريب : ولماذا لا تعمل معنا يا سيد فلان ؟ .. قلت وماذا أستطيع ان اعمل ؟ وبساطة شديدة قال لى لقد تركنا عازف « الصاجات » امس وطلبت منى الست « راقصة درجة اولى يعمل معها » ان احضر لها « نفرا » غيره الليلة ضرورى ، قلت : كيف .. وانا لا اعرف شيئا عما تقول .. قال لى .. المسألة بسيطة جدا . ستمسك بهذه الصاجات هكذا وتدق بها هكذا .. وسأكون بجوارك

وارشدك الى ما تفعل .. وهو عمل هين وسوف تقبض عنه • جنيت كل ليلة تعمل معنا فيها .

ولا أطيل عليك .. قبلت العمل .. واستعرت منه بدلة سوداء وفي المساء ذهبنا مشيا على الاقدام الى ميدان التحرير ووقفنا امام احد المقاهى المعروفة فيه .. وفي الحادية عشرة جاء ميكروباس فاخر فحملنا مع غيرنا من العازفين الى احد ملاهى الهرم .. فكل راقصة تملك سيارة ميكروباس تنقل فرقها من وسط المدينة الى الهرم وتعيدهم الى ميدان التحرير اخر الليل حيث يتفرقون الى مساكنهم وبعضهم يملكن سيارات اتوبس سياحية وجاءت اللحظة الرهيبة وليست الصاجات ووقفت بجوار صديق الطفولة وكلما اشار اليه بعينه .. ادق بالصاجات حتى يشير لى مرة أخرى ! .

وبدأت هذه المرحلة الغريبة من حياتى .. قلت لزوجتى انى وجدت عملا فى حسابات مطعم من مطاعم الهرم .. وحين اقف على مسرح الملهى اضع على عيني نظارة سوداء . ثم البس الصاجات وأدق ! ولا تسلى عن شعورى وانا افعل ذلك .. والحمد لله فان رواد الملاهى التى نعمل فيها ليسوا من عالمنا بالرغم من ان ٩٨٪ منهم من المصريين .. لكنهم ليسوا المصريين الذين اعرفهم فى عمل ولا فى وسطى الاجتماعى ..

عرفت الشعب بعد الجوع شبه الدائم وعرف أولادى التلفزيون الايض والاسود وأصبحت ألبى مطالب امى واخى وزوجتى .. فانا اكسب من هذا العمل حوالى ١٢٠ جنيا كل شهر لكنى حائر وخائف .. خائف اولاً من الفضيحة امرى فى المصلحة الحكومية التى اعمل بها والذي قد ينتهى بفصلى من الخدمة وحائر لالى وان كنت غير راض عن نفسى فهل أجد حلاً آخر لمشاكل فى رأيك ؟ .



الحق ان كاتب هذه الرسالة قد وضعنى فى مأزق لم اجره من قبل ..
اذ لا استطيع ان اوافقه على ما صنعه فى ضوء اعتبارات الوظيفة وما يليق
وما لا يليق وفى ضوء الاعتبارات الدينية والاخلاقية العامة .. ومن ناحية
أخرى لا استطيع ان ادين تصرفه تماما فى ضوء الظروف الاجتماعية القاسية ..
وفى ضوء قانون الضرورات التى تبيح المحظورات بل وفى ضوء كلمة
الصحابى الجليل أبى ذؤ الغفارى منذ ١٤ قرنا : « عجبت للرجل لا يجد
قوت عياله .. كيف لا يخرج على الناس شاهرا سيفه .. وهو فى النهاية لم
يشهر على احد سيفه .. ولم يسرق ولم يرتش .. ولم يقتل .. فماذا اقول له ؟
قد اقول له لماذا لم تجهد نفسك فى البحث عن طريق آخر غير مكروه أو
لماذا لم تشتتر بمرتبك كله ماكينه خياطة مستعملة تعمل عليها زوجتك واختك
فصاحمان فى تكاليف الاسرة لكنى على اى الاحوال اعرف تماما انه ليس
المعزى كالثاكل وان كلمات النصح والارشاد سهلة لكن الحياة شديدة
الوعورة !



رجل مهم ..

أكتب إليك هذه الرسالة .. ولعلها الاولى في حياتي التي اكتبها الى شخص لا اعرفه لأنني في مفترق طريق .. او في احدى المراحل التي تشهد فيها حياة الانسان تحولا خطيرا كالزواج والعمل وإنجاب الاطفال .. والمعاش .. أو الطلاق .. وهي كلها « محطات » يحتاج فيها الانسان الى ان يتوقف ويعيد حساباته ويستعد لما هو مقدم عليه .. ولعلك تتساءل يا سيدى في أى محطة من محطات العمر أنا الان وأفضل الا اجيب عن هذا السؤال قبل ان احكى لك لحظات من قصة حياتي لعل فيها بعض الفائدة لى ولغيرى من السيدات .. وللرجال ايضا .

اننى .. سيدة تعلمت في المدارس الاجنبية وعشت حياة سعيدة عادية بين أبى وأمى وأخواتى وحين اتهمت العشرين من عمري تزوجت من شاب رأيت فيه كل ما اتناه في شريك الحياة .. كان شابا وسيما يشغل وظيفة محترمه لها هبة خاصة لدى الناس مرح منطلق مقبل على الحياة .

ومنذ الأيام الاولى لنزاجنا أحببته وتعاوننا معا باخلاص على ادارة عشنا الصغير . كان يقبض مرتبه اول كل شهر فيعطيه لى لانفق منه طوال الشهر وأخصص له مصروفا يوميا اعطيه له وهو خارج إلى عمله في الصباح المبكر ، وكنت أرقبه من شرفة البيت وهو يتخايل بقامته المشوقه وجسمه الرياضى في طريقه الى السيارة « الميرى » مرتديا نظارته السوداء التي كانت من ملامح شخصيته وشخصية كثيرين من زملائه .

وحين كان يركب سيارته ويتطلق الى عمله كنت اعود الى داخل شقتى فأفصح الراديو .. وأنظف البيت وأنا استمع إلى برنامج ربات البيوت وأطهو

الطعام مع أغالي الصباح .. فقد رفض زوجي أن أعمل بعد انتهاء دراستي ..
وفضل ان اتفرغ له ومضت حياتنا هادئة .. وجاء الابناء واحدا بعد الآخر ..
فهرفت أحاسيس جديدة ومشاغل جديدة وأصبحت أوقات فراغي أقل
وسعادتي اكبر ، كان زوجي يتحدث دائما عن شخصية هامة كان لها شأن
عظيم في ذلك الوقت .. كان للمصادفة من زملائه وكان أصلا لا يحبه ويقول
عنه انه مغرور ومعقد و « عامل مهم » لكنه مع ذلك يحرص على زيارته
في مكتبه مرة كل اسبوع على الاقل .. ويحرص على مجاملته ويقف امامه
« زنهراً » كأنه من أتباعه ، وكان صاحب الشخصية الخطيرة من هواة
اصطناع الاتباع وذات يوم فوجئت بزوجي المحبوب يقول لي استعدي مستقلا
إلى طبقة الحكام .. فقد وعده « فلان ييه » بمنصب كبير ونفَّذ وعده فعلا
ونقل زوجي بعد أيام الى وظيفة هامة وأصبحت له سيارة سوداء بسائق
خاص .. وانتقلنا من شقة الزواج الى شقة كبيرة فاخرة في حي من ارق
الاحياء كانت لأحد الخوجات الذين فرضت عليهم الحراسة وإيجارها لا
يتعدى جنيتات ، ووجدت في خدمتي فجأة « شحط » طويل متفرغ تماما
لتلبية طلبات البيت وتوصيل الاولاد للمدارس . وبدأت لاحظ اننا قد
أصبحنا « أناسا مهمين » بالفعل إذا أساء بائع في السوق الأدب معي
وأخطأت فحكيت الحكاية لزوجي من باب التسلية .. سألتني باهتمام شديد
عن هذا البائع وعن اسمه ثم يصمت وبعد أيام افاجأ بالبائع نفسه واقفا على
باب الشقة يكي ويحاول تقبيل يدي قائلا : يا ست هانم حرام عليك انا
عندى أولاد سامعيني وخلى اليه يساعني . فامتعت من يومها أن أحكى
له حكاية مماثلة .. اما احتياجاتي من الأسواق فانها تلبى على الفور من احسن
الأنواع وبأرخص الاسعار . وفي عزّ الأزمات التموينية كانت احتياجاتي
كاملة .. لي ولاسرق ولكل من يطلب مني ذلك من جاراتي كما كانت كل
ملابسنا مستوردة من بيروت وغزة واليمن في وقت كانت فيه قطعة قماش

مستوردة تعد معجزة من المعجزات وبدأت ألاحظ ان طبيعة زوجي قد بدأت تتغير .. وان روحه المرحه قد بدأت تتراجع وأن وجهه قد بدأ يكسب ملامح صارمه مخيفه وأن أحاديثه معي ومع الابناء قد أصبحت مقتضبه او إشارات من يده او هزات من رأسه .. فاذا تكلم لا يتكلم الا أمرا ! وأصبح من برنامج حياتنا ان أزور بالامر زوجة « فلان ييه » كل فترة وان أجاملها في كل المناسبات دون أن تكلف نفسها عناء مكالمتي تليفونيا مرة ، وكنت أتعجب من أنها تلومني اذا تأخرت في السؤال عن ابنها المريض بالأنفلونزا ثم لا تكلف خاطرها بأن تسأل عني وانا مريضة بالمستشفى بعد جراحة الزائدة الدودية وكنت اقول انها ليست صديقة وانما هي تعتبر نفسها « رئيسة » لزوجات كل من يرأسهم زوجها .. فاذا شكوت ذلك لزوجي قال لي « فتحي مخك » النظام كده .. وأهو انت عندك زوجات الرؤوسين لي اعمل معاهم نفس الشيء ! ..

وواصل زوجي صعوده فشغل منصبا أكثر خطورة وأصبحت له امتيازات كثيرة . وأصبح عدد السيارات المخصصة له ثلاثا .. وأصبح « الشحط » الذي يقف بجوار باب الشقة أربعة رجال عمالقة يتأوبون الوقوف ليل نهار أمام باب البيت .. كأن احدا يدبر لقتلنا او اختطافنا ، مع ان الحكاية لا « تستأهل » كل هذا وفي هذه الفترة حصلنا على شقة واسعة في قلب مدينة الاسكندرية كان يسكنها ايضا « خواجات » ممن سافروا من مصر بإيجار زهيد وأصبحنا نحضى الاجازات فيها .. وفي هذه الفترة ايضا اشترى زوجي قطعة أرض مبان في مدينة نصر بسعر المتر جنيين وبالنقسيط وهي نفس القطعة التي بلغ سعرها بعد عشرين سنة اكثر من مائتي جنيه للمتر الواحد .

وإطمأنا الى مستقبل الاولاد بهذه الأرض وبمخدراتنا .. لكن ما أصبح يشغلني هو زوجي نفسه . فلقد أصبح انسانا غريبا عني لقد مضى يزداد صماتا وصرامة وغموضا وإنشغالاً عني .. ومضى يزداد استغراقا داخل نفسه

كأن لم تعد له شريكة حياة . ولأن الحياة لا تمضى على وتر واحد دائما ..
فلقد جرى علينا ما يجرى على الآخرين من تقلبات .. وصحونا ذات يوم
على أحداث وتغيرات وزلازل « رهبة في يونية ١٩٦٧ وانتهى الامر بخروج
زوجي من عمله . وليت الامر اقتصر على ذلك فلقد تغيرت دنياه كلها خلال
فترة لا تزيد عن شهور وبدأ الزلزال بسقوط « فلان ييه » وسجنه .. ثم
سقوط كثيرين من ابناء جيل زوجي .

وفي البداية نظر زوجي الى الأمر باستهانة .. « والثقا » من ان البلد
« حروح في داهية » وانها ستعرف له ولزملائه قدرهم خلال وقت قصير
وانها ستعود اليهم لترحولهم العودة الى تحمل مسئولياتهم الخطيرة من جديد
ولإنقاذها .. وانه ساعثها سوف « يفكر » طويلا قبل أن يقرر هل يقبل
العودة لخدمة « هذا البلد » ام لا ؟ .

لكن الامور مضت في طريق لا عودة فيه .. وفي كل يوم يختفى من الحياة
شخص جديد من عالمه القديم او يدخل السجن شخص اخر كان يهتز في
اعماقه ويتوجس خيفة .. لكنه يتظاهر برباطة الجأش وواجهت معه فترة
عصية في حياتنا . لم تكن احوالنا سيئة فلقد كان لدينا ٣ شقى في القاهرة
والاسكندرية وقطعة ارض للمباني وكان لدينا سيارة هي اول سيارة اشتريناها
من مالنا وكانت شقتنا مجهزة بكل الكماليات وله معاش مناسب ولدينا بعض
المدخرات ، وقد استسلم زملاؤه لمصيرهم بعد فترة .. وشغلوا انفسهم في
مشروعات تجارية صغيرة او انشطة خاصة فهذا يرى العجول في مزرعته
وهذا أقام مزرعة دواجن . وذاك افصح معرضا للسيارات .. الخ . اما زوجي
فقد تأزم تماما وتعمدت شخصيته بدرجة خطيرة .. واصبح عمله الوحيد هو
الذهاب الى النادي في الصباح بعد ان يرتدى ملابسه الكاملة حتى في عز
الصيف ويرتدى النظارة السوداء .. ثم يمشى بوقار الى السيارة التي استأجر
لها سائقا يتقاضى ثلث معاش زوجي بلا ضرورة وفي النادي يجلس زوجي

مع بعض زملائه القدامى .. يتحدث في الأمور العامة ويدلى بأرائه بصفة ويشرب القهوة .. ثم يعود الى البيت في الظهر فلا يغادره حتى اليوم التالي . وفي البيت بدأت ألاحظ عليه تصرفات غريبة مع مرور الأيام والسنين فلقد بدأ يدخن الخدراوات كل يوم من الظهر حتى ينام ويمضي الوقت سالما سارحا فاذا تحدث أصبح الحديث الوحيد له هو « أجماده » وما فعله « للبلد » فاذا جاءت سيرة احد الكبار في ذلك الوقت أيا كان موقعه قال ببساطة « فلان ده كان بيعجى هنا بلبسنى هدمى الصبح وانا نازل للشغل » او فلان ده كنت باضربه على قفاه كل يوم او « فلان ده اسألوه يقولكم إلى استاذہ وانه ما يقدرش يقعد قدامى » .

وكنيت اسمع ذلك واتألم لما آل اليه حاله .. لانه كان « يكذب » امامى وانا شريكة حياته التى تعرف عنه كل شئ ولم يكن يحزننى حالته في البيت .. بقدر ما كان يحزننى حاله في النادى وخارج البيت فقد بدأ يفقد الاصدقاء والجلساء الذين يستطيعون « تحمل » هذا « الفشر » وهذه الكبرياء الكاذبة ، أما خارج النادى فلقد أصبحت « خناقاته » كثيرة مع كل من يتخيل انه لم يُدِ نحوه الاحترام الكافى وكنيت اسمع حكاياته من الجيران وأبكى .. فلقد بهدل نفسه كثيرا مع اناس ليسوا على استعداد لتحمله ، اما حاله مع الاولاد ومعى فلقد أصبح محزنا بالفعل ، فقد أصبح لا يحتمل أى مناقشة لرغبة من رغباته ولا يتحمل مخالفته في أى شئ واصبحت كلمته في اى أمر يتعلق بى او بشئون الابناء لا راد لها ولا مناقشة فيها . وبدأ الاولاد يتذمرون خاصة وقد أصبحوا شبابا وتزوجوا فاذا راجعته في ذلك انفجر حانقا .. وكلما نصحته بان يمارس اى عمل لكى لا يؤذيه الفراغ أهانتى وخاصمنى .. حتى أصبحت حياتى معه جحيما لا يطاق خاصة بعد ان استقل الابناء بحياتهم وتجنبوه بقدر الامكان تفاديا للمشاكل والإهانات .

الى ان جاء يوم وحدث خلاف عادى من خلافاته معى .. لكنه طال هذه المرة لأنه رفض محاولاتى للصالح معه ثم فوجئت به يجمع الأبناء ويعلم عليهم قرارا خطيرا إتخذه هو .. طلاق ! يا رنى .. طلاق وأنا فى الستين وبعد هذا العمر الطويل .. وبعد ان تزوج الابناء ولم يعد لكل منا سوى الآخر .. لقد حاول الأبناء اثناءه عن ذلك لكن كيف يرجع فى قرار اتخذه وهو الذى كان يتخذ أخطر القرارات ويتمسك بها ولا يجزؤ احد على معارضته ، طلاق يعنى طلاق ، وجاء المأذون فى يوم حزين وقت المراسم الكمية فى نفس البيت وامام الابناء وأصبحت بحيرة قلم مطلقة فى الستين بلا امل ولا مستقبل .

إلى اكسب اليك لاسألك ماذا تفعل سيدة مثلى فى هذا العمر حين تفاجأ بالطلاق واين تقيم ؟ وكيف تواجه حياتها بعد نفاذ النفقة هل امد يدي لأولادى فى هذه السن ولماذا يسمح قانون الاحوال الشخصية بالطلاق بلا سبب كما حدث معى ؟ او بسبب ازمة نفسية لا ذنب لى فيها يعانى منها الزوج وهل فكر مشرعو القانون فى وضع مطلقة مثلى فى هذه السن أين تذهب واين تقيم والزوج يقيم وحده فى شقة من ٦ غرف وهل لديك جواب على هذه التساؤلات ؟ .



.. سأعلق على هذه الرسالة باختصار شديد لالى آثرت ان اخصص معظم المساحة للقصة التى ترويتها لأنها تنقلنا معها الى عالم غريب لم تقترب منه رسائل البريد من قبل . انه عالم الاشخاص المهمين .. ومأساتهم ومأساتنا أيضا معهم ! ولكاتبة الرسالة اقول الى عاجز بالفعل عن ان اجد إجابات مقنعة لتساؤلاتك الحائرة وأرجو ان يجيب عنها من هم اقدر منى على الإفتاء فى هذا الشأن وعاجز أيضا عن أن أفهم كيف يمكن ان يتدهور شخص مهم او كان مهما الى هذا الحد مجرد ان دنياه قد تغيرت وانه لم تعد له نفس السطوة التى كانت له ذات يوم . إننى أعرف تماما ان انعدام الدور محنه

ومحنة قاسية لكنها ليست نهاية الحياة ولا ينبغي ان تكون كذلك فهناك اشخاص كثيرون يتوقف دورهم في كل حين فلا يتحولون الى شخصيات مريضة مشوهة وانما يتقبلون الأمر بواقعية ويتكيفون مع واقعهم الجديد لأنها سنة الحياة ولأن لكل زمان رجال .. ولأن الرجل الكبير حقا هو من يرى نفسه اكبر من منصبه مهما علا هذا المنصب فاذا فقدته فانه لا يفقد نفسه معه لكن مأساتنا ان « الصغار » أحيانا يتسللون الى مواقع الكبار فاذا فقدوها فقدوا معها كل اترانهم وحكمتهم وتحولوا الى اشباه مجانين ! .

ومأساة بعض افراد هذا الجيل الذى يمثله زوجك بكل اسف هي أنهم لا « يتحملون » أبدا ألا « يخافهم » الناس ! .. فاذا فقد الناس خوفهم منهم إنهاروا كالاطفال وتحولوا الى شخصيات ممزقة تهرب من واقعها الجديد الى عالم خرافى لم يعد له وجود إلا فى خيالهم وزملاء زوجك الذين تكيفوا مع الحياة وربوا الدجاج والعجول هم فى رأى اشجع منه وأفضل واكثر فائدة للحياه وللمجتمع ، ولو فعل مثلهم لأضاف زوجك إضافة جديدة الى نهر الحياة المتدفق الذى لا يتوقف ولا ينتظر أحداً ، ولو مارس أى عمل لأنقذ نفسه من جنون الفراغ واجترار الماضى ، ولما انفصل هذا الانفصال الرهيب عن الواقع حتى ليتخيل نفسه بعد عشرين سنة الرجل الخطير الذى يصدر القرارات الخطيرة كقرار طلاقك فى هذه السن فلا يتراجع عنها مهما كانت قراراته خاطئة ومهما كانت كارثة . ولا شك انه - سامحه الله - قد أتحفنا ، ببعض هذه القرارات الجليلة الشأن ايام مجده فساهم فى تعقيد حياتنا وفى مضاعفة صعوباتها ثم رفض ان يتراجع عنها .. وهيات أن يتراجع العظماء من أمثاله عن اخطائهم .. انها ليست مأساتك وحدك وانما هي مأساتنا ايضا مع هذا الجيل من الحكام الصغار الذين عانينا منهم مثلما تعانين واكثر . ومأساتك يا سيدتى ان زوجك رجل مصاب بجنون العظمة وقد تفاقم جنونه مع تدفق المياه فى نهر الحياة بغير ان تعود مرة اخرى الى الوراء لترمى تحت

قدميه .. وهيات ان تعود ومن عجب ان المصابين بهذا الجنون يتفاهم
إحساسهم بالعظمه بعد زوال اسبابها ومبرراتها .. كأنهم يريدون ان يؤكدوا
لأنفسهم ما يكذبه الواقع كل يوم .. ويصرون عليه كلما تباعدت ذكراه .

والحق ان زوجك هذا ليس عظيماً ولو كان عظيماً بحق لما عرضك لهذه
الجنه الشخصية بعد هذه الرفقة الطويلة بملوها ومرها ولو كان رجلاً بحق
لما شردك من بيت الزوجية بعد هذا العمر الطويل . وبغض النظر عما يقتضى
به القانون ولتخلّى لك هو عن بيت الزوجية وحمل حقيقته معه الى حيث
ألفت قدماه مادام مصراً على الطلاق وهو والحمد لله قادر على أن يجد لنفسه
ماوى كريماً فى القاهرة او الاسكندرية .. أو فى أى مكان . والبركة فى شقة
الحراسة التى حرم منها الشعب واحتكرها الحكام الصغار من جيله .. وفى
ارض مدينة نصر التى يمكن ان تشتري له شقة فى اسبانيا لو اراد ! .

لكنه ليس عظيماً ولا خطيراً .. ولا رجلاً .. وانما هو احد هؤلاء الصغار
الذين حملتهم الامواج بالصدفة الى مواقع الكبار .. فكان صعودهم نكبة علينا
وكان انهارهم نكبة عليك وعلينا فلك الله فيما تلاقنا .. ولنا ايضا فيما تلقينا
وفيما تلقى منهم ومن امثالهم وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فتاة من .. قاع المدينة

أعذر في البداية عن أية لحظة ألم قد تسببها قراءة هذه الرسالة اللاذعة للبعض . واعترف انني حاولت ان اخفف قليلا من الصورة القاتمة التي ترسمها للحياة في قاع المدينة .. فنجحت في بعض فصولها وفشلت في فصول أخرى .

تقول كلمات الرسالة :

« انا فتاة عمرها ١٨ سنة اقول لك في البداية انني لا أكتب إليك هذه الرسالة لاستعطفك او لأثير عطف أحد قرائك فالحق انني لا اقبل العطف من أحد ولو كان من أقرب الناس .. واكره نظرة الشفقة في عين احد ولم كان قريبا مني لكنني اكتب اليك هذه الرسالة لاروي لك قصة حياة اناس قد لا يعرف بعض قرائك الكثير عن حياتهم وقد لا تلتقون بهم كثيرا وسأروى لك كل شيء بصراحة مهما كانت جارحة أو مثيرة للقرع .. وأرجوك ألا تحس بالغيان وأنت تقرأ بعض تفاصيل حياتي ، لقد عرفت الفقر منذ طفولتي .. وعاشت المرض منذ تفتحت عيناى للحياة فقد ولدت في غرفة مظلمة لا ترى النور ولا تعرف الماء .. وترعرعت كما يقولون في وسط محروم من كل شيء يضيء بلمبة الجاز ويشرب من ماء الطلمبة ومضت طفولتي بطيئة .. لكن عن أى طفولة أتكلم .. أن أمثالي لا يعرفون الطفولة التي يتحدث عنها الآخرون .. لذلك فسأروى لك بعض لحظات من هذه الفترة التي أسميها طفولتي لم أعرف في طفولتي سوى قماش الدمور الرخيص رداء خارجيا وداخليا في نفس الوقت .. لم ألبس طوال طفولتي فستانا مما تلبسه الصغيرات لا جديدا ولا مستعملا مما تخلعه بعض الأسر على أطفال

الفقراء ، لم أأخذ في حياتي قرشا أو نصف قرش في يدي عند الذهاب الى المدرسة كما يفعل الأطفال .. وسأل وهل دخلت المدرسة . فأقول لك نعم دخلتها رغم كل هذه الظروف فأني المكافح العامل في أحد المصانع قد حرص على تعليمي أنا وأخوتي الأربعة .. آملا ان ينقذنا من مصيره هو وفي المدرسة كنت أرى الاطفال يشترون المصاصة ويمصونها فيتحلب ريقى ولا يستطيع شراءها .

ورغم كل ذلك مضت بنا الحياة ونحن نقاوم أبى وأمى وأنا وأخوتى ، ثم تدهورت بنا الأحوال ، وفقدنا غرفتنا المظلمة في انهار المنزل ، واضطررنا للسكنى في بدروم عمارة تمليك مكونه من ١٠ شقق ، بلا أجر ندفعه في مقابل خدمة سكان العمارة كلهم والقيام باعمال بواب العمارة ، وتصورنا أن متاعنا قد انتهت لأن البدروم أوسع من الغرفة .. لكن مالفيناها ومازلنا نلاقيه كان أشد وأقسى .. خمسة أولاد ثلاث بنات وولدان أنا اكبرهم في المدارس جميعا مطلوب منهم النجاح واجياز عقبات المجموع للاستمرار في التعليم المجانى ، لكن كيف يذاكرون دروسهم وهم جميعا في خدمة سكان العمارة في اى وقت من الليل أو النهار روحى هاتى عيش اكسى السلم اغسل العربية هاتى المكوة وصدقتى إن هذا يحدث طوال النهار بلا مبالغة .. فكيف نذاكر دروسنا وكيف نجيب المجموع المطلوب ؟ ورغم كل هذا العذاب فقد واصلت دراستى وحصلت على دبلوم التجارة لكن اخى رست .. وأخى على وشك الرسوب هذا العام لنفس السبب .

وحين افكر فيما يحدث لنا أسأل نفسى : وماذا يستطيع أبى وأمى أن يفعلوا ..

إنهما يغالبان الفقر والمرض والظروف القاسية بلا هوادة .. إننى أتعذب حين أرى أبى عاريا نازلا في بالوعة المجارى لكى يسلكها في عز الليل والناس نائمون والدنيا تمطر .. لأننا عاجزون عن النوم لأن مياه المجارى طافحة

وبللت المراتب التى ننام عليها .. لقد زارتنا كل أمراض الدنيا .. بسبب الحياة مع المجارى فى بدروم واحد .. وتلطمنا بين العيادات الخارجية للمستشفيات المجانية .. والمستوصفات الخيرية نتعالج بالمزيج والحديد والزرنيخ .. وقاومنا الأمراض .. فنجونا من بعضها .. واستقر فينا بعضها الآخر .. وأنا شخصيا بقى عندى من الامراض مرضان جليلان هما المرارة .. والتبول اللاارادى اثناء الليل ، وأسفة لأن أقول ذلك بلا خجل لكن هذه هى حياتنا .. ورغم كل ذلك لانعدم من يؤذى مشاعرنا بجهل او بحماقة .. فانا مثلا قد اسمع وأنا ماشية فى الطريق واحد معندوش دم يقول لى اهلا يا بوابة . وأخى وأخى رغم صغر سنهما حاولا الانتحار بسبب كلام زملائهما لهما فى المدرسة بسبب فقرهما وعملهما فى خدمة السكان وكل ذلك بسبب البدروم اللعين صحيح إن مرتب أبى الآن كويس لكن من اين ياتى بخلو رجل لغرفتين فى أى مكان .. اما أنا فلقد حصلت على الدبلوم وجلست فى البدروم بلا عمل ومفيش فلوس راضية تيجى أبدا كأن بيتنا وبينها عدااء مستحكما ونحن جميعا إخوتى وأنا غضى النهار بطوله دون ان غسك عشرة قروش نستطيع ان نشترى بها شيئا خاصا لنا وسأكون صريحة معك بالرغم من أننى لا أعرفك ، كلما ضاقت بى الدنيا فكرت فى الطريق الخاطئ لاية فتاة لانقذ نفسى من هذه الحياة لكنى اراجع نفسى وأقول لها ان الشرف هو أعلى ما أملكه فكيف أضحي به وفى النهاية أقول لك اننى اقرأ فى بابك رسائل لفتيات يشكين هموما تبدو بالنسبة لى ثانوية .. او دلعا لا يستحق الوقوف عنده وأحس أحيانا عندما أقرأ رسالة من هذا النوع أى أريد ان امسك بشعر كاتبة هذه الرسالة وأن أجبرها الى بدرومنا لترى الهموم الحقيقية التى يعانينا البشر .

لعلها ترضى عن حياتها وتترك لنا نحن ان نكتب لك لنفضض معك بلا اى امل فى الحل عن بعض همومنا والسلام عليك .



واجد نفسى أقول لها بلا وعى وأنفاسى مبهورة من ملاحقة عباراتها
 اللقائية اللاذعة . بل السلام عليك أنت يا صديقتى فأنت التى تستحقين
 الإعجاب لصدورك وقوة احتمالك وقبل كل شيء لرفضك الانسياق وراء
 وساوسك . ولقد ادركت جوهر المسألة .. حين عرفت انك اذا اقدمت
 على ما فكرت فيه فانك بذلك تكونين قد اهدرت رحلة كفاحك المريعة
 هذه ورحلة كفاح أهلك البطل فى تربيتك وتعليمك رغم الأهوال ، انت من
 هذه الناحية تستحقين كل الإعجاب .. وتستحقين ان تفخر بصدقتك اى
 فتاة كريمة .. يبقى بعد ذلك .. أن أقول لك إنك رغم كل المرارة والألم
 لست وحدك فيما قاسيت فى طفولتك وفيما تقاسين الان .. ولربما كان هناك
 من قاسى الاهوال أكثر مما قاسيت وأنت رغم كل ذلك مازلت فى بداية
 حياتك ولا بد ان تأمل فى أن تكون الفصول التالية أكثر إشراقاً وأقل معاناة
 فحين لا نستطيع يا صديقتى مهما بدا الطريق آمناً صعباً ان نكف عن
 الأمل أو أن نتوقف عن محاولة اخراق السدود وقفز الحواجز .. فلا بد أن
 نأمل دائماً فى غد أفضل والا أصابنا الجنون واستسلمنا لليأس والإحباط .
 لابد ان نأمل دائماً فى المستقبل مهما بدا الحاضر عقيماً وغير مبشر بالامال ..
 اننى لا اخدرك بالأمل .. لكنى أدفع عنك اليأس والإحباط وهموم بوابة
 الشيطان إلى عقل وقلب الانسان لابد ان ننظر الى الامام دائماً بوجه مبسم
 حتى ولو ظن بنا البعض البله فالأمل هنا دفاع عن النفس ضد الجنون وضد
 شرور عديدة .. وليس استغراقاً فى الوهم والأحلام وتذكرى دائماً أن أكثر
 لحظات الليل سواداً هى اللحظات التى تسبق مباشرة ظهور أول ضوء فى
 الفجر لذلك فإنه لابد أن يحين فجر يوماً ما وسوف يحين بكل تأكيد فى
 يوم^(١) قريب ربما كان اقرب كثيراً مما تتصورين .

(١) تم تعيين كاتبة الرسالة فى الجمعية العلوية للبرول استجابة لما نشر .

رجل الأسرة

أنا يا سيدى رجل فى السابعة والثلاثين تزوجت منذ حوالى ١٥ سنة من زوجة شابة جميلة فى مثل سنى كريمة الخلق ، وعشنا معا فى سعادة تامة .. اكتملت بمجئ ابنتنا الصغير بعد عام ونصف من الزواج .. وقررنا أن نأثى له من عالم الغيب بأخت أو بأخ ثم نكفى بذلك ونشكر الله على ما أعطانا ونواصل حياتنا فى سعادة وفعلا حملت زوجتى ، وقبل ان تضع مولودها كانت حرب أكتوبر قد اشتعلت وكنت قد اشتركت فيها فقد كنت ضابطا بالقوات المسلحة ، وخرجت منها بشلل نصفى أقعدنى عن الحركة .. ولست بحاجة لاقول لك إن حياتنا قد تغيرت بالكامل بعد ذلك ... وإننى نظرت إلى نفسى فوجدتني أبا لطفل عمره عام ونصف العام ولولود فى علم الغيب وزوجا لشابة صغيرة جميلة مليئة بالحياة .. ففكرت طويلا ثم طلبت منها أن تدعنى لمصرى وان تسعد بحياتها .. وأن تجرب حظها مع غيرى فرفضت بكل اباء ومنعتنى من العودة الى مثل هذا الحديث وقالت لى إنها لن تتخلى عنى وإنها ستقف معى إلى أن اعمل وأمضينا عامين طويلين فى رحلة العلاج وهى تصحبنى كل أسبوع عدة مرات الى جلسات العلاج الطبيعى . بلا أى تقدم فبدأنا نساغر وراء الاطباء بحثا عن أمل وأرهقتى تكاليف العلاج وأصبح معاشى لا يكفينى وعشت أياما سوداء وكان أشقائى الأصغر منى يأتون لزيارتى ثم يدس الواحد منهم فى يدى بعض المال وأنا حبيس الكرسي المتحرك قائلا .. هذا شيء بسيط للاولاد .. أو للدواء ، وفعل نفس الشيء معى كل أقاربها ، واستمرت رحلة العذاب بلا أمل حتى بدأت أنهار وأرفض الذهاب إلى جلسات العلاج الطبيعى أو إلى عيادات الاطباء ، لكن زوجتى لم تيأس ولم تنهر ولم تضعف وتعلمت كل التدريبات الرياضية المطلوبة

وأصبحت تجربتها لى فى البيت حتى استطعت بفضلها أن أنتقل من السرير إلى المقعد المتحرك بلا مساعدة من أحد ، لكن أزمنا المالية استمرت بل زادت صعوبتها مع وصول الأبناء إلى سن الدراسة وكانا قد أصبحا ابنا وابنة بعد وصول بنتى التى جاءت إلى الحياة وأنا حبيس المقعد المتحرك ، وأصرت زوجتى أن تلحق أبنى وأبنتى بالمدارس الاجنبية كما كنا نعلم ونحن فى بداية حياتنا وكلنا صحة وشباب والدنيا ممتدة امامنا .

وقررت أن تخرج للعمل لكى توفر دخلا إضافيا مع معاش يكفى لمصاريف المدارس واشترك النادى والدروس الخصوصية وعملت فى إحدى الجهات ، ثم انتقلت منها بعد فترة إلى شركة استثمارية بمرتب أكبر وكانت تعود منهكة لتعد الطعام وترعى الأبناء ثم لتساعدنى فى قص شعرى وأداء التمارين .. وفى الإغسال وفى أشياء أخرى أنجمل من ذكرها ويحتاج فيها أمثالى إلى مساعدة غيرهم ، وكانت رغم كل ذلك سعيدة راضية دائما تقول كل يوم لابنيها .. « بابا بطل .. وبقي كده لأنه كان يدافع عن مصر » .

ولم أسمعها طوال هذه السنوات الطويلة الكئيبه تشكو أو تنذمر أو تُبدي اعتراضا على مشيئة الخالق ، وإنما تقول دائما إنها إرادة الله وعلينا أن نمتثل لها ، وكانت تحاول جاهدة ألا تخرج كثيرا .. ولا تذهب حتى إلى اسرتها لكيلا أحتاج إليها فلا اجدها .. ولا تحاول أن تتزين أو تسرف فى الاهتمام بأناقها لكى تجنب إثارة غيظى .

ومضت حياتنا هكذا وبمرور الايام بدأت أشعر أن دورى كرجل الاسرة وعائلتها قد بدأ يتراجع فى حياة أولادى كثيرا فإذا طلبت المدرسة ولئى أمر أحدهما فإن زوجتى هى التى تذهب اليها .. وهى التى تحضر اجتماعات مجلس الآباء .. وحفل توزيع الهدايا على المتفوقين الخ ، وإذا تطلب الأمر شراء ملابس للأبناء فاتها هى التى تصحبهم معها لتنزل الى المحلات وتشتري لهم ما يريدون وشيئا فشيئا بدأ الأبناء يتجهون بمطالبتهم إلى أمهم مباشرة مادامت

هى التى تشتري وهى التى تذهب الى المحلات .. أما أنا فلقد بدأت اكيّف حياتى مع ظروفى الجديدة .. وأحاول أن أقوم بما يسمح به جهدى المحدود من أعمال تخفف عن زوجتى بعض أعباء البيت ، وأصبحت بعد فترة قصيرة أصحو مبكرا .. وبعد انصراف زوجتى والأولاد للعمل والمدرسة اتجول فى الشقة بالكرسى المتحرك فأقوم بتقشير خضار اليوم وأغسل بعض الاطباق .. وبعض الجوارب والمناديل ثم اطبخ ما أستطيعه من خلال الكرسى المتحرك وأصنع كل ما أستطيعه لان زوجتى تعود فى السادسة مساء فقطم بترتيب البيت وتفرغ لخدمتى والأبناء ومساعدتهم فى الاستذكار .

وأصبحت أشعر داخليا أننى « ست البيت » وانها هى رجل الأسرة الذى يتحمل كل المسئوليات .. وآلمنى ذلك كثيرا .. ولكن ماذا كنت أستطيع ان أفعل ولم يكن لى حيلة فيما جرى .

وذات يوم وكنا فى بداية الصيف جاءنى ابنى يطلب منى السماح له بالذهاب مع بعض أصدقائه فى رحلة إلى مرسى مطروح ، فرفضت لأنى أرى انه مازال صغيرا على القيام برحلة بمفرده مع اصدقائه بلا رقيب كما انه غير مستعد للاعتماد على نفسه ، ولم تعلق زوجتى على ذلك وسكنت لكنى فوجئت بابنى بعد ذلك بأيام يناقشنى فى ذلك ثم يقول لى فجأة : ليس من حقك ان تسمح او تقبل ذهابى الى الرحلة ، وماما هى صاحبة القرار لأنها هى التى تعمل وتكسب بينما أنت جالس فى البيت طوال النهار على هذا الكرسى بلا عمل !

كنت وحدى على مقعدى فى ركن التلفزيون من الصالة وكانت زوجتى فى العمل وابنتى تشتري شيئا من الخارج وذُهِلت وأحسست بالبرودة تسلل إلى كل جزء من جسمى .. ثم انتفضت ورفعت يدي لأصفعه .. فوجدت يدي ترغى ثم قطرات من الدمع تقفز من عيني حتى لأراها أمامى وصدّقنى

إنها كانت تقفز ولا تسقط إلى أسفل لأن قوة الدفع وراءها كانت شديدة
فاذا بها تدفعها للإمام لا إلى تحت .

دارت الدنيا بي يا سيدى .. ولم أعد أراه أمامى .. ولا أرى شيئا ولم
أشعر بشيء إلا وهو يركى ويقول لى « معلش يا بابا حقت على يا بابا ..
أنا آسف يا بابا » ثم يقبل رأسى وأنا أقبله ولا أستطيع حتى أن أغضب منه ؟
فما قاله هو الحقيقة .. لكننى لا ذنب لى فيها .. ولم أرد لنفسى ما أنا فيه
لكن الحياة تبدو قاسية أحيانا يا صديقى بلا ذنب فى ذلك . وكان هذا هو
حالى مع ابنى وفلذة كبدى الذى طعننى فى رجولى وكرامتى بغير قصد ،
ولقد ترك هذا الحادث فى نفسى أثرا غائرا فأقضيت أسبوعا وأنا لا أكلم
زوجتى ولا أفعل شيئا سوى التفكير الصامت الحزين وتحت تأثير الغضب
أو الشيطان - لا أعلم - توصلت إلى قرار خطير قررت تنفيذه مع شريكة
عمرى وألمى وعذائى .. وذات يوم بعدها كانت عائدة من عند شقيقها الذى
ذهبت إليه مع أشقائها لتوديعه قبل السفر ، فاستقبلتها مع أولادى عند الباب
ثم انفجرت فيها متهما إياها بخيانتى وداعيا عليها أمام الجيران أن ينتقم الله
منها وطردتها .. فهرولت باكية إلى الخارج تلاحقها لعنائى وصياحى ،
وانفجرت الفضيحة فى العمارة وفى وسط الاسرة وبلغت شظاياها مكان
عملها . ورقدت هى مريضة فى بيت اهلها .. ورقدت أنا مريضا فى بيتى .
والآن وبعد ان مضت الشهور والاسابيع وتوالى الأحداث .. وتدخل الاهل
والأقارب اعترف لك امام الله ألى ظلمتها وأنى مثلت معها دور الزوج
المخدوع لكى أتخلص من عذائى ، وأنه لا توجد على ظهر الارض من هى
أشرف منها . إننى العن نفسى كل يوم .. وأنجبرع الندم كل لحظة لكن ماذا
يفيد الندم ؟ إلى أسأل نفسى كل يوم ماذا فعلت . ولماذا فعلته مع اقرب
إنسان فى الوجود الى قلبى ؟ فلا اجد جوابا مقنعا لهذا السؤال .

لقد جاءنى شقيقها منذ أيام يرجوئى ان أمنحها الطلاق وأن أتركها

الأبناء ولو على سبيل المكافأة عن الفترة التي قضتها بجوارى تمرضني وترعاني ، لكنني لم أتخذ قرارى بعد .. فأنا أريدها أن تعود إلى وإلى أولادها وإلى بيتها .. فهل تعتقد أنها يمكن أن توافق على العودة .. وإذا وافقت هل تعتقد أن الناس والجيران والأهل الذين علموا بما جرى سوف يسون الواقعة الضجيلة التي رويتها لك ؟ إلى اعترف اننى اخطيء لكن فى مثل سنى وظروفى فإن الازمات النفسية تكون شيئا متوقعا كما تعلم . لذلك فأنى أرجوك الا تنصحنى بطلاقها وترك الابناء وأن أعيش وحدى بعيدا عنها وعنهم لأنى لا أستطيع مفارقة أبنائى فهل تساعدنى برأيك فى حل مشكله صنعها ييدى ؟ .



.. ولكاتب هذه الرسالة المؤلمة أقول :

يا سيدى لقد اخترت أسوأ نهاية لأكثر القصص التي قرأتها فى رسائل القراء تأثيرا فى النفس وإيلاما لها فلقد اخترت لنفسك أن تكون ظالما وأنت من ظلمته الحياة واخترت لنفسك ان تكون جانبا وانت أصلا ضحية .

وصدقتى أن جسدى قد إقشعر وانا اقرأ رسالتك حين بلغت هذا المشهد المؤلم بينك وبين ابنك الصغير . سامحه الله وسامح أمثاله ممن لا يدرون أحيانا أين تقع كلماتهم الجارحة من القلوب الكسيرة ، لكنه طفل يا صديقى وإن أخطأ أو أجرم وحتى لو كان وراء هذا الخطأ نقص تربوى معين لم يلغى إليه أحد خلال صراعكم مع الحياة ، لذلك فان خطأه لا يرر لك أبدا ان تنقم من شريكة حياتك الصابرة التي لم تتخل عنك فى محنتك وكانت لك نعم الرفيق والصديق هذا الانتقام الجبار .

لا يا سيدى إنها لم تكن لتستحق منك هذا الانتقام مهما كانت اسبابك الحقيقية لهذا التصرف العنيف فلو كنت مثلا قد أردت تحت تأثير الآلام النفسية لما جرى بينك وبين ابنك ، ان تثبت لنفسك أنك مازلت رجل

الاسرة الأمر الناهى الذى يحاسب ويعاقب .. فلم تكن هذه هى الوسيلة الصحيحة لتفعل ذلك بهذه الطريقة العلنية الجارحة مع شريكة عمرك الخاصة . ولو كنت قد قررت أن تنهى ما بينك وبينها اقتناعا باستحالة استمرار الحياة بينكما على هذا النحو ، فلقد كان الأجدر بك أن تصارحها بذلك وأن تنهى الأمر كله باحترام يليق بها وبك وبأسرتك وبرصيدا الكبير لديك . وحتى لو كنت قد وقفت منها هذا الموقف الشائن لأن الشك قد ساورك فيها فى لحظة ضعف والنفس أمارة بالسوء كما تعلم .. فلقد كانت هناك طريقة أخرى لإنهاء الأمر بغير هذه الفضيحة ، فلماذا اخترت هذه الطريقة البشعة للإساءة الى من تقسم إمام الله باخلاصها وشرفها ؟ .. ولماذا تسيء الى نفسك وإلى ابنائك هذه الإساءة البالغة وقد كنت تستطيع تقديرا لماضيها معك على الأقل وحرصا على مشاعر ابنائك وسمعتهم ان تنهى كل شيء فى هدوء ، ألم تعلم أنك بذلك قد أسأت الى أبنائك قبل ان تسيء اليها ، وانه كان حريا بك أن تحسن إليهم قبل ان تحسن اليها لقد قال أحد العرب ذات مرة لبيه : لقد أحسنت إليكم صغارا وكبارا وقبل أن تولدوا فقالوا له وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد ؟ قال : إخترت لكم من الامهات من لا تسبون بها ! فلماذا أردت لابنائك ان يسبوا بأهمهم بهذه الفضيحة التى لا مبرر لها وأنت تعرف صدق إخلاصها ؟ ثم لماذا يا سيدى تسلى الآخرين بعذابنا وآلامنا لو كنا معذبين ولماذا لا ينهى الانسان عذابه بغير أن يشهد عليه العالمين ؟ .

إننى لا أريد ان أقسو عليك .. لأنك ضحية فى النهاية .. ولأنا جميعا نحسن السباحة فى مياه الشاطئ الضحلة فإذا ما جرفنا الموج إلى المياه العميقة لا نعرف كيف يمكن ان يكون حالنا أو ماذا يمكن أن نقول أو نفعل وليس المعزى كالتناكل ، لذلك فإنى أفهم ظروفك يا سيدى وأقدر الألم لكى أطلبك بأن تكون عادلا سواء عادت المياه الى مجاريها معها أو لم تعد وأطلبك

بألا تسكت على ضيم أوقعته بأحب الناس إليك وأكثرهم إخلاصا لك وأنت
تملك رفعه خوفا من ربك وإرضاء لضميرك قبل كل شيء فأعلن للناس يا
سيدى ما صارحتى به .. ورُدَّ لزوجتك شرفها أمام كل من رميتها أمامهم
بالباطل ، فالساكت عن الحق شيطان أخرس واعلم ان الله لا يتسامح مع
هذه الجريمة الشنعاء ما لم ترجع عنها .. ثم بعد ذلك ابحث أمر مستقبلك
معها ومستقبل أولادك معا فليس عيبا أن يخطيء الانسان مرة لكن العيب
كل العيب هو ألا يصلح خطاه وهو معترف به خاصة إذا ترتب عليه إنصاف
مظلوم ..

تسألنى هل تقبل أن تعود إليك فأقول لك لا أعرف على وجه التحديد
وإن كنت أتصور أن طبيعتها المضحية ربما تغلب عليها في النهاية فتقبل بعد
إنصافها أن تعود إليك من أجل أولادها ولا يجوز في مثل هذه الحالة أن
تسألنى هل ينسى الناس أو لا ينسون فليس مهما أن ينسى الناس وإنما المهم
هو أن تنسى هي وأن تصفح !

عمارة الأحلام

سأبدأ قصتي بلا مقدمات لاني في حالة لا تسمح لي بالفلسف أو حكاية الحكايات .. وستعرف ماذا أقصد حين تقرأ سطور رسالتي .. أنا يا سيدى رجل في الأربعين .. خلال دراستى الجامعية تعرفت بزميلة لى أحببتها وأحببتى وشرعنا بنى معا مستقبلا ، وبعد التخرج بعامين وفقنا فى الحصول على شقة تزوجنا فيها وبدأنا قصتنا السعيدة ، فعشت معها سنوات كان فيها الحلو .. وفيها المر لكن القافلة كانت تسير ، وخلال رحلة العمر معها انجبتا ثلاثة أطفال ، وسافرت للعمل فى احدى الدول المجاورة عدة سنوات حرصت خلالها على تركها هنا توفيراً للنفقات ولكى أجمع أكبر قدر من المال يسمح لنا بتكوين حياتنا وحتى حين عدت بعد سنوات العمل واصلت العمل هنا ليل نهار لكى أستطيع استكمال بناء منزل ٤ أدوار وضعت فيه كل مدخراتى وحصيله كفاحى فى الغربة وهنا وسط اصعب الظروف وفعلا تمكنت بجهد جهيد من استكمال البناء وبنيت عمارة الاحلام كما يقولون وبدأت أستعد لكى أجنى ثمار هذه السنوات الطويلة من الكفاح ، وفى هذه الأيام بالتحديد أفقت فجأة على صدمة هزت كيائى كلى . فلقد فوجئت بزواجى المحبوبة التى واصلت العمل فى الليل والنهار من اجل تأمين مستقبلها ومستقبل ابنائها تطلب منى الطلاق وتصر عليه . لم يقع بينى وبينها خلاف .. ولم تشهد حياتنا تقلبات عنيفة .. فلم يحدث بينى وبينها الا ما يحدث احيانا بين الأزواج من خلافات بسيطة لا يخلو منها بيت لذلك كان طلبها مفاجئا لى تماما وحين سألتها عن الأسباب قالت لى بإصرار : نحس انها قد أصبحت بالنسبة لى منذ سنوات بعيدة قطعة من قطع اثاث البيت وإنها لا ترغب فى مواصلة الحياة معى .. حاولت اثناءها عن ذلك ووعدتها بأن اعطيها إهتماما أكبر ووقتا أكبر بعد

ان انتهيت من بناء البيت ولم أعد مطالبا بالعمل بهذه الطريقة السابقة فلم تقنع أشركت أسرتها في الأمر ففوجئت بوالدها تؤيدها في مطلبها فمئنتها الطلاق راغما .. على أمل أن يبدأ غضبها بعد فترة وأن تراجع نفسها من أجل الأبناء ومن أجل واعطيها كل حقوقها فاعطيها أثاث البيت والأبناء وكل شيء وتركت شقة الزوجية لها وأقمت في شقة من عمارتي الجديدة وحاولت ألا اقطع ما بيني وبينها آملا في إعادة الأمور الى مجاريها فكنت أسأل عنها .. وعن الأبناء وأعطيها النفقة بنفسى فلاحظت لأول مرة وجود شخص ثالث في حياتنا يؤثر على مجرى الأحداث بدون أن أعرف سرقوته أما الشخص الثالث فهو صديق كنت قد فتحت له بيتي وقلبي منذ سنوات طويلة كان دائما على استعداد لأن يقدم لنا خدماته .. كان يأتي إلينا ليجد عندنا الراحة من متاعبه مع أسرته ويجد عندنا النصيحة المخلصة ووثقت به ولاحظت أن هناك تقاربا بينه وبين زوجي لكنى لم يساورنى الشك فيه وحتى حين أردت أن أتخلص من ظنوني ذات مرة فصارحته بما يساورنى من شك قال لى إنه ليس سوى أخ لزوجي وانه كان يدخل بيتنا منذ الطفولة كصديق لشقيقها ويهم بأمر أسرته .. وتذكرت فيما بعد ان زوجي كانت تعتمد عليه دائما في أشياء صغيرة لم يكن انشغالي المستمر يسمح لى بالقيام بها كالتوصيل الى الطبيب او اصطحاب الأبناء الى عيادة طبيب الاطفال او أداء مهمة تتعلق بشقيقاتها الأصغر منها .. وحين وقع الطلاق وجدته مستمرا فى رعايتها ورعاية شقيقاتها بل والأبناء أيضا ونصحته بالابتعاد عن أسرته لكيلا يتيح مجالا للحديث فقال لى انه صديق قديم للأسرة وإنه أخ لا أكثر وخلال هذه الفترة عرضت عليها ان تنتقل من شقة الزوجية القديمة الى الشقة التى كنا قد أعدناها فى البيت الجديد واخترنا كل شيء فيها معا من الألوان الى البلاط الى السيراميك الخ .. فاشتريت لكى تسكن هذه الشقة أن أعطيها عقد إيجار كمستأجرة وأن تقيم فيها مع ابنائها كمطلقة قاتلة إنها ربما بعد

عام أو عامين حين عهداً مشاعرها فانها قد تعود الى فقبلت لكيلا أغلق الباب بيني وبينها وحبا في الابناء لكيلا يعيشوا بعيدا عني .

وقبل أن تنتقل إلى الشقة الجديدة كانت وبمساعدة الصديق نفسه قد تنازلت عن شقة الزوجية القديمة لصاحب البيت مقابل مبلغ من المال ثم حلت اثاثي السابق الى الشقة الجديدة وفرشت الشقة به وبعد ان استقرت فيها واستقر كل شيء في موضعه كان اول شيء فعلته بعد الانتهاء من ترتيب قطع الاثاث وتركيب الستائر وتنظيف البيت هو الذهاب الى قسم الشرطة المجاور لكي تطلب من الشرطة استدعائي لتحرير تعهد بعدم التعرض لها . هل تصور ذلك يا سيدى ؟ كنت معها وهى تقوم بترتيب الاثاث ومعها وهى تتركب الستائر بل ورأيتها تفضل لتستبدل ملابسها وتخرج بعد دقائق فوجئت بمن يطلبني للذهاب الى القسم فذهبت متعجبا فاذا بها جالسة بنفس الفستان الذى استأذنت لترتيبه في حجرتها وامامى تعهد مكتوب ومطلوب توقيعى عليه .

ماذا جرى للعالم يا صديقى ؟ ألهذا الحد يصل الغدر والتدبير بأعصاب باردة كأننا لسنا بشرا عاديين وانما من دهاة المتأمرين . نظرت إليها مصدوما فحولت عينها بعيدا عني بلا مبالاة وكان القانون معها فوقعت وأنا في قمة الخجل واليأس وانصرفت وأنا مقهور مكسوف .. مذهول وعدت للشقة الاخرى التى اخترتها للحياة فيها وحدى ووضعت فيها بعض الاثاث السرى وهى الشقة المواجهة تماما لشقة مطلقتي أو زوجتى السابقة وامضيت في شقتى يومين لم أستطع مغادرتها خجلا من الجيران الذين توقعوا ان يكون دخولها للبيت تمهيدا لعودتها الى ولم تضع هي وقتها فبعد ايام قليلة فوجئت بها تتزوج من هذا الصديق تزوجه في شقتى التى بنيتها طوبة طوبة وأنفقت عليها ثمرة شقائى . وعلى اثاثي الذى اشترته بسهرى وعملى من الفجر كل يوم الى منتصف الليل وبين اولادى الذين حرمت منهم وهم على بعد خطوات منى

وحين اعترضت وتكلمت قال لى الجميع انها مطلقة وحررة ومن حقها ان تتزوج بمن تشاء ووضعها قانونى فمعها عقد ايجار للشقة التى تسكنها فعدت مغفولا محسورا .. انتى اكتب اليك لاسألك ماذا أفعل انتى مستسلم لما إختارته لى الأقدار وآمل فى ان تحمل لى الايام يلسمها شافيا لجراحى ولكنه من المؤلم جدا يا صديقى أن تكون شقتى امام شقتها والباب امام الباب وان كل يوم وكل ساعة أراه وقد حل محلى فى مكانى من زوجتى وابنائى وهما يتمتعان معا بثمره شقائى فى الغربة ولى مصر وهل يرضى ذلك أحد ؟ انتى حائر لا اعرف ماذا افعل هل ابيع العمارة واذا فعلت أين اذهب امعماذا تصحنى يا صديقى الذى لا اعرفه بعد ان فقدت ثقتى فيمن عرفت من اصدقائك ؟ .



للكاتب هذه الرسالة اقول :

يا صديقى أنقذ نفسك من هذا العذاب الذى تتجرعه كل يوم وأنت ترى زوجتك السابقة ذات الاعصاب الحديدية صاحكة لاعبة لاهية مع صديقك السابق بين اولادك وفوق أثاثك لأن الباب امام الباب .. وانت ترقبها بحسرة وتتجرع كل لحظة الم الغدر والخيانة ؟ .

لا شيء فى الدنيا يساوى أن يتحمل الإنسان هذا العذاب إذا كان قادرا على ان ينجو بنفسه منه وأنت قادر والحمد لله فماذا تنتظر ؟ ولماذا لا تبيع هذه العمارة اللعينة التى هدمت أسرتك بانشغالك الشديد بجمع ثمنها ثم يئالها الى الحد الذى تركت فيه لفرك ان يقوم بما كان ينبغى ان تقوم به انت من رعاية زوجتك وابنائك ؟ ثم ماذا يساوى مال الدنيا اذا افقد الانسان السعادة والكرامة والأمان ؟ .

لقد غابت عنك أشياء كثيرة يا صديقى فى حينها ومهدت بتصرفاتك لكل

ما حدث فلم تر النار تسرى تحت الرماد لأنك مشغول بعمارة الاحلام ولعلك نفخت فيها بغير قصد بإعتادك التام على هذا الصديق الغادر وبثقتك فيه رغم أن الأمور كانت واضحة أمام كل ذى عينين .. ثم حين نفذت لزوجتك رغبتها فى الطلاق ابتذلت نفسك فى محاولات استرضائها للعودة اليك فاعطيتها الفرصة لكى تحقق من ورائك اكبر قدر من المكاسب وتستولى منك على شقتين بدلا من شقة واحدة وتستولى على الشقة التى اعدتها خصيصا لها بمداغة أملك فى إمكان عودتها إليك وحين تمكنت نفضت يدها منك باعصاب قاتل محترف لا يوجه ضربه الا فى مقتل وهذا هو اكثر جوانب خديعتها اجراما وانتهازية وأنانية . وهذا هو ايضا اكثر جوانب شخصيتك تناقضا فانت فيما يدولى حريص على المال ومع ذلك فقد لانت فراملك سريعا معها لرغبتك الشديدة فى اعادتها إليك ولعلها عرفت ذلك فيك فاستثمرت بتفكير ماذى يجت هذه الرغبة لتحقيق لحياتها الجديدة التى دبرت لها من اللحظة الاولى اكبر مكاسب ممكنه ولو كان ثمن ذلك ان تغدر بك مرتين . مرة بالانفصال عنك للارتباط بصديقك ومرة أخرى بهدم كل أحلامك بعد الحصول على الشقة لكى تتزوج شريكها وتستمتع بحياتها أمام عينيك يا إلهى انه تفكير رجال عصابات .. لا زوجة سابقة وأم لأطفال يجمعون بينكما الى نهاية العمر حتى ولو انفصلتا فماذا جرى للبشر يا صديقى ؟ ولماذا اصبح بعضنا لا يتردد عن طعن الآخر . بنحجر مسموم إذا لاحت وراء ذلك منفعة مادية ؟ لقد كانت تستطيع ان تتزوج من شريكها فى شقتك القديمة وان تعلنك بذلك بوضوح وبشرف ولم يكن لأحد ان يلومها مادامت قد اختارت حياتها وهى فى النهاية رغم الغدر سوف تتزوج زواجا مشروعا فلماذا هذا التدبير الاجرامى ؟ .

إننى أشعر بعذابك يا صديقى وأحس إننى أمام دراما غريبة تقف فيها وحيدا وسط قوم لم تأخذهم بك شفقة ولا رحمة حتى ولو كنت مخطئا لكن

هكذا الدنيا يا صديقي تقسو أحيانا وتصفو أحيانا أخرى وعلينا أن نتعلم فيها كيف نتقبل الهزيمة كما نسعد بالانتصارات الشخصية .. والصوفية يقولون في بعض أشعارهم :

فات ما فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها
والساعة التي أنت فيها تطالبك بأن تخرج من موقف المحسور الذي يرقب
سعادة الآخرين بأسى وألم ويتعذب بها وتطالبك بأن تطوى هذه الصفحة
الأيّمة وأن تبدأ حياة جديدة مزودة بخبرة ثمينة عن الحياة والبشر ولعل ما
حدث يعلمك أن المغالاة في الجري وراء المال على حساب حق الزوجة
والأبناء من الرعاية لا تحقق السعادة كما أن بناء العمارات على حساب كل
شيء آخر في الحياة لا يحقق الكرامة ولا الامان ..
وما أكثر ما نتعلم كل يوم من فصول جديدة في علم الحياة .

« أدب الحياة »

بقدر ما اعرف ان رسالتى هذه سوف تدهشك بقدر ما أعرف انها سوف تسعدك لانها رسالة تختلف كثيرا عما يصلك من رسائل .. وعما أقرأه منها مع اصدقائى على الورق والتفاعل معها حزنا احيانا وغضبنا أحيانا اخرى .. ودموعا تنساب منى بغير ان اشعر احيانا ثالثة وكثيرا ما افكر فى الكتابة اليك ثم تشغلنى مشاغل الحياة الا ان رسالة واحدة من هذه الرسائل دفعتنى دفعا لان اكتب واراد عليا .. وهى الرسالة التى نشرتها بعنوان « بئر الحرمان » التى تشكو فيها سيدة من قلة دخل زوجها حتى انها كرهته مع انه انسان مثالى كما تقول وتعجبى وكدت اقول لها اتكرهين من احببت من اجل نقود تذهب ونجىء . اننى على ثقة ان هناك اكثر من زوجة قالت بعد ان قرأت رسالتها اعطنى زوجك المثلالى المحب الحنون .. وخذى مال الدنيا كله .. واستأذنى فى ان ارد عليها نيابة عنهن فأقول لها اننى سيدة فى الخامسة والثلاثين من عمري من اسرة كبيرة يشغل معظم افرادها مراكز كبيرة ووصل بعضهم الى كرسى الوزارة ، وحين كنت فى السادسة عشرة من عمري ارادت امى ان تزوجنى لرجل رأته مع ابى واعجبتها وسامته وشخصيته .. وحاولت اقناعى به بكل الطرق الممكنة فزادنى ذلك اصرارا على الرفض لالى كنت متفوقة فى دراستى وراغبة فى استكمالها .. لكن امى مضت فى الاجراءات .. وجاء هو مع امه كزيارتنا زيارة تمهيدية قبل الخطبة .. فرفضت ان ادخل الصالون لاصافحه .. واصررت على ذلك وامى تحاول اقناعى الى ان استجبت لها وقررت فيما بينى وبين نفسى ان ادخل الى الصالون معتزلة ان اجعله يخرج من بيتنا ولا يفكر فى العودة اليه .

ودخلت الصالون لرؤيته .. ولا اعرف ماذا جرى لى حتى الان . دخلت

وانا انسانة وغادرت الصالون بعد عدة دقائق من الحديث معه وانا إنسانة اخرى .. ان امي تقول لى ان ماحداث هو .. النصيب . وانا اقول لا .. بل هو الحب .

فلقد رأيت رجلا بكل ماتحمل الكلمة من معان .. ثقافة .. لباقة .. وافقا واسعا .. ووسامة .. وشخصية .. واصلا طيبا عريقا ، فأحبته من الدقائق الاولى واحبنى وتمت خطبتنا .. ونسيت من اجله طموحي ودراستي وكل الدنيا وعشت له وبه .

وعندما تزوجنا كان مرتبه ٢٢ جنيها وكان يملك ٩ أفدنة وكانت وقتها ذات شأن والمستقبل امامه مشرق ، فعشنا بهذا المرتب الصغير اجل ايام عمرنا .. ورزقنا الله بطفلتين اية فى الجمال ولم يزد المرتب كثيرا ليوافق متطلبات الحياة الجديدة .. وايراد الأرض محدود للغاية فقرّر زوجى ان يحقق امل حياته وان يكمل تعليمه مابعد العالى على نفقته فباع بضعة افدنة وسافر الى أوروبا بشئها ليكمل تعليمه ، وبعد عامين من سفره سافرنا اليه انا وبناتى . فعشنا معا اجل سنى العمر .. ورأينا مالم نره واستمتعنا بالحياة هناك مدة ٤ سنوات كاملة كانت كلها رحلة من الهناء رغم قلة المورد .. وعدنا بعد كفاح مجيد استطاع خلاله رجلى الحبيب ان يحقق مايتناه وان يحصل على الدكتوراه التى اغترب من اجلها .. لكننا وجدنا الدنيا بعد عودتنا مختلفة عنها حين سافرنا . وعدنا فاكشف زوجى أنه فقد وظيفته لان المؤسسة التى كان يعمل بها قد حلت وانه قد تحول الى موظف بمصلحة حكومية لاعلاقة لها بدراسته وشهادته العلمية الحكومية لانه لم يكن فى الخدمة فى نهاية عام ٧٤ كما تنص اللوائح .. وكنت قد انجبت بنتا اخرى واصبح عدد افراد اسرتى ٥ ، وكل دخلنا من الوظيفة هو ٩٥ جنيها بالاضافة الى حوالى ٥٠ جنيها من ايجار الأرض المتبقية ، أى انه تقريبا نفس دخل كاتبة رسالة بثر الحرمان التى كرهت زوجها بسبب قلة الدخل علما بأنها تعيش فى قرية

صغيرة .. ونحن نعيش في عاصمة احدى المحافظات الكبرى .. فهل انا
ناقمة .. ثائرة مثل هذه الاخوت ؟ ابدا والله فأنا والحمد لله سعيدة لان في
حياتي اشياء اخرى كثيرة اجمال واهم من النقود .. فعندى زوج بالدنيا ..
يجمعنا معا الحب والالفة والمودة واشياء اخرى خاصة بنا صغيرة وجيلة
لا تعوضني عنها نقود الدنيا .. وعندى ٣ بنات هن اية في الجمال كبراهن
على ابواب الجامعة وكل فرد منا يحب الاخر ويقدره وقد افاء الله علينا من
نعمه الكثير .. فنحن والحمد لله بصحة جيدة .. وبيتنا « مستور » دائما بستر
الهي .. له العجب . فمعظم افراد اسرتي كما قلت لك اثرياء واخوتي كلهم
في مراكز مرموقة يحبونني ويحبون زوجي ويحترمونه ولم يحدث خلال ٢٠
سنة ان غضب احدهم مني او من زوجي .. بل يلجأون الينا دائما في حل
مشاكلهم مع بعضهم البعض فكنا دائما واسطة خير بينهم .. ودائما يم
الصلح على ايدينا .. وبيتنا والحمد لله رغم انه اقل البيوت دخلا بالنسبة
ليوتهم هو قبلتهم التي يشعرون بالراحة فيه .. وما من طعام اصنعه بيدي
حتى يتفادوا عليه بسعادة رغم بساطته .. و« ستره عجب » كما يقولون فكثيرا
ما تحدث في حياتنا اشياء صغيرة تملأنا سعادة وحباً ، فمثلا قد يكون رصيدنا
في التلاجة صفرا وفجأة يأتينا الخير من حيث لاندرى .. وبمجرد ان تمتلئ
التلاجة يأتي الضيوف فنقوم بالواجب وزيادة وفرحة الدنيا لامتسنا وانا باقل
الاشياء اصنع سفرة رائعة .. واجيد صنع كل شيء من الخبز الافرنجي الى
التورتات وكل انواع الحلوى والبسكويت الى المحشى والكشري أبو دقة ،
وكل فرد في اسرتي واخوتي كثيرون والحمد لله يحبون طعامي ويستطيون ..
وانا من النوع الذي يصنع من الفسيخ شربات وهكذا سيدات كثيرات
يدبرن امورهن مع الحياة بلا انين ولا شكوى ، لقد رأيت فستانا من التريكو
لابنتي في الفاترينة ووجدت ثمنه ٣٢ جنيها ، فاشتريت الصوف وصنعت
صورة طبق الاصل منه بل اجمال منه في حوالى شهر وتكلف ٥٦٠ قرشا ،

وانا لا املك حلقة ذهبيا ازين به اذلى .. لكنى بهذه الاذن نفسها اسمع اجل وارق الكلمات من زوجى ومن الاهل والابناء والاحباء ، وانا لأملك عقدا ذهبيا ازين به صدرى .. لكنى املك قلبا ذهبيا يحب الناس ويادولونه الحب ، وليس فى يدى سوار ذهبى .. لكن فى يدى الف بركة ، وليس على نوافذ بيتى ستائر لكن « ستر ربنا » يغطينا من كل جانب . وليست شفتى مفروشة بالسجاد ولا بالموكيت .. لكنها مفروشة بالحب والحنان .. والدفع فى قلوبنا هو « زادنا وزوادنا ، وصدقوى والله العظيم اننى لا اتحدث عن فيلم سينمائى رأيت بل عن حقيقة اعيشها والحمد لله ..

ولعل كاتبة الرسالة قد فهمت ماذا اريد ان اقول لها من هذه الرسالة الطويلة .. اننى اريد ان اقول لها ان النقود تذهب وتجيء .. اما الزوج المثالى المحب المخلص .. فلو راح - لا قدر الله - فلاشئ فى الدنيا يعوضه .. لان الرجل هو الذى يأتى بالنقود .. اما النقود فمهما فعلت فلا تستطيع ان تأتى بزوج محب .. فلتشكر الله على ماأنعم عليها به من زوج مثالى وطفل جميل قد تحسدها عليهما اغنى امرأة فى العالم .

كما أريد ان اقول لها حاولي ان تجيدى صنع شئ بيدك وان تستخدمى قدراتك فى تجميل حياتك ان لم يكن بهدف الاتجار فعل الاقل للترويج عن نفسك واضفاء لمسات عليها تخفف من جفاء الحياة .. واقتربى من زوجك .. وكونى رفيقة به وتمسكى به فهو زوج مثالى فى زمن عز فيه الرجال واخيرا اقول لها ولكل اصدقائى على الورق من قراء بريد الجمعة اجل تحياتي .. ولى طلب واحد فقط منكم جميعا هو ان « تمسكوا الخشب » وانتم تقرأون رسالتى وان تدعوا لى جميعا من قلوبكم ان يديم الله علينا نعمته .. وان يحفظ لى زوجى حتى آخر لحظة من عمرى .. فليس لدى ماأشاه سوى ان يفرق بيننا هازم اللذات ومفرق الجماعات .. ولست ارجو من دناى سوى .. اعز الحبايب .. زوجى .. والسلام عليكم ورحمة الله .



« احسست بعد قراءة هذه الرسالة الى غير قادر على التعليق عليها .
 اذ ماذا يمكن ان يخط قلمي ارق من هذه الكلمات الصادقة .. و اى نظرة
 اعماق للحياة يمكن ان اتوصل اليها بافضل مما فعلت كاتبة هذه الرسالة .
 لقد قرأت رسالتك ياسيدتى فذكرت على الفور مقالته يوما الدكتور احمد
 امين من ان الادب الراقى هو الذى تحس بعد قراءته انك قد صرت انسانا
 مختلفا عنك قبل ان تقرأه . وصدقنى الى قد احسست بسمو غريب داخلى
 بعد ان قرأت رسالتك هذه . وانى وجدت فيها اجابات لكثير من التساؤلات
 الحائرة لدى بل ووجدت فيها ايضا بعض السلوى وبعض العزاء . فرسالتك
 ياسيدتى قطعة من « ادب الحياة » الرفيع الذى لا يحتاج الى شهادات جامعية
 لتعلمه .. ولا لدراسات اكاديمية لاجادته . لانه ادب الصدق مع النفس ..
 والفهم العميق لحقائق الحياة الاساسية .. وارجو ان يصدقنى القراء اننى لم
 اعالج صياغة هذه الرسالة باكثر من إخفاء بعض ملامح شخصية كاتبها بناء
 على رغبتها وباعادة ترتيب بعض اجزائها وانى لم ابدع هذه الصور الشعرية
 الفريدة عن الاذن التى بلا « حلق والعنق الذى بلا قلادة » الخ .. وهيات
 لى ان أفعل لو اردت . انها صور املتها عاطفة صادقة تغمر حياتها كلها بالحب
 الصادق .. ولاتباعها سوى مثل هذه المشاعر . صحيح ياسيدتى .. كن جيلا
 تر الوجود جيلا !

وصحيح ايضا انه فى الحياة اشياء عديدة بأن نحياها من اجلها .. ليس
 من بينها بكل تأكيد المال الذى لايشترى حبا .. ولايشفى مرضا . ولايعيد
 غائبا من غيبته .. اذ كيف يمكن ان يرغم المال احدا على ان يفجر ينابيع
 الحب بداخله بهذا الصدق .. وبهذه الفطرة العجيبة .

اننى اشكرك على رسالتك القيمة هذه التى اطلت على فبددت من نفسى
 وحشه المت بها وانا افتش بين مئات الرسائل لقراء بريد الجمعة عن رسالة
 تضيف الى تجربة الانسان خبرة جديدة تعينه على مواجهة الحياة .. او اضافة

انسانية تعمق من فهمه للعالم ، فلم أجد بكل اسف .. وانما وجدت عشرات
من الرسائل تحمل هموما عادية .. ومئات اخرى تحمل هموما غير حقيقية
تذكرني دائما بقول ايليا ابو ماضي :

ايها الشاكي وممايك داء

کیف تبدو إذا غدت علیا؟

كما وجدت بينها أيضا عشرات من الرسائل الأخرى التي تذكرني دائما
بعضمة الفقيه إبراهيم بن إسحق الحرابي الذي عاش في القرن الثالث الهجري
وروى عنه الرواة أنه عاش « يعانى من صداع باحد جانبيه رأسه ٤٥ عاما
لم يجز به احدا » وأنه عاش بفرد عين ١٠ سنوات .. فلم يجز بها احدا »
وأنه كان يقول ان الرجل الحق هو من ادخل همه على نفسه .. ولم يدخله
على اسرته .

فبعض الناس يؤمنون بعكس ما آمن به ابراهيم بن اسحق على طول الخط .
وبعضهم لا يرى في الحياة الا كل سواد .. وتفغل عيناه دائما عن رؤية
جوانب حياته الجميلة بالارضاء والسعادة .. ولا تنقع الا على ما ينقصها فقط
من الجوانب الاخرى ..

ودرس رسالتك الذى تعلمته هو ان ثروة الحياة الحقيقية هي فى الصحة وسلامة الابدان وهذه العاطفة السامية الصادقة التى تربط بين الشريكين فتقطع كل جوانب حياتهما بالحب والسعادة وتفيض حبا للآخرين كما يفيض ماء النهر على جانبيه ، فيخفف عن المرء هجير الحياة ويقنعه بانه يملك الدنيا ولو لم يكن يملك منها شيئا ..

ليحفظ الله عليك بناتك الجميلات .. وزوجك الرائع .. وحياتك
الراضية السعيدة .. وارجو ان يكون صدى طرقات يدي على خشب المكتب
قد بلغ اسماعك طوال قراءتي الرسالة .. التي ادهشتني فعلا كما توقعت ..
واسعدتني ايضا .. ولكن باكثر مما توقعت !

الوجه الآخر

أكتب اليك .. وأنا أعرف أنك لا تملك لي شيئا .. لكنني أكتب اليك لأنني سوف أشعر بالراحة حين تسمعني وتفهم مشكلتي .. ورسالتني لك لا تتحدث عن حاجتي إلى شقة لأن لدى شقة والحمد لله .. ولا تتحدث عن حاجتي إلى عمل إضافي أو أساسي لأنني لا أريد أي عمل .. ولو جاء على طبق من فضة .. ليس لأنني غير قادر على العمل .. وإنما لأنني لا أريد أن أعمل .. ولا أريد أن أرى مكاتب أو عاملين ، فقد عافت نفسي العمل وأريد أن اخلى بنفسى بعد هذه السنوات الطويلة من الجري واللهاث . لقد استرسلت في الحديث عن مشاعري بدون أن اعطيك الفرصة لتعرف قصتي .. واعدوني لذلك فانا متألم .. وألمى قد دفعني للاندفاع في التعبير عن شعوري .

انا يا سيدى شخص كنت مُهمًا بالنسبة لآلاف الاشخاص حتى وقت قريب .. إذ كنت رئيسا لمجلس ادارة شركة كبرى يعمل فيها آلاف العاملين ، بدأت حياتي العملية فيها منذ اكثر من ثلاثين سنة . وتدرجت في وظائفها حتى بلغت أرقى منصب فيها وهو منصب رئيس مجلس الادارة منذ ٥ سنوات بالضبط .. وبالرغم من اني كنت قد اعتدت القيام بالأعمال الإشرافية منذ أكثر من ١٥ سنة .. وانتقلت الى موقع رئيس مجلس الادارة من منصب كبير داخل المؤسسة نفسها .. إلا اني حين مارست عملي الجديد كرئيس لمجلس الإدارة اكتشفت اني لم أكن أعرف الكثير عن هذا « الهيلمان » الذى يتيح هذا المنصب لصاحبه في شركة كبرى فقد كنت اذهب الى عملي في سيارة صغيرة تابعة للشركة ففوجئت عقب تعييني بمدير الحركة في مؤسستي وهو شاب لَزَج لم أكن استريح إليه وكنت أشك في أمانته ، يدخل إلى مبتسما

إتسامة عريضه لينتشي .. ويلغنى بأن « السيارات » جاهزة لاستعمالى من اليوم ، فسألته مندهشا أية سيارات ؟ قالت : سيارة سيادتك كرئيس لمجلس الادارة وسيارتان للخدمة إحداهما للمكتب والأخرى للبيت وان هذا هو النظام المعمول به فشكرته وصرفته وحين انتهى اليوم ونزلت لاركب سيارتى وجدت سيارة رئيس مجلس الادارة السابق تقف فى انتظارى بسائقها الذى يرتدى « بدلة مكوية وكرافت » .

ثم وجدت بداخل السيارة شخصا يجلس بجوار السائق اعتقدت انه قريبه او شيء من هذا القبيل .. لكننى وجدته يقدم لى نفسه بأنه من ادارة الامن بالمؤسسة ، وحين استدعيت مدير الأمن بالمؤسسة فى اليوم التالى لاسأله عن حكمة تخصيص أحد رجال المؤسسة لمرافقتى اجابنى بابتسامة ودودة ، بأن حراسة شخص رئيس مجلس الادارة من صميم أعمال ادارة الأمن بالمؤسسة ، وان هذا هو النظام المعمول به لصالح امن المؤسسة ونظام العمل بها .. فسكت وصرفته .

وفى الأيام الأولى تكشفت لى صورة جديدة تماما عن عالم غريب لم اكن أعرفه بالرغم من ألى كنت من كبار موظفى الشركة قبل تعيينى رئيسا لها ، فلقد كنت وأنا فى منصبى السابق أنفق حوالى ٤٠ جنيها كل شهر داخل العمل مقابل القهوة والشاى والسجائر التى اشترتها من بوفيه المؤسسة ، فاكشفت أن كل ما احتاج اليه من مشروبات وأدخنة لى ولضيوفى يُعطيه اعتماد مفتوح للاستقبال من ميزانية العلاقات العامة بالمؤسسة ، وان هذا هو النظام السائد ! وكنت على فترات متباعدة أضطر احيانا لدعوة بعض معارف العمل فى البيت على العشاء ردًا على دعواتهم لى ففوجئت بمدير العلاقات العامة يرتب لدعوة للعشاء فى بيتى لعدد من رؤساء الشركات التى نتعامل معها .. وان كل التكاليف سوف تتحملها إدارة العلاقات لعامة تنفيذاً لتقليد قديم ، وحين حاولت الاعتذار بأن بيتى غير مستعد لهذه الدعوات

أن صالة الاستقبال فيه ضيقة ، فوجئت بأنه يطلب منى الإذن باعداد مكان
 حتى للاستقبال في مسكنى على أن يتم ذلك قبل الموعد المحدد للدعوة ،
 فأذنت له ، فإذا بفرقة من المهندسين والعمال مهاجم البيت وأعمال التكسير
 والياض على أشدها .. وخلال ايام معدودات كانت قد تمت إزالة حائط
 كان يفصل بين حجرة الطعام وحجرة الصالون وهو حلم كان يرادنى منذ
 قديم لكنى لم اكن اقدر على تحقيقه لتكاليفه ولما يحتاجه من فراغ واشراف
 الخ .. وقد تمت العملية بنجاح باهر وجاءت السيارات فحملت الاثربة
 ونالج الكسر في لحظات وتم لصق الصالة التى اصبحت واسعة بورق حائط
 جديد ولم اتكلف من العملية كلها إلا ثمن ورق الحائط الذى أصررت على
 دفعه وتمت الحفلة .

أما الحياة في البيت فلقد اصبحت اكثر سهولة وبسرا عن ذى قبل ،
 فاقوين اصبحت سيارة الخدمة تشتريه من الجمعيات الاستهلاكية بالاسعار
 المعتدلة بعد ان كنا نعجز في احيان كثيرة عن شرائه منها ونضطر لشرائه
 من البقال .. ولاحظت بالتدريج الى قد اصبحت محور حياة كثيرين جدا في
 المؤسسة .. فالمديرون الكبار يبدؤون يومهم بزيارتي وتبادل تحية الصباح معى
 والجميع يتمنون بصحتى فاذا اصبحت بنوبة برد .. فالسؤال لا ينقطع في
 الطيفون في البيت عن أخبار الانفلونزا . وبعضهم يتطوع باحضار أحدث
 أدوية البرد التى ظهرت في أوروبا ، وطبيب المؤسسة يزورنى في البيت كأى
 مريض بمرض خطير ! . وفي المناسبات المختلفة أتلقى بطاقات التهانى ويون
 الطيفون في البيت بصفة مستمرة والحق أئى قبل أن أشغل هذا المنصب لم
 اكن اعرف مشكلة الوقت بهذه الحدة لكنى عرفتها بصورة رهية خلال
 عملى ، فلقد كنت اتصور أن عمل ٨ ساعات كل يوم يمكن أن يكفى لإدارة
 أى عمل منظم يقوم مديروه التنفيذيون بواجبهم ، لكنى اكتشفت الى محتاج
 إلى يوم طوله ٧٠ ساعة كل يوم ليس لإنجاز العمل والمحافظة على هؤلاء الذين

يريدون مقابلتي ، وبعضهم يطلب المقابلة وينتظر بالساعات ثم استقبله فوجد
أجد لديه ما يستحق المقابلة ولا الانتظار وأحس أن المسألة مجرد « تمحيك »
لكي يقابلني وينافقني ويذكرني بنفسه لكي لا أنساه في العلاوات
والترقيات .

وبعضهم وصدقني أن كلهم من كبار المديرين عرف إلى أمشي لمدة نصف
ساعة كل صباح بجوار مسكني قبل أن أركب السيارة إلى العمل ففوجئت
به ذات صباح مرتدياً « الترينج سوت » والحذاء المطاط في السادسة صباحاً
يجري بجواري ثم يتوقف مندهشاً لهذه المصادفة السعيدة التي جمعتنا على غير
ميعاد في موعد الرياضة ثم يمشي بجواري ويبادلني الأحاديث مؤكداً لي أنه
رياضي مثل ويجري كل يوم لمدة ساعة في الصباح ، ثم أصبح يلزمني في
مشوار المشي الذي اشتهر أمره بعد حين واجتذب أشخاصاً آخرين من
المديرين حتى تضخم طابور المشي وتحول إلى مجلس يضم معظم المديرين !
أما عند السفر إلى فروع الشركة في الداخل فعُدْتُ ولا أخرج عن تسابق
المديرين وحتى من ليس لهم علاقة بهذه الفروع للسفر معي ومصاحبتني في
القطار أو السيارة وعند السفر للخارج يؤدعني العشرات في صالة المطار ..
وعند العودة يستقبلني العشرات وتخرج من المطار في « زفة » سيارات كأننا
في فرح ، وللأسف فإن زوجي وابنائي قد اعتادوا هذا الزحام وتصوروا
أنه من طبيعة حياتنا .. فقد اعتادوا أن يزدحم البيت بالساعة وطالبي
المقابلة .. وأن ناسفر إلى مصيفنا في زفة وأن نعود منه في « زفة » واعتادت
زوجي بالذات على الحياة السهلة التي يسرها وجود العشرات من الفنين
والسماه تحت الطلب ، فإذا حدث عطل في جهاز كهربائي سارع موظفو
مكتبي بإيقاد قتي لإصلاحه في ثوان .. وإذا قررت زوجي أن تضع بعض
« قصاري » الزرع في البلكونة سارع جنائني المقر الرئيسي للشركة بعمل
اللازم ، ومضت الحياة وأنا أبذل كل جهدي في العمل بإخلاص أعمل في

الصباح وفي المساء حتى منتصف الليل . وحققت الشركة في عهدي أرباحا بعد ان كانت شبه خاسرة . لأني كنت أوّمن بالمثابرة الشخصية للعمل وأنقل بالحلّة بين جميع ادارتها وفروعها ومراكزها وكنت أجزل العطاء لمن يجيد .. ولا أرحم من يقصر أو ينحرف .

وقلت لنفسي .. لقد ربّينا الابناء ووظّفناهم وزوّجناهم وأوجدنا لكلّ منهم سكنه .. وقد كسبت صداقات عديدة في العمل وخارجه وفي النادي ، وقد عملت ، أكثر من ٤٠ سنة ووفّقني الله فأدخرت بعض المدخرات التي تكفل لي حياة معقولة بعد سن المعاش ، فلماذا لا أحيا حياة هادئة واستمتع بما لم يتح لي العمل المستمر الاستمتاع به .. فاذهب إلى النادي .. واستقبل الاصدقاء وأزورهم وأزور الابناء ويوزرونني واخرج مع زوجي في الاسيات كأيام الشباب ورضيت عن ذلك الى حد ما .. وان كانت النفس قد طمعت كطبعها في ان تقدر لي الوزارة جهدي في تحويل المؤسسة من خاسرة الى رابحة وفي ان تُمدّد لي مدة خدمتي عامين آخرين .. لكن هذا الأمل الزاهي لم يتحقق .. وصدر القرار بإحاثي الى المعاش واستعددت لاستقبال حياتي الجديدة .. فسحبت السيارات الثلاث .. وعدت لاستعمال سيارتي الخاصة .. واختفى المرافق فلم افقده لأني كنت أضيق بوجوده معي ، واختفى السعاه والفتيون من حياتنا وعدنا من جديد لشراء احتياجات البيت فلم يضايقني ذلك لاني اصبحت خاليا واستطيع قضاء هذه المهام في سيارتي مع زوجتي .

لم يزعجني يا صديقي من كل ذلك إلا شيء واحد هو ما دفعني للكتابة إليك أما هذا الشيء فهو : أين الاصدقاء يا صديقي ؟ أين من كانوا يصاحبوني في مشوار المشي في الصباح لأنهم « رياضيون » ومن هواة المشي ؟ وأين من كانوا ينتظرون لقائي بالساعات ليطمئنا على صحتي ولا يهدأ لهم بال الا اذا تأكّدوا من انها بخير ! وأين رنين التليفون الذي لم يهدأ

طوال الليل والنهار في البيت ؟ واين المهنتون الذين كان الصالون يضيق بهم في المناسبات حتى يقف الكثيرون منهم ؟ واين المؤدعون عند الذهاب للمصيف والمستقبلون عند العودة منه ؟ واين من كانوا يقلقون اذا أصبت بالبرد واين .. واين .. واين .

اننى لست حزينا لشيء .. ويكفينى ألى راضى الضمير .. وانى خدمت بلدى بكل جهدى لكننى فقط متألم لما جرى لمشاعر الناس في هذا الزمان . لقد تركت الشركة بلا عداوات تقريبا .. ورغم ذلك فابى لا اكاد أرى احدا من كبار مديريها منذ تركتها .. او بالتحديد عقب تركها بفترة وجيزة فقد حافظ البعض على مودقى في البداية ثم بدأت الزيارات تتباعد ورنين التليفون يخف حتى اذا ما أتممت عاما واحدا من تركى للشركة كنت قد أصبحت نسيا منسيا بالنسبة لهم ! إلى اكتب اليك لأسألك .. هل هناك في الدنيا صداقة فعلا .. واذا كانت موجودة فأين اصداقاء العمل الذين كانوا يُسبحون بحمدى ليل نهار ؟ .



.. ولكاتب هذه الرسالة الفريدة في بابها أقول : نعم يا سيدى هناك صداقة وهناك أصدقاء .. لكن ظروفك فيما يبدو قد حرمتك من أن تتعرف عليها بصدق .. فمن كانوا حولك لم يكونوا أصدقاء .. ولم يكن ما بينك وبينهم صداقة . وإنما كانوا طلاب منفعة ورفاق عمل ولعلهم الآن مشغولون بتعلم هوايات الرئيس الجديد لممارستها معه ، فاذا كان من هواة السباحة مثلا فليعلم « يلبطون » معه كل يوم في حمام النادى .. أما لماذا لا يرن التليفون عندك فلأنهم مشغولون الآن بإدارة أرقام تليفون الرئيس الجديد .. وباستقباله وتوديعه وتمنته في المناسبات واستحضار الأذوية له وإرسال العمال والفنيين إلى بيته ..

إننى أكاد أتصور يا سيدى أنك حسن الطوية الى حد كبير لأنك تصورت أن ما بينك وبين معظمهم هو صداقة ، ولم تكتشف أنه نفاق ، وربما اكتشفت لكنك استدرجت للاستجابة لهذا النفاق .. ثم اعتدته .. ثم استمرأته حتى أصبحت تفتقده بعد ان غادرت هيلمانك ومنصبك ، وفي ذلك فأنى ألومك يا سيدى .. اننى اعرف ان أمواج النفاق عاتية وانه لا يستطيع ان يرُدّها عنه إلا من كانت نفوسهم كبارا لا تستجيب للصغائر ، لكنى أعرف ايضا ان من طبيعة المنافقين الا يقتربوا الايمن يستشعرون إستجابته للنفاق والتلذذ به داخليا حتى وان اظهر غير ذلك ! .

كذلك فلقد استمرأت يا سيدى الهيلمان ووقعت في أحاييل المنافقين فاستأثرت لنفسك بثلاث سيارات .. واسترحت الى قيام ادارة العلاقات العامة عنك بكل شيء فى المكتب وفى البيت .. واستمت الى وجود السعاه والفنيين تحت امرك وتحت أمر الاسرة ، واعتدت مواكب المودعين والمستقبلين والمهثين .. والمستفسرين على الصحة والأحوال . ولم تقاوم كل ذلك فى حينه .. وتصورت ان الحياة سوف تحضى على ما هى عليه ، وفى ذلك فأنى ألومك ايضا يا سيدى ليس فقط لأنك ظلمت الشركة التى كنت ترأسها بهذا الاتفاق الشخصى وهذا السلوك الترفى الذى يسود بكل اسف مواقع عديدة فى بلادنا الفقيرة المظلة بالاعباء . انما ايضا لأنك ظلمت نفسك باعتياد هذه الحياة الفخمة وكان أولى بك ان تحافظ على قدر معقول من البساطة لكى لا يدير الترف رأسك ولأنك لا بد تارك موقعك ذات يوم وهذه هى سنة الحياة اذ لو دام لغيرك لما وصل اليك . والمأساة ان كثيرين نعيمى ابصارهم مظاهر المنصب واصواؤه حتى يتصوروا أحيانا انهم مخلّدون فيما هم فيه . ثم يفتحوا عيونهم بعد قليل على صدمة الواقع .. ومن عجب أن كثيرين مثا لا يتعلمون من تجارب الحياة ولا من دروس التاريخ .. فما يكاد بعضنا يتعجب مما فعلته الدنيا بفلان المتجبر بعد زوال هيلمانه حتى

ينساق هو نفسه الى التجبر والى تكرار نفس القصة بنفس نهاياتها المأساوية ،
ثم يجلس ليكي الوفاء في الدنيا وانصراف الاصدقاء عنه وربما يبالغ فيتمثل
بقول الشاعر متأسيا « من خانته الدهر خاتته صنائعه » ! . ولا خيانة هناك
في الحقيقة اكبر من خيانة الانسان لنفسه .. ومن جهله بحقيقة الحياة وقصر
نظره وإغتراره بإقبال الدنيا عليه في بعض المراحل فيتصور في نفسه ما ليس
فيها .

إننى لا اريد إبلامك يا سيدى .. لكنى أريدك فقط ألا تعطى للمشكلة
حجما اكبر من حجمها الحقيقي .. وأن تنظر الى جوانب الصورة الاخرى
لترضى عما أعطتك الدنيا وأجزلت لك فيه العطاء ، فلقد بلغت أرقى
المناصب .. وزوجت الالبناء واوجدت لهم العمل والمسكن وصحتك بخير
وزوجتك بخير ولديك من المدخرات ما يكفل لك الحياة الكريمة .. فماذا
تريد من الدنيا أكثر من ذلك يا سيدى ؟ تسألنى أين الاصدقاء فاقول لك :
اصدقاؤك هم أصدقاء الطفولة وأصدقاء العمر القدامى الذين عرفوك بلا
غرض وبلا أمل في نفع ولا خوف من ضرر ، وهم أيضا ابناؤك وزوجاتهم
وبناتك وازواجهن واقاربك الاقربين وهم كثيرون كما ترى . فماذا تريد أكثر
من ذلك ؟ .

هل اقول لك في النهاية ما قاله جمال الدين الافغانى للامام محمد عبده
حين راعه نفيه من مصر ؟ لقد قال له : كن فيلسوفا يرى الدنيا ألعبوة ولا
تكن صيبا هلوعا .

لقد قيل هذا ل محمد عبده « وهو من هو » كما يقولون .. فهل تغضب منى
إذا ما قلته لك ؟ .

شيء من الرومانسية

في بریدی اقرأ وأرى العجب .. اری الحياة من جانبها المؤلم .. وأرى العلاقات الانسانية في اسوأ ظروفها وأرى الدنيا في صورتها البشعة . ولقد رأيت كل ذلك وانا اقرأ هذه الرسالة المزعجة .

اعتقد ان الوقت قد حان لكي اروي لك قصتي بعد ان ترددت طويلا اننى شاب مهندس خريج كلية هندسة منذ شهور . أنى يعمل بأحد البنوك في احدى الدول العربية وحالتها المالية جيدة جدا والحمد لله ولدى سيارة . ام . دبليو ، وخلال دراستى بالكلية تعرفت على زميلة بالكلية جميلة من أسرة ميسورة تركب هى الاخرى سيارة مازدا فاخرة وقد سعت الى التعرف على والى التقرب منى لانى كما قالت لى بنص كلماتها شاب رائع من كل الوجوه .. وسيم من أسرة طيبة له شخصية محبوبة من الزملاء وتعجب به كل فتيات الكلية واستجبت لتقربها منى .. وأقبلت عليها وتعرفت على أسرتها وهى أسرة كبيرة فوالدها موظف كبير بالمعاش وإخوتها مهندسون ومحامون وإتفقنا على الزواج وعلى أن نتزوج عقب التخرج وخلال هذه الفترة كانت تصاحبنى في كل مكان فإذا جاء موعد إستلامى للشيك الشهري الذى يرسله لى والدى من الخارج لأتفق على نفسى واخوتى منه ، اصطحبتهامعنى إلى تاجر العملة الذى تعامل معه ، وهو عالم غريب بالفعل .. فتاجر العملة هذا يمارس نشاطه في مكتب فاخر بوسط المدينة تدخل عليه بعد استئذان السكرتيرة وتجده جالسا على مكتب فخم فوقه ٤ اجهزة تليفون ملونة ، فأقدم له الدولارات فيفتح خزانة داخل « بلاكار » في الحائط خلفه ويضع الدولارات ثم يخرج النقود ويسلمنى قيمتها وتكرر ذهابنا اليه كثيرا مرة لنفسى ومرة لا بدل لها هى الاخرى دولارات تصل اليها كثيرا من شقيقتها المتزوجة والمقيمة بالخارج .

وتحولت العلاقة الى صداقة وفى كل مرة يطلب منا البقاء قليلا للتحدث معنا لانه « مرهك » من العمل .. وهذه عبارته المفضلة وينطقها بالكاف هكذا .. وهو كما عرفت قد بدأ حياته عصاميا يكاد لا يفك الخط وكان قبل ١٠ سنوات فقط يعمل مناديا للسيارات أمام احد البنوك وقد روى لنا ذات يوم وهو يقدم لنا عصير التفاح ويشعل سيجارا فاخرا قصة كفاحه .. فقال إنه حين بدأت « هوجة » السفر والدولارات بدأ يعمل سمسارا لبعض تجار العملة يصطاد لهم عملاء البنك الذين يتلقون التحويلات من الخارج ويقدمهم للتجار الذين يقفون بجوار البنك مقابل عمولة ، وكان حسيفا فلم يبدد ما كسبه من هذه العملية .. فتكونت لديه مدخرات صغيرة بدأ يتاجر بها لحسابه فى العملة .. وبعد عامين فقط من التجارة أمام البنك كان قد أصبح « غنيا » ! فاشتري غرفة بأحد مكاتب وسط المدينة واستأجر السماسرة ليجلبوا له العملاء وبعد عامين آخرين وعلى حد تعبيره « إنفتحت الخفية » عليه يقصد حنفية الفلوس ! فضخم نشاطه وتضخمت أرباحه وتحولت الغرفة الواحدة الى شقة كاملة .. وأصبح له سكرتيرات وسعاة وسيارات وشقة فاخرة فى المهندسين .

سمعت منه قصته بدهشه وسمعتها خطيبتى بإنبهار ثم لاحظت انه بعد هذا اللقاء بدأ الخلاف ينشب بينى وبينها .. وبدأت فترات الشقاق تطول ولم يطل بنا الوقت حتى كانت خطبتنا قد فسخت قد لا ترى فى ذلك شيئا غير عادى فكم من خطوبات تفسخ كل يوم لكنك ستدهش حين تعرف ماذا حدث بعد ذلك فعند وصول الشيك التالى من الخارج ذهبت الى مكتب تاجر العملة لأصرفه وحيدا هذه المرة ففوجئت بخطيبتى السابقة المهندسة خريجة « الميرى ديه » تجلس على مكتب السكرتيرة ! صدمت .. لكنها كانت واقعية أكثر منى فرجبت لى بتحفظ كأنى مجرد زبون ثم اخبرت « اليه » بوصولى وأشارت الى لأدخل بيد مغطاة بخواتم السوليتير . دخلت فرحب

الى الرجل بواقعية اشد وانتهى المهمة سريعا ثم قال لى .. الى اعطيك سعرا
 خاصا اكراما لك لأنك صاحب فضل فقد عرفتى بالمدام ! اى مدام ؟ لقد
 ظننت أنها تعمل معه فقط .. فإذا بها .. المهندسة التى تحيد الفرنسية
 والانجليزية .. بنت الاسرة الكبيرة قد تزوجت من هذا الرجل وتم الزواج
 خلال شهر واحد من فسح خطبتنا! أما الزوج غريمى الذى سرق فتاة أحلامى
 وتركتنى من أجله فهو فى الخامسة والخمسين وله ٥ أبناء أكبرهم لى سن
 خطيتى السابقة .. وهو دميم كالقرد والله العظيم وبلا مبالغة .. وملابسه
 مبهذلة .. رغم انها غالية ولا يعرف كيف يتكلم لمدة ٣ دقائق بغير ان يغلط
 ويتفوه بألفاظ سوقية مقززة . هذا هو الزوج الذى فضلك على خطيتى
 السابقة وقد تم الزواج وكانت هديته سيارة مرسيدس وخواتم سوليتر
 « متعديش » وشقة فيلا فى أحدث عمارة فى القاهرة كتبت باسمها .. اننى
 لست حزينا عليها فانا فى بداية حياتى واستطيع ان اجد من ترغبنى كزوج
 وتفصلنى على غيرى . لكننى اتساءل وأريد منك جوابا يريحنى .. ماذا جرى
 للعالم ؟ قد تقول انها محتاجة أو أن وراءها ظروف قاسية دفعتها للصحة
 بنفسها لإنقاذ أسرته او علاج ابينا المريض الخ كما نرى فى الافلام .. لكننى
 أطمئنك أن كل ذلك غير صحيح .. فهل عندك تفسير لهذا اللغز ؟ .



• ولكاتب هذه الرسالة اقول :

انه ليس لغزا يا صديقى .. لكنه تدرج منطقى للأحداث يتفق تماما مع
 شخصية خطيتك السابقة فهى ببساطة شديدة فتاة إنتهازية سعت اليك فى
 البداية لأنها رأت فيك زوجا مناسباً مقبول الشكل متيسرا تتركب سيارة
 فاخرة وتستطيع أن توفر لها شقة الزواج واحياجاته لكنها حين تعرفت على
 « القرد » رآته أكثر ملائمة لها وأسرع وصولا بها الى الثراء .. فتخلت عنك
 ببساطة وذهبت اليه . فهى باحثة عن الحياة اللذيذة الزاهية الالوان لا عن

الحياة السهلة العادية التي ستوفرها لها . ولا دخل للمشاعر العاطفية فيما فعلت معك او معه . وآسف لان اقول لك ذلك ففي صدر فتاتك هذه آلة حاسبة لا قلباً ينبض بالمشاعر .. وقد حسبت حسابها ووجدته راجحاً أكثر معه فتزوجته . والمؤسف ان كثيرات ممن يتعاملن مع الحياة بهذا المنطق التجارى هن غالباً فى حكم القادرات ، ولسن من غير القادرات . كما قد يتصور البعض وكما تحكى الأفلام وصدقنى أننى كنت على إستعداد لتقدير ظروفها لا للإقتناع بها لو كانت قد تزوجته بحسابات عاطفية مهما كانت مستغربة او لو كانت تزوجته ليأسها من إمكان عشورك على شقة للزواج كما تفعل بعض الفتيات الآن اللاتي يفضلن - مضطرات وفى عصر تراجع الرومانسية امام صعوبة الحياة - الزوج الجاهز مهما كانت سنه ومهما كان عمله ومهما كانت ظروفه الاجتماعية والثقافية .

ان الجريمة فى قصتها ليست فقط فى أنها تركت شاباً رائعاً مثلك لتزوج من « بلاكار » نفود ، لكن الجريمة فى أنها قبلت زوجاً كهلاً متزوجاً وله أبناء كبار وزوجاً شبه أمى سوقياً لا يقنع أية فتاة سوية مع ظروفه كزوج وأب الا فتاتك الانتهازية هذه . وأنا أصدقك فى أنك غير حزين عليها فمثل هذه الفتاة لا يحزن الانسان لفقدائها وانما يسعد ويشكر ربه أن أنقذه منها وفصح شخصيتها الحقيقية قبل أن يرتبط بها ، فليس مما يسعد الانسان بكل تأكيد أن يتزوج من مakiية حاسبة لامكان للمشاعر والعواطف والرومانسية فى حياتها .. وهى سوف تدفع ثمن انتهازيتها اقرب مما تتصور فالثروة التى اغرتها هى فى النهاية ثروة طفيلية وستقرأ اسم زوجها واسمها هى أيضاً قريباً جداً فى أخبار المدعى الاشتراكى والحراسات وساعتها سوف تتطير الثروة وسوف تتخلى عنه بأسرع من البرق .. والحمد لله ان مثيلاتها من « دعاة الواقعية الجديدة » لسن كثيرات فقط وعلينا أن ندعو الله كل يوم الا تغيب القيم والفضائل والرومانسية عن حياتنا فلولاها لما قبلت فتاة الزواج من

خرج جديد لتكافح معه .. ولولاها ولولا الطبيعة السوية لفتياتنا لانطلقن
يبحثن عن « قروء » هذا الزمان القبيح الذى تنهزم فيه احلام الشباب أمام
« الباكو » « الارنب » وخواتم السوليتير .

شئ اخير لقد قلت لى فى رسالتك هذه انها من عائلة كبيرة وان أباه
موظف كبير على المعاش وإخوتها محامون ومهندسون فأين هى هذه العائلة
الكبيرة ؟ .. واين الاب واين الاخوة المهندسون والمحامون الذين وافقوا على
زواجها من هذا اللص المتزوج ؟ أى عائلة كبيرة هذه ؟ ..

نهاية القصة

اكتب اليك للمرة الثانية وبعد عامين من رسالتى الاولى اليك والتي نشرتها في بريدك بعنوان « شئ من الرومانسية » وقبل ان تجهد نفسك لتذكرنى سأحاول ان اذكرك بنفسى اننى يا سيدى المهندس الشاب الذى يعيش مع شقيقه في القاهرة ويعيش والده في احدى الدول العربية حيث يشغل منصبا كبيرا في احد البنوك ويتقاضى مرتبا ضخما ، ولقد رويت لك في رسالتى الاولى قصتى حين تعرفت خلال عامي الاخير في الجامعة بفتاة طموح كانت زميلتى بالهندسة ومن اسرة كبيرة وأنها تملك سيارة مازدا وانها صارحتى بانها اعجبت بى وانها رأت فى شابا لائقا بها . فصادقنا وتبادلنا المشاعر وقدمتى لاسرمتها . وقدمتها لشقيقى وشقيقتى في انتظار عودة ابنى وامى في الاجازة لاتمام الخطبة وعقد القران خاصة وان ظروفى المالية حسنة واستطيع توفير الشقة ولدى سيارة خاصة وقلت لك الى كنت قد اعتدت طوال السنوات الماضية ان ألتقى من ابنى شيكا بمبلغ شهرى بالدولارات أصرفها من البنك لاثبولى الاتفاق على نفسى وشقيقى وشقيقتى واننى اذهب اول كل شهر الى احد تجار العملة الذى يتخذ لنفسه مكنيا فاخرا في وسط المدينة فأحول الدولارات الى جنيهات مصرية واننى كنت اصطحب خطيبتى معى كل مرة اذهب اليه حتى دعانا التاجر مرة للجلوس معه لبعض الوقت وحكى لنا قصة حياته وكيف أنه بدأ مناديا للسيارات امام احد البنوك .. ثم تاجر في العملة مع رواد البنك ثم راجت تجارته واصبح ثريا ومليونيرا خلال اعوام قليلة واصبح يمتلك سيارة مرسيدس ويسكن في ارقى الاحياء ويرتدى خاتما كبيرا من الماس .. وتتبدل من رقبته سلسلة بها قطعة من الذهب في حجم البرتقالة . وقلت لك الى لاحظت بعد هذه الزيارة بالذات ان العلاقة بينى وبين خطيبتى قد فترت وأن المشاكل كثرت بيننا حتى فاجأتنى

ذات يوم بطلب فسخ الخطوبة ونسيان كل شيء لاننا لا نصلح لبعضنا ، وانقطعت عن رؤيتي وتجرعت الالم وحاولت نسيانها ثم جاء موعد صرف الشيك التالى فذهبت الى مكتب تاجر العملة ففوجئت بوجود خطيبتى السابقة تجلس على مكتب السكرتيرة فى الصالة . فاستقبلتى بنظرات محايدة كأنها لا تعرفنى وبهدوء قاتل رفعت سماعة التليفون الاحمر المسخخ على مكتبها وأبلغت صاحب المكتب بوجودى ثم أشارت لباب مكتبه وقالت لى تفضل ، فدخلت مندهشا من أنها وهى المهندسة التى على وشك التخرج قررت العمل فى هذا المكتب وهى غير محتاجة للعمل خلال الدراسة ، ثم تكشفت لى الحقيقة المذهلة بعد لحظات على لسان التاجر نفسه الذى قابلنى بالترحيب الحار والابتسام وأعلننى انه سيعطينى سعرا خاصا هذه المرة لان لى إعزازا خاصا لديه اذ اننى كنت سبب تعرفه « بالمدام » ! .. اى بخطيبتى السابقة ! . ولحظتها أفقت على الحقيقة .. وعرفت سر الأساور والخواتم الماسية التى رأيته ترتديها .. وأيضا سر الماكياج الثقيل الذى تضعه على وجهها والذى يكسبها سحنة غريبة .. واكتشفت انه قد تزوجها واسكنها فى شقة فاخرة والحقها بمكتبه وكل ذلك فى اقل من شهر واحد .

اعتقد انك الان قد تذكرت كل شيء .. وتذكرت الى كتبت لك شاكيا خطيبتى التى فضلت على تاجر عملة شبه امى وفوق الاربعين ومتزوجا وله ابناء كبار وشكله « كالقرد » لان سيارته مرسيدس ، وملايينه عديدة « وشبكته » من الماس ولا بد انك تذكر أنك نصحتنى بنسيانها الى الابد لانها انتهازية اختارتنى من بين زملائى بسبب بعض مظاهر الثراء التى توسمتها فى فلما اتاحت لها الظروف زيجة اكثر ثراء تركتنى بلا قلب لتزوج من ملايين رجل امى مشبه .. بلا عاطفة ولقد عملت بنصيحتك يا سيدى وحاولت نسيانها ونسيتها بالفعل بعد فترة من العذاب أحسست خلالها بألى لا شيء . وكرهت خلالها الدنيا وغدر البشر وفقدت الثقة فى الوفاء .. لكنى لا اكتب

لك هذه الرسالة لاقول لك انى نسيها وعدت الى حياتى الطبيعية .. وانما اكتب لك لاروى لك الفصل الثانى من قصة خطيى السابقة لعل فيها عبرة لمن يعتبر .. لقد امضيت شهورا سوداء عقب إكتشافى زواجها من تاجر العملة . وواجهت حرجا شديدا تجاه أبى وأمى اللذين باركا خطيى لى رسائلهما . واشترى لى الشبكة من مقر اقامتها وراحا يرتبان لعقد القرآن لى الصيف وترددت فيما يجب ان اقله لهما . لكنى رأيت بعد تفكير ان الصدق هو الحل الوحيد فصارحت شقيقى وشقيقتى بحقيقة ما حدث وتركت لهما إبلاغ أبى وأمى . وانصرفت لعملى .. واجتهدت الا اراها والا اذهب للكلية لكيلا نلتقى .. وغيرت تاجر العملة الذى اتعامل معه بالطبع . ومع ذلك فلقد رأيتها ذات يوم على كوبرى الجامعة إذ كنت عائدا الى بيتى .. فوقفت سيارتى خلال زحام المرور الى جوار سيارتها المرسيدس الجديدة التى يقودها سائق خاص وهى تجلس فى الحلف وحيدة رافعة الرأس كأنها ملكة ! تنظر حولها بكبرياء وتأنف من زحام الطريق . فالتقت عينانا .. فتوقعت ان تخفض عينها خجلا منى . فإذا بها تنظر إلى بثبات وبلا أدنى إحساس بالحجل ثم تمز رأسها بتحية عابرة وتنطلق بالسيارة فى طريقها الجديد ! .

وكم أتعسنى هذا اللقاء ، لا لشيء إلا لهذا البرود المتحجر ولأنها لا تشعر تجاهى بأى إحساس بالذنب بعد أن جرحتى جرحا غائرا وشككتى فى نفسى وفى كل شيء .

أصبح لا يربطنى بها شيء سوى ما أسمع بين حين وآخر من زملاء الكلية القدامى عنها وعنه ، ومنه أن زوجها قد توسع فى أعماله وأنه أصبح يمارس الى جانب تجارة العملة تجارة العمارات لكى يخفى نشاطه الاساسى فى تجارة العملة ولكى يزيد من ارباحه وليبنى لزوجته الجديدة شقة فاخرة على مساحة ٤ شقق ، وأنه عين والدها المدير العام السابق موظفا عنده بمرتب ضخم ارضاء لعيون المدام . وعجبت كيف قبل المدير السابق أن يعمل تحت امره

رجل لا يفك الخط .. فضلا عن أن يصاهره ؟ ... وهو كما عرفت من اسرة
كبيرة وابناؤه مهندسون ومحاسبون الخ ..

ومع إحساسي بالمرارة . فلقد واصلت حياتى الى أن دارت الايام دورها
وإذ بى ذات صباح أقرأ فى الصحف خبر القبض على زوج حبيتى الخائنة ،
تماما كما تنبأت انت فى ردك على رسالتى الاولى ثم توالى الاخبار كالمطارق
لوفى الرؤوس .. فبين انه قد حصل على مقدمات إيجار بالملايين من السكان
وتوقف عن إستكمال بناء أكثر من عمارة كان يقوم بينها فى وقت واحد
منها العمارة التى كان يعد لها فيها عش الاحلام ثم جاءت هوجة مخالفات
مواصفات المباني وقرارات إيقاف البناء فهجم المستأجرون عليه لاسترداد
ببالغهم التى دفعوها فى وقت واحد .. فعجز عن الدفع فتقدموا بالبلاغات
ضده فأمرت النيابة بالقبض عليه فاذا بالمدعى الاشتراكى يتحفظ على كل
امواله ليحاول انقاذه ما يمكن انقاذه من حقوق المستأجرين ..

وسمعت ما هو أغرب من ذلك .. فعرفت انها كانت صاحبة المشورة
« الثينة » له بأن يدخل عالم بناء العمارات لتصبح مهندسة ومالكة عمارات
بدلا من زوجة تاجر عملة . وأقنعت به المطلوب هو فقط شراء قطعة ارض
 ووضع لافتة عليها باسمه . وبعدها سوف تنال عليه الملايين من راغبي
الاستثمار ففعل ذلك فعلا .. وإنهالت عليه مقدمات الایجار حتى جاء عليه
وقت كان يستعين فيه بـ ٣ موظفين لعد النقود التى يتسلمها من المستأجرين
وبدلا من ان يبنى عمارة واحدة كما كانت الفكرة فى البداية قرر أن يبنى
أكثر من عمارة فعمزت إمكاناته عن استكمالها .. وتدهور الى الهاوية مع
تطورات الاحداث المفاجئة . ربما تقول لى وما شأنك بكل ذلك .. وقد
خرجت من حياتك فاقول لك . ان خطيبتى السابقة .. بحاستها المرفهة قد
احسنت بقدوم الزلزال قبل وقوعه بلحظات .. فاقنعت زوجها - ولا اعرف
حتى الان كيف نجحت فى ذلك - بان يطلقها بصفة مؤقتة لكى لا يشملها

أى قرار بالتحفظ على أمواله وأموال أسرته .. لكى تستطيع ان تسانده خلال مرحلة القضايا والمحاكم بما تنجو به من ثروته .. وبالفعل طلقها قبل فرض التحفظ على أمواله بفترة قصيرة ، فنجت بالسيارة المرسيديس وبمجوهرات ومدخرات كبيرة .. فى حين خرجت الزوجة الاولى من المولد بلا حمص ! .

وبالفعل وقفت بجواره فى البداية وقامت بالاتصال بالحاميين للدفاع عنه . لكنها بعد أن تأزمت الأمور تماما عادت الى دراستها . ودخلت امتحان السنة النهائية ونجحت . ولا اعرف ايضا كيف ؟ ثم بعد عدة شهور فوجئت بها أمام مكتبى فى الشركة التى اعمل بها تدعونى للخروج معها للحديث فى امر هام . فلم ارفض . وخرجت معها فروت لى ما حدث بلا اية محاولة للاعتذار ، وبلا أى احساس بالذنب مفسرة ما حدث بأنه كان تجربة وانتهت . ثم سألتى فجأة سؤالاً غريباً .. انت لم تتزوج بعد ، ولم ترتبط بفتاة أخرى .. فلماذا لا نستكمل المشوار الذى بدأناه معا ثم اعترضته هذه التجربة ، وكأن ما حدث لم يحدث ؟ .. أنت شاب ظروفك حسنة .. وأنا ظروفى حسنة وكلانا عرف الآخر وفكر فى الارتباط به .. فلماذا لا نحقق الارتباط الذى أردناه ذات يوم وكأن شيئاً لم يحدث .

سمعت كلامها .. والدنيا تدور بى .. ولم استطع أن أصدمها ولم استطع ان أقول لها اننى فقدت حبيبى لها منذ زمن بل انى الان وبصراحة يا سيدى احس بالشماتة فيها ولا اشعر بأى ثقة فيها ، فكيف أتزوجها واعيش حياتى معها ؟ لقد طلبت منها مهلة لأفكر وكتبته اليك لأسالك رأيك . وأريد ان اعرف رأيك بصراحة فماذا تقول لى ؟ .



• ولكاتب هذه الرسالة اقول :

إننى ايضا - وليغفر لى الله هذا الإحساس الشائن - اشعر معك بالشماتة

فيها ! فلقد تذكرت رسالتك الاولى . وتذكرت كيف أثار تصرف هذه الفتاة معك حنقي لما آل اليه حال البعض في مجتمعنا ممن وضعوا داخل صدورهم آلات حاسبة في مكان القلوب وأصبحوا يقيسون كل شيء حتى العواطف بمقياس النقود والمرسيدس وخواتم السولتير بلا اى معيار آخر . حتى لتقبل هذه المهندسة سليلة الاسرة « الكبيرة » أن تتزوج بقرد أمي صاحب ثروة مشبوهة متزوج وله أبناء كبار من اجل مزيد من المال ومن أجل شقة على مساحة ٤ شقق بدلا من شقة متوسطة المساحة معك .. لقد قلت لك في ردى الاول انها فتاة انتهازية .. وان فقد مثل هذه الفتاة نعمة لا نقمة كما قد تتصور وأنتك حسن الحظ أنها قد كشفت عن معدنها قبل أن ترتبط بها إرتباطا نهائيا . وتوقعت لها ان تقرأ اخبارها وأخبار زوجها في اخبار الحراسات والمدعى الاشتراكي . ولم أتوقع ان يصدق التوقع خلال هذه الفترة القصيرة ! لكن ما بنى على خطأ فهو خاطيء .. وليت هذه القاعدة تصدق مع الجميع دائما . اذن لإنصلحت الاحوال ولما فقدت القيم معناها ، ولما إنهمز شاب مثلك امام نص مشبوه كهذا اللص ، ولما احس الشباب بالعجز والاحباط والهزيمة الشخصية أمام قروود هذا الزمان الرديء . تسألني عن رأيي فاقول لك .. ابتعد عن هذه الفتاة يا صديقي فلا حياة لك معها ولا امان ولا مستقبل ، لا لانها اخطأت هذا الخطأ الانتهازي فقط ، وانما لانها لا تشعر في قرارة نفسها بانها قد اخطأت في حقك او في حق نفسها و لا يساورها تجاهك اى احساس بالذنب .

وهذه هي الكارثة . فلو انها عادت اليك باكية . نادمة قائلة انها قد اكتشفت ان المال وحده لا يحقق السعادة ، وانها اخطأت . وعرفت انها قد ضلت الطريق وعادت اليك لأنها تحبك وترغب في أن ترتبط بك للابد ، وانها لن تغضب حتى لو إحترقها لانها تستحق الاحترار فعلا ، لكنها تحبك

وتريد الزواج بك ، لو قالت لك شيئا من ذلك واستشعرت صدقها لربما ترددت وفكرت في ان انصحك بالصفح عنها والارتباط بها ..

لكنها يا صديقي مازالت تتحدث معك بنفس المنطق الحسابي البارد الذي تصرفت على أساسه في حياتها ولا ترى فيما فعلت أى خطأ .. وهذا يعنى ان الآلة الحاسبة مازالت بين ضلوعها .. وأنها لم تتعلم شيئا من التجربة التى مرت بها ، ويعنى أيضا أنها فتاة اعتادت أن تنال ما تريد بغض النظر عن مشاعر الآخرين وإرادتهم ، وانها تريد أن تجمع كل شيء بين يديها بلا اية خسائر من جانبها ، فتحصل على المال من القرد إياه .. وتحصل على الشباب والوسامة والعائلة الكريمة منك .. وحتى اشعار اخر . اى حتى تظهر لها فرصة أفضل سواء قبل الارتباط معك ... او بعده ، وهذه كلها أشياء غيضة .. وفئاتك هذه فتاة جارية ولا يؤمن لها جانب .. فهل تريد ان تتزوج من « دراكيولا » مصاصة للدماء بلا أى عاطفة .. ولا إحساس بالذنب ؟ .





مجلس العائلة

أشعر بشيء من الحجل وأنا أكتب لك هذه الرسالة .. لأننى سأحكي لك عن مشكلة قد يراها كثيرون مشكلة تافهة لا تستحق الكتابة لكنها بالنسبة لنا ولأمثالنا مشكلة تزيد من مرارة الدنيا .. فأنا يا سيدى سيدة توفى عنى زوجى رحمه الله منذ ٣ سنوات وكان موظفا طيبا صغيراً ، وقد رحل تاركا وراءه أربعة أبناء وتاركا لنا معاشا قدره خمسة وأربعون جنيهاً هي كل موردنا والحمد لله ، فرتبت حياتنا على العيش بهذا المبلغ . وتعاون معى أبنائى فتخلوا عن كثير من مطالبهم التى اعتادوها فى حياة الأب .. ورضوا بكل شيء ورضيت أنا بما قدر الله لنا وشكرته على هذه النعمة وأكبرها فى نظرى نعمة صلاح الأولاد وطيبتهم وهم جميعا بالمدارس وبعد وفاة الأب بدأت اشركهم معى فى كل أمور حياتنا فإذا عرضت لنا مشكلة دعوت الأولاد وتشاورت معهم .. واحاول دائما ان اجعلهم يقترحون الحل .. فإذا وافقنا عليه ، فإن تنفيذه يصبح مسئولية مشتركة بيننا ، ولأحظت انهم يتحملون مسئوليتهم بإمانة ورجولة رغم انهم جميعا تلاميذ بالمدارس الابتدائية والاعدادية . واصل بعد ذلك الى المشكلة التى قد يراها البعض مشكلة تافهة ، فقد كان من بين ما تركه لنا زوجى جهاز تليفزيون أبيض وأسود أصبح بعد رحيله هو وسيلة الترفيه الوحيدة فى حياتنا ، ورغم متاعب الحياة فقد كنا ننعم كل ليلة بجلسة هادئة أمام التليفزيون بعد أن يذاكر الأولاد دروسهم ثم نذهب لنومنا راضين . لكنه حدث أن تعطل هذا الجهاز ثالث أيام عيد الفطر الماضى أعاده الله على الجميع بكل خير . فسدت نافذتنا الوحيدة على الدنيا وتوقفت متعتنا الوحيدة .

وكالعادة عقدت مجلس العائلة لحل المشكلة .. وتكلمنا وخرجنا بقرار

بتوفير مبلغ جنيه واحد كل شهر لإصلاح التلفزيون مهما كانت الصعوبات لأن التلفزيون هو وسيلة الترويح الوحيدة في حياتنا . وكان الأولاد والحمد لله متعاونين معي ، فنجحنا في توفير ١٢ جنيها على مدى سنة كاملة .. وبعد أن تجمع لدينا هذا المبلغ الكبير حثي الأولاد على إصلاح التلفزيون قبل شهر رمضان لكي نخرج على براجمه في ليالي رمضان وأثناء الصيام فخرجت للذهاب إلى مراكز إصلاح التلفزيون القريبة من مسكني ، فكنت أقابل في البداية بالترحيب الشديد ثم عندما يعرفون أن التلفزيون أبيض وأسود يتحول الترحيب إلى سخرية لماذا ؟ قالوا لي إن التلفزيون الأبيض والأسود لم يعد أحد يستعمله .. ولم يعد هناك أحد يصلحه . لماذا ؟ قالوا لي إنه لم يعد له قطع غيار .. ولم يعد هناك أحد مستعد لتضييع وقته في إصلاح جهاز رخيص وثمن إصلاحه رخيص فالجميع يعملون في إصلاح التلفزيون الملون .. لأن قطع غياره متوفرة وأجر إصلاحه كبير . فخرجت من مركز إلى مركز وأنا اسمع نفس الإجابة وأقابل بنفس النظرات .. وعدت من جولتي مكسوفة ... وحزينة إلى أولادي . وعندما سألوني ماذا صنعت يا أمي أقلت لسالي بما يدور في باطني وكنت أحب ألا يفلت لسالي لكي لا أزيد غمهم فقلت لهم سألته وكأنتي أكلت نفسي : اكتشفت أننا لسنا « عايشين » في الدنيا . ورغما عني يا سيدي حكيت لهم ما حدث . وحاولت أن أخفف عنهم بألبي سأركب الأتوبيس إلى أحياء أخرى للبحث عمن يصلحه . فكان ردهم على بلسم خفف من آلمي .. فقالوا ولا يهملك .. المهم إن احنا مع بعض .. وكويسين .

وأخيرا فكرت في أن أكسب اليك ، فرغم .. ضيق مواردنا فإني أحرص وهذه عادة من أيام زمان « السعيدة » على قراءة الايام وبعد وفاة زوجي ونقص الدخل قررت الاستمرار فيها لأني وجدت فيها راحة نفسية لي كما وجدت فيها زيادة معرفة وتنمية لحب الاطلاع عند الأولاد .. وفعلنا نحن

تبادل قراءة الجريدة واحدا بعد الآخر وقد فكرت أن أكب لك لعلك
تستطيع أن تعاوننى فى إيجاد أحد الفنيين الرحاء الذى يقبل أن يصلح جهاز
تليفزيونى قبل شهر رمضان ، ولعله إذا عرف الى مريضة بتضخم الكبد
وارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين يقدر مدى حاجتى إلى ما يروح عنى
خلال أيام الصيام الطويلة بشرط أن تكون العملية كلها فى حدود ١٢
جنيها ، وأشكرك كثيرا والسلام عليكم ورحمة الله .



.. ولكاتبه هذه الرسالة أقول :

يا سيدنى ضَعَّف الطالب والمطلوب . لقد حُلَّت مشكلتك بأمر الله قبل
أن أنتهى من قراءة رسالتك ، فقد كنت مشغولا بقراءة الرسالة حين جاءنى
زائر كريم يطلب منى أسماء وعناوين بعض من يستحقون معاونته ، فمددت
بدى إليه برسالتك ولم أزد . فحُلَّت المشكلة بإذن ربك فى لحظة ولو لم
يسارع هذا الزائر الكريم بحلها لتولى بريد الاهرام الأمر لكنه شاء أن
« يستأثر » كما قال لى بإسعاد هذه الاسرة المكافحة : فلا تقلقى فسوف ترين
برامج رمضان « ملونة » بإذن الله ، لكن هذا ليس المهم .. وإنما المهم هو .
أنت واسرتك الرائعة هذه .

أتعرفين يا سيدتى إنك ربة أسرة متحضرة متبورة تعد نموذجاً يحتذى
الآخرون ؟ أتعرفين أنك تطبقين فى إدارتك لهذه الاسرة المكافحة الشريفة
أحدث نظريات التربية وأرقاها ؟ ربما تكونين لم تقرأى كتابا فى علم التربية ،
لكنك رغم ذلك وبحسّ حضارى فطرى مُستمد غالبا من قِيَمك الدينية
الراسخة ومن تنورك وحرصك على القراءة رغم نقص الإمكانيات ، تقومين
بتربية أبنائك تربية سليمة صحيحة ، سوف تنمى رجالا نافعين وأشخاصا
أسوياء على خلق كريم بإذن الله فأنت بحرصك على تشجيع أبنائك على إبداء

الرأى رغم صغر سنهم فى شئون الأسرة .. واقترح الحلول وإشراكهم فى القراءة تغرسين فىهم القدرة على التفكير والميل للمشاركة .. والرغبة فى تحمل المسؤولية .. لذلك يسارعون جميعا الى تنفيذ ما اتفقتم عليه حتى ولو جاء على حساب مطالبهم الضرورية . وهذا هو جوهر الشورى والمشاركة والمسئولية .

أتعرفين أيضا إنك بتشجيعك لأبنائك على القراءة رغم صعوبات الحياة تغرسين فىهم بذور حب المعرفة والاطلاع .. وفهم الواقع والحياة .. أو ليس هذا هو مقياس الرقى فى أى مجتمع ؟ .

إنك يا سيدتى تمارسين سلوكا متحضرا فى حياتك وإدارة أسرته ولا بد أن تشعر مثل هذه التربية السليمة أسرة يحب أفرادها بعضهم بعضا ويتعاونون على تحمل مسئوليتهم فى الحياة برجولة وشرف وسلوكك هذا لا يرقى اليه بكل أسف كثيرون ممن يملكون المال ويقتنون منتجات الحضارة الحديثة .. لكنهم بسوقيتهم وجهلهم وظلام عقولهم أجلاف متأخرون ويؤخرون الحياة من حولهم .. ويزيدون من صعوبتها على غيرهم بسلوكياتهم المؤسفة .

تسألينى بعد ذلك ولماذا أنشر رسالتك إذا كانت مشكلتك قد حُلَّت قبل النشر . فأقول لك أنشرها لان اسرتك يا سيدتى نموذج رائع لكفاح أسرة مصرية متحضرة ومثقفة يظللها الحب والتعاطف والصفاء رغم التقشف والإملاق .

وأنشرها ليعرف من يقولين أنهم لا يعرفون عن حياتنا شيئا .. كيف «تجاهد» أسرة مصرية لاصلاح تليفزيون قديم .. حتى لتعقد «مجلس العائلة» ثم تطرح المشكلة على بساط البحث ثم تتخذ قراراً بادخار جنيه واحد فقط لا غير كل شهر . وتنفذ قرارها بشجاعة وتحمل للمسئولية على حساب الضروريات من مطالب الحياة ، فتجبح بعد كفاح مجيد لمدة سنة طلعت فيها الشمس وغابت ٣٦٥ مرة فى توفير ١٢ جنيها مصرية ، وبعد

أن يتجمع لديها هذا المبلغ الكبير تخرج الام إلى مراكز إصلاح التلفزيون فتكتشف أن جهازها لم يعد قابلا للإصلاح . وأن العصر قد تخطاه منذ زمن بعيد ؟ اليست هذه قصة دارمية مكتملة العناصر ؟ .

إننى أؤكد لك إنه لو قدّم مؤلف درامى قصتك هذه فى تمثيلية تلفزيونية لانهضه بالمبالغة والميلودرامية والرغبة فى إستدرار الدموع .. لكنها الحياة يا سيدى أعظم المؤلفين وأكثرهم ميلودرامية ولكنه أيضا واقعا الأليم الذى نشقى « بالحلم » فى تغييره ذات يوم .

ثم أخيرا أنشرها ليرى فيها المتبرمون بلا سبب وهواة الشكوى والأنين ، والمعذبون بتطلعاتهم إلى ما فى أيدي غيرهم وهم يملكون الكثير .. صورة واقعية لحياة لا يسمح لهم أنينهم المستمر بالاطلاع عليها . ويرضى المتعمون بما نعموا .. ففى تجارب الآخرين نبع لا يتضب من العبرة لكل ذى قلب حكيم .



الخيطة الرفيع

هذه رسالة « عاجلة » تلقيتها من فتاة في محنة .. سأعرضها بلا مقدمات اللهم الا ان اقول انني اجد نفسي مدفوعا بقلبي واحساسى الى تصديق ما نروييه هذه الفتاة رغم غرابته ورغم مخالفته للعقل . فكثيرا ما تصدقنا أحاسيسنا فيما يرفض العقل ان يصدقه . تقول كلمات الرسالة :

« لا اكتب اليك هذه الرسالة طالبة وظيفة .. ولا طالبة « عريسا » كما تفعل بعض القارئات ، لكنني اكتب اليك طالبة نجدة عاجلة .. وارجو ألا تخذلى فأنا يا سيدى أعيش في محنة لا تغمض جفونى خلالها الا ساعات قليلة .. واذا غمت كان نومى قلقا مضطربا أصحو منه عدة مرات فرقة خائفة . اننى اعرف انك قد لا تصدق ما سأقوله لك ، لكننى أقسم بالله وبرسله وكتبه ان ما اقوله صحيح وأترك الامر لضميرك . اننى فتاة عمرى ٢١ سنة ، لست طالبة جامعية ولا خريجة إحدى الكليات فكل ما حصلت عليه من العلم هو الحصول على الشهادة الاعدادية ثم منعتنى أبى من مواصلة التعليم وأجلسنى فى البيت خوفا على من الفتة . وابى موظف مرموق يتقاضى مرتبا كبيرا يصل الى ٤٠٠ جنيه كل شهر وأعيش مع أبى وحدنا فى شقة مكونة من ٥ حجرات ، وقد تتصور مع هذه الظروف أننا نعيش حياة مترفة او على الاقل حياة معقولة ، لكن الواقع الذى يعرفه من يعيشون حولنا ويلبسون حياتنا هو غير ذلك ، فليس فى شقتنا هذه سوى أثاث بسيط جدا مكون من « كبة » وحصائر « تفرش على الأرض . ونحن نعيش فى تقشف تام وليس لدينا تليفزيون ولا بوتاجاز ، وأنا اطهو الطعام على موقد جاز قديم وان كان معظم طعامنا مما لا يحتاج إلى طهو اصلا وكل مرتب ابى بعد دفعه الايجار يذهب الى شراء الكتب الدينية والإحسان الى الفقراء والتبرع

للجمعيات الخيرية ، وأحاديثنا كلها عن الدين ولا اعرف الا القليل عن الحياة خارج شقتنا ، وليس لي صديقة واحدة يسمح لها أبى بزيارتى .

وليست المشكلة فى كل ذلك ، فلقد كنت راضية بحياتى هذه والحمد لله عليها واشكره على نعمته التى انعم بها على مما قد يتمناه الآخرون كالمسكن الواسع والاب الحنون وراحة البال ، لكن حدث بعد ذلك ما قلب حياتى جحيما وأفقدنى كل ما كنت أحس به من سكينه وإطمئنان ، فقد حدث ذات ليلة أن هبَّ أبى من نومه مفزوعا ونادى على لأحضر له كوبا من الماء فذهبت إليه بكوب الماء فإذا به مستغرق فى البكاء سألته ما بك يا أبى .. فلم يجب فبكيت لبكائه وواسيته قدر استطاعته لكنه ظل يبكى طوال الليل الى أن اشرفت الأرض بنور ربها ، وفى اليوم التالى لم يذهب أبى إلى عمله وأرسل باجازه عارضة مع احد جيراننا ، وبقي فى البيت لمدة أسبوع لا يذهب الى العمل ، وهو حزين .. يكفكف دموعه بين حين وآخر او يمضى الساعات واجما ساهما حزينا .

وكلما سألتته عن أسباب حزنه يسكت عن الاجابة أو تدمع عيناه ولا يتكلم ، وبعد اسبوع على هذه الحال جاءنى فى غرقتى وصارحنى بما يعذبه فكان مفاجأة أئمة لى .. إذ قال لى أبى انه حين صحا من نومه فزعاً كان قد رأى فى المنام رؤيا سمع خلالها هاتفا يأمره بذبحى .. ظننته فى البداية يحكى لى هذه الرؤيا متعجباً منها لكنى رأيت منه إصرارا نهائيا على فعل ذلك .. ورأيت يتعذب بين عاطفته نحوى كأب رحيم وبين هذا الإصرار على تنفيذ ما امره به الهاتف فكادت أسقط مغشية على ثم توسلت إليه الا ينفذ ما رآه .. فيكى ويتركنى .. لكنى أتعذب كل يوم وأحس به يتعذب أكثر منى . اننى أراه بين حين وآخر يمسك بسكين فى يده ويتأملها طويلا ثم تنهمر دموعه ، فيذب الخوف فى قلبى وأبكى لعل دموعى تقنعه بعدم تنفيذ ما يريد .. كأننى اقول له بدموعى لا يا أبى .. لا تقدم على ما يدور فى ذهنك .. وحياتى

منذ هذا اليوم جحيم .. وكلما استعدت بعض إطمئنانى إنخلع قلبى مرة أخرى بمشهد مماثل . وصدقنى لقد حاولت أن أهرب بعيدا عن أبى لكنى تراجعت إشفافا عليه لالى اخاف عليه واخاف على سمعته ، وفكرت فى أن اتصل بالشرطة لكنى تراجعت ايضا إشفافا عليه .. فهل من المعقول ان أبلغ عن أبى ؟ إن هذا لا يصح ولن يكون .. ثم أخيرا وبعد عذاب إهتديت إلى بابك الذى يقرأه أبى بانتظام ويعجب بنصائحك للآخرين ، وإهتديت الى كتابة هذه الرسالة وإعطائها الى إحدى جارائى لكى ترسلها إليك ، ولكى نقرأها وتكتب اليه ناصحا له ألا يفعل هذه الجريمة البشعة وبالا يصدق ما رآه لأنه ليس سوى حلم وخواطر فى النفس ولا مجال للحقيقة فيها ، وأرجوك أن تسرع بنجدة فى هذا .. هو الخط الرفيع الذى اتعلق به الآن فأبى لم يعد يفعل اى شئ .. ولا يقرأ أى شئ بعد هذا الحلم وهو دائما وحيد فى حجرته يتأمل السماء .. وانا وحيدة فى حجرتى خائفة . والسلام عليكم ورحمة الله .



.. هذه هى الرسالة العاجلة .. وسيكون ردى عليها ايضا عاجلا وموجها الى الأب مباشرة :

يا سيدى لن اناقش معك فى البداية اسلوبك فى الحياة .. ولا ما جئت على ابتك من حرمانها من حقها فى التعليم وحقها فى الحياة الكريمة العادية لأسباب تراها وقد نختلف حولها لكنى سأناقش معك هذه المرة ما تسلط على ذهنك من أنك ترى فى المنام أنك تذبجها كما رأى ابو الانبياء ابراهيم أنه يذبح ولده اسماعيل وأريد ان اقول لك يا سيدى انك لست بنى ليكون ماتراه فى نومك رؤى تراها وهواتف تهتف اليك بالحق المين - فأنت رجل عادى مثلنا .. ومثل كثيرين غيرنا من البشر .. قد تفضلنا بفضلك وطيتك وتقواك ، ولكنك فى النهاية انسان ولست نبيا . ولو كلَّفت نفسك قراءة كتاب واحد

فى تفسير الاحلام لعرفت ان مانراه فى نومنا هو ترجمة بالصور لما يخلج فى عقلنا الباطن ومايترسب فى اللاشعور خلال فترات طويلة ، وليس أوامر تؤمر بها ولاإشارات الى المستقبل او الاحداث المقبلة .

وانت ياسيدى بكل أسف وفيما أتصور تربط فى عقلك الباطن وبغير ان تمى ذلك بين نوع البنت وبين مفهوم « العار » بشكله التقليدى الشائن وهو المفهوم الذى كان يدفع الآباء فى الجاهلية الى وأد بناتهم وإهالة الرمال عليهن أحياء تخلصا مما يمثله بعد ذلك من « عار » لهم .. بالرغم من بديهة عجيبة هى ان هؤلاء الرجال هم أنفسهم أبناء لنساء حملن فيهن وانجبنهن للدنيا !

وهذا المفهوم التقليدى الشائن الذى نسخه الإسلام ونهى عنه . مازال يجد له آثارا مترسبة فى بعض المجتمعات .. ولدى بعض المتزمتين حتى ولو لم يعلنوا ذلك أو لم يشعروا به . وهذا الإحساس الكامن هو الذى دفعك الى منع إبتك من مواصلة تعليمها و« إجلاسها » فى البيت بعد الاعدادية ، وهو ايضا الذى يؤرقك فى داخلك بعد أن كبرث ودخلت طور الشباب وأصبحت فتاة وقد تفاعل لديك هذا الاحساس الكامن فى عقلك الباطن الى أن عبّر عن نفسه اخيرا فى حلم يدعوك الى ذبحها . وانت فى الحقيقة لا تريد ان تذبح ابنتك الطيبة المتدينة المُجبة التى إرتضت هذه الحياة المتشفة البسيطة الخالية من كل متع الحياة بجوارك بلا شكوى ولاضجر ، لكنك تريد أن تذبح « مخاوفك » منها وشعورك الداخلى بما تمثله من عار محتمل ! .. وهو إحساس متخلف رهيب مع مثل هذه الابنة الملائكية التى تعيش جعيم الخوف من القتل وتخشى عليك وعلى سمحتك فى نفس الوقت لو انقذت نفسها أو لو ابلغت الشرطة عن مخاوفها .

أمثل هذه الفتاة يخشى مَنْ يُؤمن بالله واليوم الآخر منها ؟

ان كثيرين يغبطونك على مثل هذه الإهنة العظوفة الطيبة .. فكيف تساورك الاوهام بشأنها ؟ إرحم نفسك ياسيدى قبل أن ترحم ابنتك .. ولو أنصفت نفسك لإستشرت طيبيا نفسيا يساعدك على فهم أغوار نفسك ويغوص فى اعماقك ليستخرج لك اسباب هذا التفكير الخاطيء تجاه ابنتك مما مربك فى طفولتك او صباك او رجولتك من احداث .. ويساعدك على تخطى هذه المحنة .. وعلى الشفاء منها .

ولو انصفت ايضا ياسيدى لاعتدلت و وعدلت فى توزيع دخلك فإن لنفسك عليك حقا ولإبنتك عليك حقا .. ولمستقبلها عليك حقا وليس من التقوى ان تنفق كل دخلك على شراء الكتب والتبرع للجمعيات وبيتك خالي إلا من الحصر والكتب .. وحياتكما متقشفة الى حد الإملاق فاذا كنت قد إرتضيت ذلك لنفسك وهو شطط لاشك فيه . فما ذنب ابنتك ومن حقها أن تستمع بما أحل الله بغير مغالاة . إننى اتصور أن هذه المحنة التى تعيشها أنت أولا سوف تزول عندما تتزوج ابنتك وتتخلص أنت مما تمثله من « عبء » على ضميرك « فأفرج » عنها قليلا ياسيدى وثق فيها وفى خلقها . ودعها تخبر الحياة قليلا تحت إشرافك لكى لاتواجه الدنيا بلا أى سند من معرفة أو فهم اذا ماوجدت نفسها يوما وحيدة تماما فى الحياة ، وتخبر لها من الصديقات من تطمئن إلى خلقها فالصدقة قيمة ضرورية للحياة .

إننى لا أفهم فى تفسير الاحلام .. لكنه عطر لى خاطر لا بأس من أن اقله لك بعد قراءة هذه الرسالة .. أليس من المحتمل ان يكون هذا الحلم هو « اشارة » فعلا لكنها اشارة للواقع الذى تعيشه مع ابنتك والذى « تدبجها » فيه حقيقة بحرمانها من الحد الادنى للحياة المعقولة .. وبفرض هذا النقشف والحصار القاتل عليها ؟

بربك ألا يستريح ضميرك الدينى الى هذا التفسير الذى يبدو اقرب للعقل

والمنطق والدين ؟ واذا كان الامر كذلك فلماذا لا تتفق بعض الوقت الذى
نمضيه صامتا ساهما معذبا فى البحث عن زوج صالح لمثل هذه الابنة العلية
المتدنية ؟ لقد قلت لك ما أردت وعفوا لأى تعبير قد يمسك فلا أقصد الانقاذ
إبتك وانقاذك من هذا الوهم الكبير ، اما انت يا ابنتى فلا تترددى إذا ما
استشعرت الخطر مرة أخرى فى الاستنجاد بغيرانك مهما كانت العواقب ،
فأنت بذلك تنقذين نفسك وتنقذين أباك ايضا من ارتكاب جريمة .. وحبذا
لو كتبت الى باسمك وعنوانك لعلى أستطيع لك شيئا . وارجوك على الاقل
ان تكتبى الى بما فعلت بك المقادير وقلبى معك ومع أمثالك من المعذبين .

السيمفونية الناقصة

« مشكلتي رغم أنها شخصية إلا أنها تواجه غيرى من السيدات .. لذلك فسأروى لك قصتي كاملة وأطلب منك مساعدتي في حلها . تزوجت بعد تخرجى من الجامعة مباشرة وعشت مع زوجى ١٠ سنوات كاملة من أحلى فترات العمر كان زوجى لى خلالها هو كل شيء بالنسبة لى .. وكان محور حياتى الذى ادور فى فلكه .. إن ضحك ضحكى وأن تألم تألمت وأن شرد شردت معه احاول ان اغوص فى افكاره .. واعرف ماذا يشغل حبيى أو ماذا يكدره وأنا على استعداد لكى اقدم عمرى كله لكى احجب عنه ما يكدره . مضت حياتنا سعيدة كانت لنا حياة اجتماعية مليئة .. بيتا لا يخلو من الزائرين .. وامسياتنا تشهد زيارات عائلية سعيدة للصحاب والاهل .. وفى أمسيات الخميس نخرج للسهر فى إحدى دور السينما فى مدينتنا الجميلة الاسكندرية او للعشاء فى أحد المطاعم .. لم يكن ينقصنا شيء .. لا بل كان ينقصنا شيء هام لكننا لم نكن نحس به إلا فى نظرات بعض الأهل بين حين وآخر والا حين يشرد حبيى بافكاره بعيدا عنى فأخشى ان يكون هذا الشيء الناقص هو ما يشغله . كان ينقصنا الانجاب .. وكنت المسئولة عن ذلك لكننا صدقنى كنا نحيا حياة سعيدة كاملة لا ينقصنا شيء ولم يكن هو يشير الى هذا الموضوع من قريب أو بعيد .. بل كان يبالغ فى تهيئة الجو السعيد حولى إذا استشعر أى تغير فى خوفنا من ان يكون هذا الموضوع هو شاغلى وفجأة وقع الزلزال وبلا مقدمات . كيف ؟ لا اعرف فبلا مقدمات استسلم فجأة لبكاء والدته وإلحاح والده وبدون أى تمهيد نفسى أو عاطفى وجدت نفسى مطلقة فقد صمم أهله على أن يطلقنى لكى يستطيع ان يتزوج ممن تنجب له اطفالا وكانت الصدمة شديدة على هذأت كيانى وافقدتتى توازنى وثقتى

بالحياء وبنفسى ماذا جنيت حتى تهدم حياتى من أساسها ؟ الأطفال ؟ ومتى رفضت ان يكون لى أطفال ؟ وأين هى الزوجة الطيبة التى ترفض ان يكون لها اطفال لكنى لم أخلق عجزى بنفسى وإنما هى ارادة الله فماذا جنيت ؟ ألا يكفى عذاب حرمان المرأة من الطفل .. حتى نضيف اليه عذاب الطلاق وهدم حياتها ؟ .. لقد مضى الان عام على الطلاق ومازلت أبكى بحرقة كلما تذكرت ما آل اليه حالى فبعد البيت الخاص أصبحت أعيش الآن مع أمى المسنة وأختى التى على وشك التخرج ، وبعد الحياة الاجتماعية الحافلة والزيارات واستقبال الزائرين والخروج ، تمضى الايام لا يطرق علينا الباب طارق .. اننى موظفة كبيرة باحدى شركات القطاع العام بالاسكندرية .. وقد تلفت حولى فوجدت نفسى فى الثامنة والثلاثين من عمرى .. مطلقة بلا أمل .. وبلا ذنب ففكرت فى ان اكتب اليك عسى ان تدلنى على طفل يتيم ليس له اهل لاقوم بتربيته وأتخذه لى ابنا يكون لى فيه بعض العزاء عن غدر الايام وقلة الوفاء ولكى يصبح لحياتى معنى وهدف أعيش من اجله فهل تساعدنى فى ذلك ؟ .



.. واقول لهذه السيدة .. نعم أستطيع ان اساعدك وان اكتب بعنوانك ورغبتك الى بعض معاهد الايتام بالاسكندرية لتصل بك وترتب معك هذا الامر ، وهو تفكير انسانى عظيم .. لكن هل هذا هو الحل السليم لمشكلتك ؟ تستطيعين ان تتبنى طفلا وان تفرغى فيه عاطفة الامومة لكنه سيبقى هناك دائما شئ ناقص سيكدر حياتك .. فلماذا لا تطوين صفحة الماضى وتبدلين حياة جديدة مع زوج ملائم لا يرغب فى الانجاب كمطلق له اولاد او ارملة له اولاد ؟ لقد كانت لك حياة سعيدة لكنه كان يؤرقها دائما هذا الشئ الناقص .. وهو الذى هدم حياتك مع زوجك . فلا تصدق يا سيدتى ان رجلا يحب زوجته ويجد لديها كل سعادته يمكن ان يستجيب لالحاح اب

او ام فى طلاقها ؟ ان الرجل اذا لم تتوافر لديه بواعث الطلاق من داخله هو لا من خارجه فانه لا يقدم على هذه الخطوة ابدا إرضاء لاحد . لقد كان الشئ الناقص يؤرقه هو نفسه قبل والديه لكنه كان يجد تعويضا كافيا لديك عنه الى ان اشتدت وطأته عليه .. فضعف واستجاب لما كان يلح عليه من داخله .

ولا أريد أن أظلمه .. فأنا لا أعرف كل حيثيات قراره .. ونحن نتعامل مع المشاكل من جانب واحد .. ولا نسمع عادة صوت الطرف الاخر .. لكننى فقط اقول لزوجك السابق انك لو كنت سعيدا فعلا مع زوجتك السابقة ثم طلقها لا لشيء فقط سوى هذا السبب وحده .. فانت يا صديقى لم تعرف الحياة جيدا .. ولم تعرف ان السعادة الكاملة من كل الوجوه لم تخلق بعد على ظهر الأرض .. ولم تعرف ان السعادة نسبية وان الدنيا تعطى اشياء وتأخذ اشياء اخرى .. وان الدنيا هى غالبا كالسيمفونية الناقصة .. لا تكتمل ابدا فاذا كان ما اعطته لنا كافيا فمن البلاهة ان نعذب انفسنا بالتطلع الى ما حرمتنا منه .. خاصة واننا لا نعرف تماما هل سنجد سعادتنا فيما نطمح اليه ام لا .. وهل لو فقدنا ما بأيدينا جريا وراء ما نحلم به .. هل نخسر ام نكسب ؟ فاذا كنت قد طلقت زوجتك لهذا السبب وحده فقد ظلمتها وظلمت نفسك لأنك فيما أتصور لن تجد لدى غيرها كل هذا العطاء .. ولأنك لا تعرف ماذا تجبته لك الايام والليالى .. والليالى كما يقولون حبالى بلدن كل عجب ! لقد سبقك امبراطور عظيم الشأن هو شاه ايران السابق الى هذه المغامرة فطلق في الخمسينات زوجته الثانية الامبراطورة ثريا على حبه الشديد لها ورغم جمالها الباهر .. طلقها وهو يكي « مضطرا » كما يقول معظم من يقدمون على هذا التصرف ولنفس هذا الدافع ! لأنه حريص على ان يتجنب وليا للعهد يرث العرش ويحفظه فى أسرته ، فتم له ما اراد فعلا وأنجبت له زوجته الجديدة اكثر من وريث للعرش . لكن العرش نفسه

قد إندثر تحت حم براكين الثورة الايرانية ، وضاع العرش ولم تعد هناك حاجة لمن يجلسون عليه ! اننا ننسى كثيرا أنه لو علمم الغيب لإخترتم الواقع .. وننسى في أحيان كثيرة ان علينا ان نسلم بما اختاره لنا الله في اشياء كثيرة .. فيجرّنا هذا النسيان الى اخطاء عديدة تنعس حياتنا من حيث نريد ان نجنبها التعاسة . وقد نسي زوجك كل ذلك فكانت هذه المحنة .

أسرة من الحى الشرقى

« أنا طالب بالسنة الثالثة باحدى كليات جامعة عين شمس ومتفوق فى دارستى والحمد لله ، أسرق مكونة من ام طيبة مكافحة .. وشقيقتين طالبتين إحداهما معى فى نفس الكلية والاخرى بالمدرسة الثانوية وهما والحمد لله فتاتان على خلق ويجمعنا جميعا الحب والتعاطف والترابط - حيث أننا نواجه الحياة وحدنا بعد رحيل أبى رحمه الله منذ حوالى ١٠ سنوات ونعيش بمعاشه المحدود حياة متقشفة لكنها مستورة والحمد لله . وقد كافحت أُمى معنا كفاحا مجيدا لكى نواصل تعليمنا مستعينة بالصبر وبالحيلة لتدبير حياتنا وتلبية مطالبنا فى حدود معاشنا . وهى صورة تراها فى كثير من البيوت التى تفعل الأعاجيب لكى تستمر فى حياتها البسيطة بغير ان تفقد نفسها وإحترامها . ولا يضايقنى ذلك فحياتنا لا تخلو من متعة بسيطة نستمتع بها بين حين وآخر ، كجلسة عائلية دافئة فى أمسيات الشتاء نضحك فيها على ما نراه فى يومنا من صور تثير الضحك أو « كأكلة » بلدية هنيئة تحيد أُمى كسيدات الأحياء الشعبية صُنْعها فى حين ، أو كأكلة من طعام السوق اللذيذ الذى يحيد جيراننا فى الحى الشعبى صُنْعه وعرضه للبيع تسبقه روائحه الطيبة .. الخ .. وهى كلها متع بسيطة لكنها تُرضى أمثالنا من البسطاء .. وأهم منها بلا جدال أننا جميعا بصحة طيبة .. وأنه لا مكان للكراهية بيننا .. لذلك فأنى أكاد أعتبر أسرتنا أسرة سعيدة والحمد لله .. « لولا » .. ولقد قرأت فى ردك على رسالة الزوجة الحائرة بسبب زوجها .. انه ليست هناك حياة خالية من « لولا » الشهيرة هذه .. فقررت أن اكتب لك عن « لولا » الخاصة بنا التى تفسد علينا سعادتنا ونتعذب بها العذاب الأليم كل يوم . فنحن يا سيدى نعيش حياة مريرة لسبب عجيب لا يخطر على بال أحد هو أن والدى رحمه الله

منذ ٢٠ سنة لم تستطع إمكانياته المادية أن توفر لنا مسكنا إلا في هذا الحى الشهير من أحياء القاهرة الذى إرتبط اسمه لسوء حظنا بتجارة المخدرات في مصر .. طعنا عرفت اسمه ؟ إن كل ذنبنا لدى الآخرين أننا نقيم في هذا الحى الذى يتصور الناس أنه لا يقيم به إلا تجار المخدرات والموزعون والمدمنون .. إلخ ، علما بأن هذا الحى كغيره من الأحياء يقيم به موظفون مكافحون وتجار عاديون وعمال لا يربطهم بتجارة المخدرات صلة ، لكن قدرهم انهم يعيشون في هذا الحى ولا يجدون بالطبع بديلا للسكن فيه مع أزمة المساكن الحالية . إنك قد تتصور أن هذه مشكلة تافهة لكنها ليست كذلك أبداً ، فالتناس خارج الحى إذا اختلطنا بهم وعرفوا أننا من سكان هذا الحى تغيرت على الله ونظرتهم لنا وتعبروا منا ولم يقبلوا على صداقتنا رغم أننا فقراء شرفاء مثم والله العظيم ، وإذا تحدثوا معنا لا حديث عندهم لنا إلا عن المخدرات وأعمالها وأصنافها وهم يسألوننا عن الأسعار والأصناف .. وأسماء التجار الكبار كأننا من صبيانهم ، رغم أننى لا أعرف شيئا عن المخدرات ولم أذقها في حياتى ولا أذخن السجائر ولم أذقها أيضا ، فاذا تغيرت عن الكلية لمدة يومين لأى سبب وكأى طالب آخر يقابلنى زملائى بالتساؤلات الجارحة .. خير .. كان فيه كبسة عندكم والا ايه ؟ .. والا كنت بتوزع البضاعة ؟ ! فأصمت صمت العاجز عن الرد وفي قلبى ألم لا يحس به احد .. وآخر يقول لى فى الكلية ، يا عم انت بتكسب كثير من التوزيع .. إيه اللى عاجبك فى التعليم ؟ .. فأحس بفصّة فى حلقى .. وأعجز عن الرد .. وليتنى أستطيع إذن لقلت له : أية مخدرات إن أمى ترتق لى الجورب حتى يكاد يذوب بين يديا وشقيقتى تبادلان لبس « الجيب » الواحدة والبلوزة الواحدة ، حتى تبليا غاما ، ولولا بطاقة الكساء الشعبى لمشنا شبه عرايا إلى كليتنا ومدرستا .. فأية مخدرات يا صديقى .. وأى عذاب تعرضوننى له بغير أن تشعروا .. حسبى الله ونعم الوكيل .. لقد كافحت أننا كفاح الأبطال لكى

لا نسقط في هاوية العمل في « الكار » التي سقط فيها أقراننا منذ البداية تحت ضغط الفقر وضغط الحاجة وضغط نظرة المجتمع لنا .. فبعض أقراني في المدرسة الاعدادية حمسوا المسألة منذ سنوات طويلة وقالوا لأنفسهم اذا كان الناس جميعا يعاملوننا كصبية لتجار المخدرات ونحن نقاسى من الفقر .. ولا فائدة من إقناع أحد ببراءتنا ، فلماذا نتحمل الفقر إذن ؟ .

وهكذا انجرفوا إلى الجريمة .. وتوقفوا عن التعليم وعملوا بتوزيع المخدرات وعرفوا النقود الكثيرة ولبس الملابس الغالية ولبس الحواتم الذهبية التي تلمع في أيديهم تحت ضوء الشمس .. وإكسبوا سحنا غريبة وهيئة معلمين صفار .. أما نحن فقد أحاطتنا أُمى بذراعيها لكي لا نسقط في هذا المستقع .. ونحملنا الحرمان سنوات طويلة وما زلنا وكنا أحيانا نغضى الأمسيات بلا ملين في جيوبنا وعشاؤنا من الخبز والفول ، ورافق المدرسة القدامى يتصدرون « القعدة » في الشارع تحت بيتا بالضبط « يأمرن » بشراء الكباب ويُدخنون المخدرات ويشربون الخمر وينفق الواحد منهم على عشائه في الليلة الواحدة ما يزيد عن قيمة معاشنا طوال شهر .

ولست نادما أبدا على فقرنا وحرماننا .. بل لقد زدت إكبارا لأُمى حين كبرت وأدركت حجم حبا لنا وحرصها علينا بإبعادنا عن هذا الطريق وكيف أنها قد فعلت ذلك مضحية بصحتها .. وكيف حَرَمَتْ نفسها فلم تهن ولم تضعف رغم المغريات .. ومثلها في حينًا كثيرات ومثلنا كثيرون صدقتي بل نحن الأغلبية الصامتة الفقيرة في هذا الحى لكن الناس لا يتصورون ذلك ولا سماع الله منتجى الأفلام الذين صوروا للناس كل سكان الحى من تجار المخدرات وموزعيها ومدمنيها .. وليسأخ الله الناس الذين لا يصدقون إلا هذه الصورة الزائفة . فيكون ذلك على حساب كرامتنا وحقنا المشروع في الحياة ، فهل تصور أن شقيقتي الطالبة بالجامعة مثلا تقدم لها عريسان عن طريق بعض أقرابنا الواحد بعد الآخر .. أعجب كل منهما بشكلها

وأخلاقها .. ثم ما أن علم أننا من سكان الحى اللعين حتى خرج ولم يعد مرة أخرى . فماذا نفعل فى هذه المصيبة وليس لدينا ما يكفى لدفع خلوص حجرة واحدة بعيدا عن هذا الحى .

إننى لا أكتب لك رسالتى هذه لكى يتبرع لنا أحد من ذوى القلوب الرحيمة بحجرة أو شقة صغيرة ، لكنى أكتب لك لكى أطلبك بأن يتبنى الأهرام موضوع بناء مساكن شعبية لسكان هذا الحى اللعين وهو مشروع قديم من أيام الرئيس الراحل عبد الناصر ، وقد أثير مرة أخرى منذ شهور ثم نام من جديد فهذا الحى اللعين لا فائدة من أية حملات توجه إليه مهما كانت جذبتها فالتخدرات فيه أكثر من الحيز البلدى ! وسيظل الأمر كذلك مهما صنعوا ومهما شنوا عليه من الحملات ، ولا مفر من هدم هذا الحى وإسكان سكانه فى مساكن شعبية بعيدة عنه ، فيتحقق بذلك هدفان القضاء على تجارته المحرمة من ناحية .. وإنقاذ غالبية سكانه من البسطاء أمثالنا من هذه الوصمة التى تطاردهم فى كل مكان من ناحية أخرى ونحن راضون يا سيدى بحجرة واحدة فى المساكن الشعبية فى أى مكان .. فالتناس خارج هذا الحى يرفضون صداقتنا كفقراء شرفاء وإلى أن يتحقق هذا الحلم أريد منك أن تقول للناس إن سكان هذا الحى ليسوا جميعا من تجار التخدرات وإن فيه موظفين كبارا وصغارا ومحامين ومحاسبين ومهنيين وطلبة جامعات مثقفين وأسر مصرية شريفة ومكافحة فلا تحكموا عليهم بسمعة حيهم اللعين - واشكرك مقدما وإلى اللقاء .



.. ولكاتب هذه الرسالة أقول : أنت على حق يا صديقى فى كل ما قلت وأؤيدك فيما تطالب به وأضرم صوتى إلى صوتك ، ولا أعقد الى فى حاجة لأن أقول للآخرين إنه ليس صحيحا ان كل سكان هذا الحى من أهل العالم السفلى الذى يشغل بتجارة التخدرات .. فرساتك أبلغ منى فى التعبير

عن هذه الحقيقة الصادقة . وهى شىء طبعى لأنه ليس من المنطقى أن يكون هناك حى كل سكانه من غير الشرفاء . أو أن يكون هناك حى كل سكانه من الشرفاء . فالشرف لا يرتبط بالتقسيم الجغرافى لخريطة المدينة لكن بعض « عمالقة » الفن الهابط لا يعرفون هذه الحقيقة أو لا تسمح لهم مداركهم بإدراكها .. فكانت هذه الصورة الظلمة التى قدموها للجميع عن حيكهم ورُسوخها فى الأذهان حتى تحولت إلى فكرة ثابتة لدى البعض وهذا خطأ حقير وجريمة بشعة فى حق أمثالكم من البسطاء الشرفاء .

ولا شك أن من يَنفَرُونَ من صداقتكم ومن فَرَّوا من شقيقتك رغم اعجابهم بها هم من أسرى هذه الفكرة الخاطئة ، وكلهم مخطفون وأنتم ضحايا لهذا الاعتقاد الشائن ، ولو إمتلأت نفسك بالمرارة لما لُفَّتكَ على ذلك ، فمن المؤلم حقا أن يحكم الناس عليك هذا الحكم الجائر .. وأنت من تعالى الحرمان وشظف العيش نأيا بنفسك عن هذا الطريق ، ومن أفسى ما يتعرض له الانسان من ظلم أن يحاسبه الناس عما لم تبني يدها وعما لم تكن له فيه حيلة ، كإقامتك فى هذا الحى اللعين ولا أدرى لماذا يعثر مشروع هدمه ونقل سكانه إلى حى آخر كما حدث مع حَيِّين آخرين فى القاهرة كانت تطاردهما نفس اللعنة ، إننى لا أريد أن أطيل حديثى معك لأن رسالتك أبلغ من أى تعليق لكنى رغم ذلك لا أستطيع ان أقاوم رغبتى فى ابداء اعجابى بك وبأسرتك المكافحة التى تصنع كل يوم معجزة بمجرد إستمرارها فى الحياة وسط هذه العواصف والأنواء .. إنها صورة الأغلبية الصامتة فى بلادنا التى تكافح كل يوم كفاح الأبطال وتنفّر نفورا طبعيا من الحرام وتخشاه .. وما أكثر المعجزات التى تشهدها الحياة كل يوم بعد إنقضاء عصر المعجزات بزمان طويل . لكن هذا حديث آخر . فتقبل اعجابى بك وبأسرتك وتقبل عظيم احترامى لهذه البطلة المجهولة التى قادت سفيتكم وسط الجنادل والصخور على حساب حرمانكم ومعاناتها لكى تمحيكم من السقوط فى الهاوية ولكى

تصل بكم إلى بر الأمان إنها أم مثالية كغيرها من الأمهات الصابرات في بلادنا .. وأمها لا تعرف الجوائز طريقها اليهن .. فكونوا أنتم يا صديقي .. أنت وشقيقك جازتها الكبرى بتفوقكم في دراستكم واستمراركم على هذا الطريق القويم وفقكم الله وأعانكم على نظرة المجتمع الظالمة لأمثالكم من الشرفاء .

.. بلا عاطفة

« سيدى العزيز .. ارجو ان تقرأ هذه الرسالة الى النهاية بغير ان يصيبك الملل .. فهى رسالتى الاولى اليك لكنها فيما يبدو لن تكون الاخيرة كما انها سوف تعطيك صورة « صادقة » عما وصلت اليه « حالة الناس » من التنافس والبعد عن روح التأخى ، والحقد اللا أخلاقى .. وهى المعانى التى تلح على محاربتها كل اسبوع وكأنك يا صديقى تنفخ فى قربة مقطوعة . اننى اكتب اليك هذه الرسالة إستكمالا لقصة صاحبة العمارة التى نشرتها الاسبوع الماضى .. فانا يا سيدى فرد من أسرة مكونة من عشرة افراد نصفهم بنون والنصف الاخر بنات ، وكلنا والحمد لله اشقاء اى أبناء أب واحد وأم واحدة .. وكلنا جامعيون .. وكل إخوتى وأخواتى يشغلون مراكز مرموقة ، كما انا ايضا والحمد لله اغنياء جدا من الناحية المادية ، وعن نفسى فأنا خرج حديث منذ ٥ سنوات وأعمل منذ عامين فى شركة قطاع عام مرموقة اتقاضى فيها مرتبا يصل مع الحوافز الى ٢٢٠ جنيها شهريا ، ولى دخل ثابت يصل الى حوالى ١٥٠ جنيها . وكلنا - أقصد انا وإخوتى وإخواتى - يكره بعضنا بعضا جدا ولا يتمنى أحد منا للآخر خيرا أبدا . وكلنا أيضا « نفرح » فى مصائب بعضنا ! . وكلنا بلا استثناء نكيد وندبر المكائد لبعضنا البعض ، وبعض هذه المكائد يصل الى أقصى ما يمكن أن يتصوره إنسان ! كل ذلك بالرغم من أننا نتميز جميعا بالوسامة والجمال وبراعة المظهر وحلاوة اللسان ! .

ولا اطيل عليك فى هذا الكلام .. فحن غمك عن والدنا رحمه الله عمارة كبيرة لا يزيد إيجار اغلى شقة فيها عن ٦ جنيهات أما ارخص شقة فيها فايجارها ثلاثة جنيهات ونحن - اخوتى وانا - بالطبع « لا نطيق احدا من سكان

عمارتنا الكرام . ولا نحمل أى رغبة فى الخير لاحسن واحد فيهم ، وقد
 تسألنى لماذا ؟ أو هل أساء اليكم أحد منهم فاقول لك اننا نكرههم هكذا
 بلا سبب والله العظيم .. سوى اننا لا نحب احدا فى الدنيا فكيف نحب اناسا
 يعيشون فى سعة من العيش والسكن ولا يفكر فى الانتقام منهم ؟ ! وسأطلعك
 على ما عقدنا العزم عليه بل وشرعنا فعلا فى تنفيذه . ففى هذه العمارة القديمة
 شقة أعيش بها مع أمى الحاجة وهى سيدة شديدة الاحترام ومتمسكة بأهداب
 الدين والاخلاق - وسبحان الله اننا جميعا نشأنا على نقيضها وقد فكرنا فى
 حل رائع لمشكلة هذه العمارة القديمة التى تنقاضى منها بضعة جنيات ..
 ويتلخص هذا الحل فى أننا بدأنا فى نقل الاشياء المهمة من الشقة بالإضافة
 الى المستندات وكل ماله قيمة ، الى عمارتنا الأخرى التى ليس بها سكان ،
 وستسمعون قريبا - إن شاء الله - عن حادث من أكثر الحوادث بشاعة
 وفضاعة . كيف ؟ سأحكى لك كل شئ .. فى شقتنا بالعمارة القديمة ثلاث
 انابيب بوتاجاز ، بالإضافة الى مجموعة من المواد شديدة الانفجار والاشتعال
 التى أحضرتها خصيصا لذلك من معمل الشركة التى أعمل بها ، وفى يوم
 قريب إن شاء الله ! سنخرج من هذه الشقة .. ثم سيدوى انفجار شديد
 لن يبقى بعده من عمارتنا سوى الانقاض . وبعد أن تنتهى « الهوجة » التى
 ستحدث عقب الانفجار من إنتقال كبار المسؤولين بمديرية الامن والحفاظة
 الى موقع الحادث ومن نشر بالصحف واذاعة فى التليفزيون .. ومن س و
 ج ومحاضر طويلة تكتب بالقلم الجاف .. وبعد أن تقوم بالحفاظة مشكورة
 بأخلاء الضحايا .. ونقل سعداء الحظ منهم إلى مساكن الايواء .. ستخدم
 الهيصمة وتختفى تماما من سطور الصحف .. ثم نتسلم ارض العمارة لبيعها ..
 او لبنى فوقها عمارة جديدة نبيع شققها بالشئ الفلانى .. لكن ذلك ليس
 هدفنا وحده .. فأهم منه فى رأيى اننا سوف نستريح من هذه الوجوه
 الكريهة .. وجوه سكان عمارتنا .. الكلاب . وصدقنى أننا لا نكره سكان

عمارتنا فقط وإنما نكره سكان أى عمارة فهم جميعا كلاب ! وهم جميعا
« يتمسكون حتى يتمكنوا » وكرهيتنا للسكان جميعا هى الشيء الوحيد
الذى يتفق عليه اخوتى جميعا وانا اولهم بالطبع ! .

إننى اكتب اليك هذه القصة .. ومهما صنعت فلن تستطيع أن تمنع شيئا
أو توقف شيئا .. بل لن تستطيع فيما أعتقد ان تأخذ علينا شيئا لسبب صريح
هو اننى واخوتى من جميع التخصصات ومساعدنا خبراتنا المختلفة فى إحكام
التدبير والتخلص من نتائجه .. كما أننا جميعا بلا عاطفة .. ومتأسف كثيرا
حين اقول لك أن سعادتنا هى فى الإنتقام من أية مجموعة مترابطة سعيدة
او اى عائلة متماسكة .. أرايت اى نوع من السعادة .. هى سعادتنا ؟ ! .

اننى ارجوك ألا تحزن لما تقرأه الآن فنحن مختلفو الطباع .. وقد اردت
فقط كراحد من قرائك أن « اشير » عليك برأينا فى مشكلة صاحبة العمارة
الجاهلة التى نشرت قصتها فى الاسبوع الماضى .. فهى فعلا جاهلة أساءت
الى نفسها بما كتبه عن نفسها وعن مشاعرها وكان الأولى بها أن تستشير
من يعرف كيف يتصرف فى مثل هذه الحالات .. ان هذا هو رأى فى المشكلة
ومن حقنا عليك نشره بدون اختصارات وانت دائما تحترم آراء قرائك ونحن
منهم ..



هذه هى الرسالة الخطيرة التى تلقيتها ضمن رسائل عديدة تعلق على قصة
« صاحبة العمارة » . وهى رسالة مفزعة بكل معنى الكلمة سواء اكان ما
تشير اليه من « تدبير إجرامى » جادا وحقيقيا ، أم مجرد تعبير عن رغبات
مكبوته . وموقف طبقى حقير من البشر .

فاذا كانت الاولى فهى جريمة اتفاق جنائى على جريمة بشعة لا أجد وصفا
لائقا بها .

وإذا كانت الثانية فهي تعبير « جنائي » أكثر خطورة عن حالة رهبة من
البفسخ والعدوانية والانحطاط .. لا أجد أيضا وصفا لائقا بها .

وفي كلتا الحالتين فهي جريمة سواء أكانت جريمة تدبير أم جريمة « تفكير »
ولعل جريمة التفكير أخطر لأن التدبير يمكن ان يفسد .. ويمكن ان يتراجع
عنه أصحابه خوفا من العواقب .. اما جريمة التفكير وجريمة الانحراف
الفكري فمن الذي يستطيع أن يرد أصحابه عنه ؟ .. ومن الذي يستطيع
ان يقوم ما اعوج من نفسيات ومشاعر هؤلاء وأمثالهم تجاه البشر ؟ .

اننى قد لا اصدق هذه المؤامرة التى يتحدث عنها كاتب الرسالة لكننى
أصدق بالضرورة بعض ما كبه عن نفسه وعن أشقائه الذين يكره بعضهم
بعضا ويفرحون فى مصائب بعضهم البعض . وأرى ان مثل هذه « الشخصية
المريضة » ان كانت الصورة صادقة - لا يمكن أن تفرز سوى هذا التفكير
الاجرامى وسوى هذا الشعور « بالإستعلاء » الحقيقى على البشر مجرد أنهم
« سكان » علما بان ٩٩٪ من سكان الأرض بالضرورة سكان ! ولعل
والدك رحمه الله الذى ترك لكم هذه العمارة لكى تشعروا بالإستعلاء على
سكانها كان بالضرورة « ساكنا » فى مكان ما قبل ان يشتري هذه العمارة ! .

• إن من غير المجدى بالطبع أن اناقش صاحب مثل هذه العقلية .. ولا ان
افكر فى ان اطالبه بان يصحح نظرتة للحياة وللشعر أو حتى لإخوته الذين
قد يكون مغاليا فى تصويرهم جميعا على هذا النمط العجيب من « الخراب
النفسى » ولا اريد ان استطرد طويلا فى الرد على كاتب هذه الرسالة ..
لكننى أحس بعد ان قرأت رسالته .. اننى مدين بالاعتذار للسيدة الارملة
كاتبة رسالة الاسبوع الماضى .. والتى قسوت عليها كثيرا لأنها عبرت عما
فى صدرها من مشاعر مكبوته تجاه سكان بيتها . فهي فى النهاية ارملة ووحيدة
وتتحمل مسئولية ٦ ابناء وتعالى من صعوبات الحياة .. وربما فاض بها الكيل

فعبثت عما جاش في صدرها ببعض العبارات الطائشة التي قد لا تعنيها حقيقة .

أما أنت يا أيها المهندس الأعزب الشاب .. الغنى جدا كما تقول .. ويا من تتقاضى من شركة قطاع عام مصرية ٢٢٠ جنيها كل شهر وانت خرج حديث تعمل منذ عامين فقط ولك دخل ثابت آخر ١٥٠ جنيها وتعيش في شقة واسعة مع الحاجة والدتك المتمسكة بأهداب الدين والاعلاق ..

أنت .. يا كل ذلك .. ماذا اقول لك ؟ لقد خشيت غير مشكور على من الملل وأنا أقرأ رسالتك لكنك لم تخش أن تتفجر شرايبي مما أقرأه ولم نرع الله ولم نخشه في تفكيرك الاجرامى هذا .. فأى حياة هذه يا الهى ؟ .. ليرحمنا الله جميعا .. او لتزل علينا صواعقه لتسوى الارض بمن عليها اذا كنا حقا قد تدهورنا الى هذا الحضيض ! .

نداء العقل

اعتدت أن أقرأ في مقدمة رسائل بعض قراء البريد عبارات تقليدية تؤكد لي في البداية انني رغم ماقرأت من مشاكل سوف أقرأ في السطور التالية مشكلة لم تعرض لي من قبل ولم تخطر لي على بال .

ولاني فقدت منذ زمن طويل ومن كثرة الملمست من هموم البشر قدرتي على « التعجب » او « الاستغراب » لاي شيء فاني اتجاوز هذه العبارة عادة متوقفا ان تكشف الرسالة في النهاية عن مشكلة كمشاكل البشر الذين تتشابه همومهم في أغلب الأحيان .. لكن هذه الرسالة « فاجأتني » بالفعل بانني مازلت قادرا على التعجب !

تقول كلمات الرسالة بعد حذف « العبارة التقليدية » :

« الى يا سيدي أنظر حولى فأرى الناس يشكون من مشاكل عديدة لكن ليس من بينها مشكلة كالمشكلة التي أعيشها الآن .. انني ياسيدي موظفة جامعية في الأربعين من عمري .. زوجة وام .. زوجي يشغل منصبا علميا كبيرا ولى ائتمان في بداية سن الشباب تدرسان في احدى الكليات وصورة أسرتي من الخارج تقدم للناس صورة لامعة فأنا موظفة محترمة أتقاضى حوالى ٢٥٠ جنيها كل شهر وزوجي في منصب مرموق ودخله يصل الى ٤٥٠ جنيها وائتائى طالبان متفوقان في دراستهما وعلى خلق طيب وزوجي والحمد لله زوج مثالى وانسان ممتاز بكل معنى الكلمة هادىء الخلق لا يثور ولا يغضب .. ولا ينطق بكلمة جارحة لأحد وهو أيضا محبوب من كل زملائه ومعارفه لولا .. وآه من لولا هذه « لولا حبه العجيب لشراء الكتب ! ستقول لي انها مشكلة صغيرة فأقول لك ليس من يسمع كمن يرى ففضل بزيارتي لتعرف انها ليست مشكلة صغيرة وانما هي مشكلة تهدد حياتي الزوجية وحياة ابنتي ومستقبلهما بالخطر .

فزوجى ياسيدى مصاب والأمر لله « بداء » شراء الكتب والاحتفاظ بها الكتب التى يحتاج اليها والتى لا يحتاج اليها .. والكتب التى سيقروها والكتب التى لن يفض غلافها .. وهو يشتري الكتب بلا تمييز ويرصها على الارض فى كل شبر من الشقة ولو زرتنى لما استطعت أن أجد مكانا استقبلك فيه فالكتب بربطاتها تغطى جميع جدران الشقة من الصالون الى الصالة الى غرفة الطعام الى غرفة نوم الاولاد الى غرفة نومى الى المطبخ الى جزء من الحمام .. صفوف صفوف بإرتفاع قامة الرجل ، وهى صف اول وصف ثان وصف ثالث كأنها جدران سمكة أمام جدران الشقة وقد امتلأت شقتى التى أعيش فيها خلال السنوات الاخيرة بعد أن امتلأت بها غرفة الغسيل على سطح العمارة التى نقيم بها . فبدأ يخزن الكتب فى شقتى وبدأ عذابى معها . لقد إستعنت بصديقة تعمل مهندسة معمارية طلبت منها زيارتى ورؤية هذه الكتب لأنى قد بدأت اخشى على الشقة من الإنهيار من ثقل ماتحملة فجاءت الصديقة ورؤعت بما رأتها ثم أخرجت ورقة وقلما وآلة حاسبة وراحت تحرى حساباتها وتقديراتها ومحاولاتها لاحصاء عدد الكتب .. ثم قالت لى انها تقدر وزن هذه الكتب بحوالى ٢٥ طنا .. وأن هذا الثقل يمكن بالفعل ان يهدد سلامة الشقة على المدى الطويل بالخطر فلما اصططحبتها الى الشقة المغلقة لثراها لم تستطع ان تجد لنفسها ممرا بين صفوف الكتب المتراكمة فصرخت مندهشة ثم خرجت .

لقد كنت فى بداية حياتى الزوجية أضيق قليلا بهذه الكتب لكنى كنت فى النهاية أعتبرها مشكلة جانبية يمكن إحتماها خاصة وزوجى فيما عدا ذلك زوج مثالى لكن الأمر اختلف الآن فلقد كان زوجى عندما تزوجنا فى بداية حياته ويتقاضى ثلاثين جنيا وكنت اتقاضى عشرين جنيا كان ينفق من دخلنا المشترك حوالى ١٠ أو ١٥ جنيا على شراء الكتب فلا اهتم بذلك كثيرا ثم واصل دراسته وحصل على أعلى الدرجات العلمية وشغل منصبا هاما وزاد

دخله فزاد انفاقه على شراء الكتب حتى أصبح ينفق حوالى مائة جنيه كل شهر على شرائها ولم اتوقف عند ذلك كثيرا رغم بعض المضايقات التقليدية كأن أطلب منه شراء شيء لى فيخرج ليشتريه ثم يعود بعد ساعات بغيره وانما « برصة كتب » وقد نفذت نقوده فأثور وأغضب ثم أنسى بعد حين أو كأن أضيق بالكتب التى بدأت تنكاثر فى شفتى حتى ضيقت على حرية الحركة . وأعاقت ابنتى عن اللعب ، لكن الامر تطور تطورا خطيرا خلال الاعوام الثلاثة الاخيرة فقد زاد انفاقه على الكتب حتى اصبح يتلع تقريرا كل مايتبقى من دخله بعد دفع الامصار .. ! « لماذا » ؟ لا اعرف ! ان بعض الكتب التى اشتراها لم « تفك » عنها أربطة الدوبار التى ربطها بها البائع منذ عشر سنوات حتى الآن .. ومع ذلك فهو يشتري المزيد والمزيد .. وبعض الكتب التى يشتريها لا يصدق احد انه ممكن شراؤها فهو يشتري الكتب التى تدرس فى كلية الطب وهو ليس طيبيا ولا طالب طب . ويشتري « د برص » فى البيت حتى فتحت عيني ذات يوم فوجدت نفسى أعيش فى نصف مساحة الشقة التى تزوجت فيها أما النصف الاخر فقد إحتلته الكتب القديمة والجديدة . ووجدت نفسى اخجل من مظهره الرث لانالم نجدد فيه قطعة أثاث واحدة خلال عشرين سنة .. ولانه لامكان للضيوف حتى فى الصالون وتفاقم الامر بعد ان كبرت البتان وبدأت مطالبيهما تزيد وبدأت تطلعاتهما تكبر ايضا بدأت البتان تتساءلان .. لماذا يأمرى لانهيش حياة لاثقة بمركز أى ومركزك .. وبدخل اسرتنا ؟ فلا أجد جوابا شافيا . او تتساءلان لماذا يا أمى يبدو أبى « مهذلا » دائما لا يغير البذلة التى يرتديها لعدة سنوات ولماذا لانجد ملابس لاثقة بنا .. وغيرنا بدخل أقل من دخلنا يحيا حياة أفضل من حياتنا .. ويرتدون ملابس أفضل من ملابسنا .. ولديهم سيارة وليس لنا سيارة .. ولهم حياة اجتماعية ونحن لانستطيع أن نخرج فى « فسحة » مرة كل شهر لقلة النقود .

المهتدين

وأفقت على الواقع الأليم الذى أعيشه اكتشفت اننى انفق مرتبى كله على الاسرة .. اما زوجى فيدفع بعض الضروريات ثم يضع مرتبه كله على هذه « الرصات » من الكتب . اكتشفت أننا نعمل منذ عشرين سنة ودخلنا كبير ولم ندخر مليما واحدا للبتين إستعدادا للمستقبل . أو لزواجهما واكتشفت منذ سنوات اننى لم أخرج معه فى مشوار أو فسحة كأى زوجين منذ سنوات لسبب غريب هو اننى بصراحة اصبحت ارجل من ملابسه الرثة ومظهره الذى لايليق به ولاى . اما هو فلا يهتم شئ .. وليس لديه رد على انتقادات الاقارب والاصدقاء لمسلكه ومظهره سوى انه « جهل » منهم ! وتكهريت حياتنا .. مع مطالب البنات واستمرار زوجى فى اسلوب حياته حتى عجزت عن التصرف . هل تعرف من هو أعدى اعدائى الان ؟ انه سور الازبكية الذى تباع عليه الكتب القديمة . هل تعرف ماهى أنعم ايامى كل سنة ؟ انها هذه الايام « المباركة » التى يقام فيها معرض الكتاب الدولى فى القاهرة والذى تفرحون به و« تهللون » له كل سنة !

ان أيام هذا المعرض هى أيام الخراب بالنسبة لى .. فهو يشتري منه بكل ما فى يده من نقود ولو كان له رصيد فى البنك لسحبه كله خلال انعقاد معرض الكتاب لعنة الله عليه ! ستقول لى طبعاً ان الثقافة شئ مهم .. وهواية شراء الكتب افضل من اشيء اخرى ، فاقول لك انها ليست ثقافة .. صدقنى فزوجى بعد كل هذا العذاب أشرف على الخمسين ولم يكتب مؤلفا واحدا ومازال شارعا فى تأليف أول كتاب له منذ سنوات ، وانه لا يقرأ هذه الكتب بل بعضها .. او القليل منها .. وان هوايته ليست قراءة الكتب وانما ترتيبها ورسها وهو يمضى ٤ أو ٥ ساعات فى ذلك كل يوم ولا يمنع ذلك من ان يقرأ بغير انتظام كل حين ثم انه يشتري من الكتاب الواحد احيانا ٤ نسخ او ٥ نسخ .

إننى اكتب لاقول لك ان سفينة حياق تتعثر الآن بسبب هذه المشكلة

وأنتى لأول مرة فى حياتى قد بدأت أرفض هذه الحياة وأطالبه بأن يرعى مستقبل إبتيه وان يوفر لنا حياة لائقة خاصة وقد تجمع لديه مايزيد على ٣٠ الف كتاب سيقضى العمر قبل أن يقنيتها .. وعلاقتنا الآن متوترة لهذا السبب ومطالب ابنتى تزداد .. ومستقبلهما يورقنى .. وتساؤلناهما تعذبنى ، وقد طالبته بأن يوجه دخله لاسرته ولرفع مستواها وبالكف عن شراء الكتب بلا ضرورة فيعدلى ثم يخلف وعده .. ثم يقول لى انه « عاجز » عن التوقف عن الشراء فهل انا على حق فى موقفى ؟ وبماذا تنصحنى ان افعل ؟



ولكتابة هذه الرسالة اقول ان مشكلتك ياسيدتى ليست بالفعل مشكلة صغيرة وانما هى مشكلة خطيرة تعانى منها أسر عديدة .. لكنها تعبر عنها بصورة فريدة بالفعل . فمشكلتك هى احدى صور مشكلة سوء توزيع دخل الاسرة على مطالباتها .. وهى لا تختلف كثيرا عن مشكلة أسرة نجار المسلح مثلا الذى يكسب ٦٠٠ جنيه كل شهر فيتفق منها على طعامه هو وحده وشرابه ومكيفاته ونزواته ٥٥٠ جنيها وينفق الخمسين الباقية على أسرة من ٥ افراد تعيش فى أدنى مستوى اجتماعى ممكن . انها نفس المشكلة مع فارق المستوى العلمى والثقافى للأسرتين .. ومع الفارق فى وجوه الاتفاق .. وهى مشكلة ضعف إحساس رب الاسرة بالمسئولية عن أسرته او بمعنى أصح عن « رعيته » لأن رب كل اسرة هو راع ومسئول عن رعيته ، وأولى مسؤولياته أن يقيم العدل فى مملكته الصغيرة هذه ، والعدل يتطلب أن يوزع دخله على أسرته توزيعا عادلا يلبي الاحتياجات ويحقق مطالبها الضرورية ويوفر لها الحياة اللائقة . والاعتدال فى كل شىء هو قمة الحكمة .. ولو أتيج لى أن ألقى بزوجك لما نصحته بألا يشتري الكتب ، لان الكتب لمن يعمل فى مجاله هى من الضروريات وليست ترفا ، وانما لنصحته بألا يشتري منها الا ما يحتاج

إليه فعلا وما يتناسب مع إمكانياته بعد توفير الحياة اللائقة لأسرته ، ولنصحته
 أيضا بأن يكون عادلا مع أسرته حتى في المساحة التي يخصصها لكتبه في
 مسكنه فمن حقه ان تكون له مكتبة في إحدى غرف الشقة لكنه ليس من
 حقه بالتأكيد ان يخزن ٢٥ طنا من الكتب في شقة سكنية ضيقة لا يقرؤها
 ولا يفك ارتباطها . ولنصحته أيضا بأن يتخلص مما لا يحتاج إليه من هذه
 الاطنان ولو أراد ان يؤدي خدمة ثقافية جليلة للأجيال الصاعدة لنصحته
 بالتبرع بهذه الكتب الزائدة لمن لا يستطيعون شراءها من الشباب فيساهم في
 تثقيفهم وفي تحقيق الاستفادة من هذه الكتب العاطلة .. وفي ذاكرتي تجربة
 مماثلة مع أديب مثقف ضاق مسكنه بكتبه فكتب الى عن استعداده لإهدائها
 لمن يرغب في القراءة والاطلاع من الشباب فحققت رغبته فلم تمض ايام
 حتى كانت طوابير الشباب تقف امام باب شقته فوزع كبه عليهم جميعا
 ووزع خلال ايام آلافا من الكتب فأفاد الكثيرين وأفاد الثقافة بتصرفه
 النبيل .

اما أنت ياسيدتي فاني أنصحك بان تكوني رفيقة به رغم كل شيء وبألا
 تفرطي فيه وبأن تواصل « الكفاح » معه للحفاظ على الاسرة بمزيد من
 التفاهم والتضحيات المشتركة من الجانبين فمشكلتك رغم غرابتها ليست
 نادرة الحدوث وهي مشكلة زوجات كثير من المشتغلين بالعلم والادب
 والثقافة .. « والبيوت أسرار » كما يقولون ! فقط عليك ان تضاعفي من
 جهدك لاقناعه بضرورة ان يوجه معظم دخله للإرتفاع بمستوى أسرته وتأمين
 مستقبلها .. وبضرورة الانسحاب نصيبه من الدنيا فالمنظر اللائق هو أيضا من
 الضروريات له ولكل افراد أسرته والجمال قيمة ينبغي الحرص عليها كقيم
 الثقافة والعلم والمعرفة ، وحذا لو استطعت اقناعه برفق وهو العالم المثقف
 بأن ما يعانى منه ليس « حالة ثقافية » بالمعنى المعروف .. وانما هي « حالة
 مرضية » لاشك فيها هي حى الشراء التي يعرف المتخصصون عنها الكثير

ولعلهم يحللونها لنا تحليلا علميا مفيدا . لذلك فمن المفيد ان يقتنع بضرورة
استشارة الطبيب النفسى وانا واثق انه سوف يستجيب لنداء العقل ونداء
العدل لأنه كما تقولين انت زوج مثالى وانسان ممتاز من كل الوجوه لولا !
وليست هناك حياة خالية من « لولا » هذه ياسيدتى لكن صورها وخطورتها
تختلف من حياة الى اخرى .. ثم اليس طلب العلاج واقناعه به اجدى من
ان تعلنى « الحداد » عند افتتاح معرض الكتاب الدولى كل سنة ؟

أشياء لا تباع

تذكرت كلمة الملياردير الأمريكى الشهير بول جيتى وأنا اقرأ هذه الرسالة : إن المال لا يستطيع شراء الصحة ولا السعادة ولا الحنان ولا سهولة المضم ! .

وبالرغم من أن من يحاضروننا عادةً فى عدم جدوى المال هم دائماً من أصحاب المليارات الذين أفنوا العمر فى جمعه فإن الكلمة صادقة ولاذعة ، ولو آمن بها الكثيرون ومنهم قاتلوها لحُلَّت مشاكل عديدة من مشاكل البشر .

أما الرسالة فقول كلماتها :

إسمح لى بأن أبدأ قصتى بدون مقدمات . وبصراحة فأنا لا اكتبها لك لأنى أريد منك حلالها ولكنى أكتبها لكى تقرأها قارئاً لك من صاحبات المشكلات فربما هوئت عليهن مشكلتى مشاكلهن ! فأنا يا سيدى فتاة عمري ٣٥ سنة من أسرة غنية ميسورة الحال عندى كل ما اريد .. وكل ما تشتيه النفس - وأستطيع ان اشترى كل ما أرغب فيه الا شيئاً واحداً .. هو السعادة ! .

فأنا رغم بلوغى سن الخامسة والثلاثين مازلت آنسة والسبب فى ذلك هو أن الرجال يتجاهلون تماماً أن الفتاة البدينة لها أيضاً قلب وروح وإحساس وإنها أنقى كائناً فتاة رشيقة ! والمشكلة اننى بدينة جداً ، وليس ذلك يبدى لكنها إرادة الله وقد لجأت الى أشهر اطباء علاج السمنة وأنفقت الكثير على العلاج فكان وزنى ينخفض بسرعة غريبة حتى أصبح كفصن البان ، لكنه لا يلبث ان يعود مرة أخرى وبسرعة مذهلة حجمى السابق بل وأكثر منه أيضاً . وأحمد الله أنى لم أصب حتى الان بمرض من أمراض السمنة ، لكنى

منذ عامين ظهر في ساقى اليمنى ورم كبير حتى أصبح في حجم البطيخة وثبت أنه ورم حميد والحمد لله فاستأصلته وأصبح في امكانى بعد الجراحة إتباع رجيم خاص للتخسيس ... لكن بلا فائدة لماذا ؟ لأن رأى الاطباء ان الرجيم وحده لا يفيد ، وانه عقب الزواج سوف تتغير هورمونات جسمى وينخفض وزنى ، أما قبل الزواج فلا فائدة من الرجيم ، لكن أين هو الرجل الذى يصدق ذلك ؟ وأين هو الرجل الذى يقبل الزواج من فتاة شديدة البدانة على أمل ان ينخفض وزنها بعد الزواج .

انك لن تصدق انه اذا اخطأ شخص وتقدم لخطبتى فإن اهلى هم الذين يضعون العراقيل امامه بدعوى بأن من يطلب الزواج من فتاة بدينة مثلى لابد أن يكون طامعا في مالى ، وتنتهى القصة بالرفض ، مع الى والله بشهادة الجميع أحل وجهها جيلا وروحا طيبة مريحة ولم أحل طوال حياتى لأحد سوى الحب ولا أكره احدا حتى الذين يبنونى بقصد او بغير قصد فالى لا اكرههم .. وأتلمس لهم الاعذار وأقصى ما أستطيع ان أقوله في مثل هذه الحالة : الله يسامحهم .

اننى أرى حى في عيون الناس الذين من حولى والذين أتعامل معهم ، لكنى رغم ذلك ينقضى شئ هام واشعر بالحزن على نفسى والبنات الصغيرات قد تزوجن وأنجبن وأنا ما زلت كما أنا تصد عنى سميتى راغبتى الزواج ، إننى والله أحب هؤلاء الفتيات اللاتي تزوجن قبلى وأحل الهدايا إليهن في الزفاف وعند الإنجاب وأحل اطفالهن فوق صدرى لكن والدى لا يرحمنى فهو يعتبر عدم زواجى مأساة .. وهو يطلق على اسماء الحيوانات السمينة .. وأقبل الموضوع بروح عالية واضحك امامه لكنى ما ان اخل بنفسى حتى ابكى ، اننى اعيش آلامى ولا احد بجوارى سوى زوجة ابنى الحنون التى اجد في حنانها وحبها ما يعوضنى عن كثير من آلامى فهى انسانة عطوفة كريمة تضمينى الى صدرها فاشعر انها امى الحقيقية ، لقد اكملت

دراسى الثانوية ولم ادخل الجامعة لكى لا اتعرض لسخرية الزميلات
والزملاء وقد كتبت اليك هذه الرسالة لكى تقرأها كل فتاة فشكر الله
سبحانه وتعالى على ما انعم عليها به من رشاقة وجمال وزواج او خطوبة
وليقرأها كل شاب ليعرف ان السعادة ليست فقط مع الفتاة الرفيعة وانها
قد تكون ايضا مع فتاة سميكة . غفر الله لكل رجل يتعد عن فتاه لا لشيء
الا لسمتها .. وغفر الله لمن لا يتصورون ان للفتاة البدنية قلبا ومشاعر
وعاطفة ! .



« هذه هى الرسالة التى تلقيتها والتى انشرها تلبية لرغبة كاتبها لكى
تقرأها - كما تقول هى - كل فتاة فتجد فيها ما قد يخفف عنها آلامها وما
قد يدفعها لأن ترضى عن حياتها وعن نفسها .. وليقرأها ايضا كل رجل
ليعرف ان السعادة لم تكن فى مقاسات حجم الزوجة ، وإنما فى صفاء الروح
وطيبة القلب وفى الإخلاص والعطاء المتبادل . لقد احببت كاتبة هذه الرسالة
كثيرا دون ان أراها لصدقها وتلقائيتها وسماحة اخلاقها .. واحببتها اكثر لطيبة
قلبا التى تدفعها لحب الآخرين حتى الذين اساءوا اليها وآلموها بالسخرية ،
وأحببت كثيرا كلماتها الصادقة الطيبة عن زوجة ابيا وأعترف بانى لم أقرأ
لها مثيلا من قبل فيما يصلنى من رسائل .

إن كل هذه اللحظات تؤكد يا صديقتى أنك فتاة محبوبة من الجميع ،
إذ يستحيل أن تحمل كل هذا الحب للآخرين بغير أن يبادلوك حباً مجب ..
ولا يمكن أن تكون لك هذه النفس الشفافة الصافية بغير أن تجذب القلوب
إليك ، لذلك فأنا مندهش من أنك لم تلتقي حتى الآن بمن يستحقك ، ولا
أصدق ان البدانة وحدها يمكن أن تقف فى وجه سعادتك مع جمالك وثرائك
وخفة روحك وطيبة قلبك . فاذا صح ظنى فلا بد أن هناك اسبابا اخرى
قد يكون من أهمها شكوك أليك فيمن يتقدم إليك وإحساسه بأن كل راغب

فيك .. هو راغب في مالك .. وهو رغم سلامة دوافعه في ذلك مخطيء الى حد كبير ، إذ انه بذلك يحكم هو نفسه عليك بأنك لا تستحقين أن يتقدم إليك خاطب الا اذا كان راغباً في مالك وهو إحساس ظالم لو تسلط على أب لما زوّج ابنته أبداً ، لذلك فإنه مطالب بالتخلي قليلا عن شكوكه .. ومطالب أيضا بقدر أكبر من الواقعية لكي تمضي السفينة الى الامام .. واكاد اقول انه مطالب بشيء من التضحية وبشيء من الحكمة التي تُغلب سعادة ابنته على أية اعتبارات أخرى ..

إذ ماذا يساوي المال بلا سعادة ولا هناء ولا حياة طبيعية ؟ ان الحياة رحلة واحدة لا تتكرر ومن السفاهة أن نبددها في معاناة لا مبرر لها إذا كنا قادرين على تجنبها . إنني لو التقيت بأبيك لقلت له على الفور وسيفهم إشارتي يا رجل إختر لابنتك زوجا لائقا قبل أن ينتهي العمر في المعاناة .. وما أكثر من يتمنون هذه الفرصة وما أكثر الزيجات التي أنبتت الحب من خلال العشرة ولقلت له أيضا .. انس ثروتك قليلا فهي لا تساوي شيئا مقابل سعادة ابنتك كما أنك لن تصطحب هذه الثروة معك الى العالم الآخر ، فدع ابنتك تتمتع بما أعطاك الله في حياتك وكن راعيها وحاميها وهاديا الى الاختيار .



رسالة من حجرة الصالون

قد يرى البعض في هذه الرسالة « حالة خاصة » لا تستحق الاهتمام لكنى على العكس من ذلك أرى فيها « غودجا » للخطأ الصغير الذى يمكن أن يهدم صرحا كبيرا فى بعض الاحيان .

كما أرى فيها صورة لما يحدث أحيانا فى كثير من « البيوت » مع اختلاف بعض التفاصيل فى هذا الزمن العجيب . تقول كلمات الرسالة :

« أكتب لك هذه الرسالة من حجرة الصالون فى شقتى حيث أعيش وابتعدت منذ فترة غير قصيرة مع طفلى الوحيد بعد أن هجرت زوجى وتركت له غرفة النوم وأصبحنا منفصلين تحت سقف واحد . أكتب إليك لأستشرك فيما جرى لعلك تساعدنى على سلوك الطريق الصحيح .

والحكاية ياسيدى اننى زوجة وام لطفل .. وزوجى شاب مقبول جمعنى به المشاعر الطيبة بين زوجين . ولااعتراض لى عليه فى شيء سوى انه حاد المزاج جدا وعصبى جدا ومتحمس جدا فى كل شيء .. ومن سوء حظى انه من عشاق كرة القدم ومن المشجعين المتعصبين لناد قاهرى كبير ، وهو يحرص على مشاهدة كل مباريات الكرة فى التلفزيون بالبيت وخاصة مباريات فريقه . وهنا تبدأ متاعبى .. فهو عند مشاهدة المباراة يفقد السيطرة على نفسه وتخرج منه ألفاظ بشعة تخدش الحياء والفاظ سوقية رهبة لايتصور احد أنها صادرة عنه وهو الشاب المثقف المتعلم فاذا هزم ناديه أسرع بغلق النوافذ وإحكام الأبواب لكى لايسمع الجيران هذه الالفاظ النابية .. ويسوء حكمهم على اخلاقياتنا ومستوانا الاجتماعى .

وبعد المباراة يبدو منهكا كأنه كان يلعب المباراة بقدمه فيتصبب العرق منه وتتلاحق انفاسه ! والكارثة الكبرى تقع حين يهزم ناديه .. ومن سوء

حظى وحظ طفل الوحيد ان ناديه قد هزم هذا الموسم ٣ مرات فخيّلوا
حالى وماعانيته فى كل مرة ، من تشجّات عصبية وشتم وسخائم تصم الآذان
أثناء المباراة .. ثم « نكد » وجو صامت حزين بعد المباراة كأننا فى مأتم !
قد تقول إنها مشكلة ثانوية لا تستحق كل هذا الاهتمام لكنى اقول لك ان
هذه المشكلة التافهة هى التى غيرت مجرى حياتى الآن منذ أكثر من شهر .
فقد حاولت كثيرا اصلاحه وعهديه ومنعه من التلّظ بهذه الالفاظ السخيفة
لكى لا يعتاد طفلنا الصغير سماعها .. ولكى لا يتسرب الى الجيران خاصة وهو
الشاب المثقف المهذب . فلم نجد محاولاتى صدى . فاصبحت عندما تذاع
مباراة أجلس بعيدة عنه مع طفلى خوفا منه ومن هياجه وحتى نتجنب ثورته
وحزنه وغمه ونكده الذى يستمر بعد المباراة الى ان وقعت الواقعة التى
لم تكن فى حسابى ابدا .

ففى احدى المباريات كنت لسوء بختى قد قررت ان الفت نظره الى
مايفعله فقال لى « مالكيش دعوة » ويشاء القدر ان يحرز الفريق المنافس هدفا
فى فريقه فانقلب كالثور الهائج لانه بدأ له حركة يفرك يديه بعنف ويشد شعره
فانسحبت من لسانى وقلت له : مش معقول كده . ده مش تشجيع ده .
فاذا به يستدير نحوى فى انفعال شديد ومتشنجا ثم .. ثم .. ثم يصق
على وجهى ! هل تخيل ذلك ياسيدى .. يصق على وجهى أنا زوجته وام
طفله .. وشريكة عمره ، لأننى فقط لفت نظره الى مايفعل . اعرف انه فعل
فى لحظة انفعال .. لكنى لاستطيع ان اغفر له جرحه لكرامتى على هذا
الشكل المهين ولهذا السبب التافه .. اتنى جريحة الكرامة ياسيدى أعانى من
آلام مبرحة فى قلبى ومشاعرى ولاستطيع تصور فكرة العيش معه مرة اخرى
رغم محاولاته العودة الى .. فهل انا على حق ياسيدى .. هل انا على حق . «



ولكتابة هذه الرسالة أقول :

« نعم ياسيدى انت على حق فى غضبك لكرامتك وفى رفضك لهذا الاسلوب المجنون فى « الاستمتاع » بمشاهدة مباراة كرة . وانت على حق ايضا فى استكارك لهذه الالفاظ النابية .. ولهذه العصية .. والتشنجات خلال مشاهدة مباراة كرة كان ما يجرى فيها يتوقف عليه مصير العالم .

انت على حق فى كل ذلك وزوجك مخطيء فى مزاجه العصبى الحاد وقد أجرم فى حقك حين بصق فى وجهك من اجل ملاحظة عابرة خلال مباراة كرة .. لكننى ألفت نظرك الى ان مايعانى منه زوجك هو وباء منتشر فى معظم انحاء العالم وليس مقصورا على بيتك فقط . وكثيرا مايتسبب فى كوارث كبرى عامة وعائلية على السواء خاصة فى الملاعب العامة حيث تتجمع اعداد غفيرة من البشر الهائجين المتحمسين .. فتحكمهم نفسية « الحشد » وهى نفسية سريعة الإلتهاب سهلة الاستارة يمكن خضوعها لمؤثرات خارجية كما يمكن ان تنجرف الى العنف بسهولة ، وفى هذا الحشد يمكن أن يخرج الأفراد عن أطوارهم بسهولة وتصدر عنهم غالبا تصرفات لاتتسق مع نمط سلوكهم العام فى الحياة ولامع انماط شخصياتهم الطبيعية . ومشكلة زوجك هى أنه يضرج على مباريات الكرة فى شقته وحيدا بنفسية هذا الحشد الهائج السريع الإلتهاب فتدفع القذائف من فمه .. ويمكن أن يصدر عنه رد فعل عنيف لائى تصرف او ملاحظة كما حدث معك للأسف وترتب عليه تعكر صفو حياتكما .. واعتكافك فى الصالون . وأنا بهذا الكلام لا ادافع عن تصرفه وإنما افسره فقط .. بل اننى فى الحق لأحترم من يخرج عن طوره لمثل هذا السبب غير الجاد واعجب ممن يفعلون او يحزنون او يثرون لمباراة كرة أو ماأشبه من الاسباب وأقول لنفسى دائما لو خلت الدنيا من كل الهموم والمشاكل والآلام لحق ان نحزن او نتجادل ونتخاصم لمثل هذه الاسباب غير الجدية . ومع ذلك فلقد عكر خطأ صغير هو الانفعال خلال المشاهدة صفو

حياة اسرة صغيرة .. وكاد يعرضها للخطر .. وهذا هو درس التجربة الذى ينبغى ان يتعلمه زوجك وان يستوعبه .. فمعظم النار من مستصغر الشرر كما يقولون .. وانا معك فيما فعلت حتى الآن لكنى اسألك وماذا بعد ؟ .. إن هناك مبدأ قانونيا معروفا هو تناسب العقوبة مع الجريمة فلا يجوز ان يعاقب مخالف لإشارة المرور مثلا بقطع أذنه .. ولا ان يعاقب قاتل بدفع الغرامة . وأنت قد عاقبت بما فيه الكفاية حتى الآن وهو بالضرورة نادم الآن لما بدر منه وراغب فى اصلاح الامر بينك وبينه .. فأقبل إعذاره هذه المرة على أن تكون المرة الأولى والأخيرة .. وتجنّب بقدر الامكان مجادلته أو الاقتراب منه خلال لحظاته المتفجرة .. وانصحك بأن تقدمى اليه قبل كل مباراة قرصا مهدئا .. وكوبا من عصير الليمون وبمجرد أن يطلق الحكم صفارة البداية .. تسرعين « بالفرار » بعيدا عنه الى ما بعد انتهاء المباراة ! . وعجبنى لما اقرأ وأسمع فى بعض الأحيان ! .. وبالناسبة .. ماهى حكاية رسائل الزوجات « من غرفة الصالون » التى أتلقى منها الكثير جدا هذه الايام !؟

أهل القمة

« أنا إحدى قارئات بريدك الاسبوعى منذ زمن طويل .. واغبطك على ما تناله من أجر من الله بسبب هذه المشاكل التى تعرضها .. شأنك فى ذلك شأن القاضى الذى تطرح عليه مشاكل الناس فيصدر حكمه فيها ، فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد لمحاولة الوصول الى الحقيقة .

والواقع اننى اقرأ المشاكل التى تعرض فى هذا الباب باهتمام شديد وأقارن بينها وبين مشكلتى التى أعيشها حالياً فأجدتها جميعاً تتضاءل امام مشكلتى .. وهى مشكلة كثيرين غيرى فى هذا العصر الذى انقلبت فيه كثير من الموازين ، فلقد تزوجت زوجى منذ خمسة وعشرين عاماً وعشت معه طوال هذه السنين على الحلو والمر معا واخلص كل منا للآخر الى اقصى حدود الإخلاص .. وحرمتنا نفسيهما من كل مباحج الحياة من أجل ان نعيش حياة شريفة آمنة فى حدود مرتب زوجى الذى يتقاضاه من وظيفته وليس لنا مورد رزق آخر غيره ، إذ أننى بمجرد زواجى رأى زوجى ان اتفرغ لىتى ولترية الابناء ، ومضت سنوات العمر واجتزنا بسفينة الحياة الزوجية خضم الحياة ، وكان مرتب زوجى يكفينا وكنا راضين بحياتنا وليست لنا اية تطلعات ، فالحياة محتملة . ونقص بعض الموارد يعوضه ما نحن به من احترام الآخرين والجيران لزوجى سواء فى العمارة او النادى او عند البقال .. فزوجى يا سيدى يعمل مستشاراً بالمحاكم ومعروف بحسن السمعة والأمانة . ومضت سفينتنا هادئة نخطط لكل شيء فى حياتنا .. ونتمكن كل سنة بالادخار والتدبير من أن نقضى شهراً بالاسكندرية ليسترخ زوجى من عناء العمل المرهق طوال العام ، واحياناً كنا غضى شهرى يوليو واغسطس وهما شهراً

الاجازة القضائية بالكامل في أحد المصايف ونعود مع بداية الحريف متجددين مقبلين على الحياة والعمل .

كان هذا هو حالنا حتى دخل الأبناء الجامعة وتغيرت الدنيا من حولنا وحدث زلزال الإنفتاح الاستهلاكى فى المجتمع فسقط أناس من قمة المجتمع وصعد اناس آخرون .. وتغيرت قيم عديدة ومفاهيم لدى الناس والمجتمع . ورغم خطورة هذا الزلزال إلا أنه كان من الممكن احتماله بشئ من التدبير وبإجراء بعض التباديل والتوافيق واستبدال أطعمة بأطعمة الخ لكن الأخطر هو ما حدث بعد ذلك . فلقد أصبح أولادى وبناتى .. « أولاد المستشار » الذين كانوا يحضون فى الطريق محوطين بالاحترام والتقدير تقديرا لوالدهم الأمين الشريف العادل .. أصبح هؤلاء الأبناء هم سبب تعاستنا الآن ، فقد تلفتوا حولهم فى الجامعة وفى الحى الذى يقيمون فيه وفى النادى .. فاكتشفوا انهم محرومون من كل مباحج الحياة ، وأن أصدقاءهم من أبناء الجيران الذين لم يكونوا شيئا مذكورا قد أصبحوا فجأة وبلا تدرج من الأثرياء .. والمال يجرى فى أيديهم جريان الماء فى الغدير وأصبح أبناء الجيران فجأة ينفقون المال بل يعثرونه فى الهواء باليمين وبالشمال بلا حساب .. فى ملابس مستوردة غالية الثمن البدلة منها بمرتب زوجى فى شهرين ينكب خلالها على المكتب كل ليلة حتى الفجر ينهك ذهنه وعقله وعينه وجسمه فى قراءة مئات الملفات وآلاف الصفحات ، او يعثرون نقودهم فى سهرات وحفلات لا سبب لها سوى الرغبة فى حرق الفلوس .

وأكثر من ذلك إن آباءهم جميعا إشتروا لهم سيارات فارهة .. ثمن السيارة منها يعجز عقلى عن عدّه إذا وضع امامى ، وليتهم فعلوا ذلك واكتفوا لكن هؤلاء الأبناء يباهون أبنائى بمأهم فيه من ثراء وسعة ويتعجبون من حالهم ! وفجأة إنقلبت سعادتنا إلى تعاسة .. فقد بدأ ابنائى يطالبون أباهم بأن يكونوا مثل اصدقائهم .. فاذا حدثتهم عن الرضا والمركز الاجتماعى والشرف

والاحترام ، قالوا له ان كل ذلك لا يصمد لشراء فستان لائق باحدى بناتي لتذهب به الى الجامعة ! وان آباء بعض زملائهم من غير تجار الانفتاح يعملون اعمالا اضافية بعد الظهر ويكسبون المال لكي يوفروا لابنائهم الحياة الكريمة ، فيسألهم زوجي : وماذا يمكن ان يعمل قاض من اعمال اضافية وذلك مخالف للقانون ولا يرضاه ضميره ، فيرد ابناؤى : يستطيع ان يعمل « سرا » وخذ بالك من كلمة سرا هذه - فى مكتب احد كبار المحامين بعد الظهر فيحرر له المذكرات القانونية ويتقاضى الأجر العالى . فيتعجب زوجي من تفكير الأبناء ويعتذر لهم بان هذا التصرف ممنوع قانونا واخلاقيا ، وانه اذا كان يطبق القانون على من يخالفونه فأولى به الا يخالفه ، فلا يقنعهم ذلك منه .

وباختصار يا سيدى فان سعادتنا التى بناها فى ٢٥ سنة من الكفاح تهدم الآن على رؤوسنا من المناقشات اليومية فى هذا الموضوع الذى سئمناه والذي يؤلمنى ويؤلم زوجي غاية الألم ، وقد وصل الامر الى تمرد الابناء على أبيهم .. الذى أصبح يعانى من الآم نفسية رهبة ، فأواسيه وأخفف عنه بان ذلك هو حال الشباب فى كل زمان .. وأنهم متعجلون لتحقيق كل شئ فيز رأسه موافقا ، لكنى أسمع بعد ذلك يركى فى صلاته ويتهدج صوته وهو يدعو لابنائه بالهداية .. وأحيانا أسمع وهو يدعو على نفسه وأبنائه ويتمنى لو لم يكن له أبناء ، وأنا مشفقة على زوجي من أن يبتز إيمانه أو يفقد وقاره وهذوءه اللذين يتميز بهما ، واخشى ان يؤدي تطلع ابناؤى الى رفاقهم من ابناء الطبقة الجديدة الى أن يقعوا فى الهاوية أو يتجهوا الى طريق الخطأ الذى كافحت مع زوجي لإبعادهم عنه بالتربية السليمة والإرشاد والتقويم .

ولا تعتقد يا سيدى اننى كنت سلبية فى هذه المعركة التى تهدد اسرتى وسعادتى ..

.. فقد وقفت الى جانب زوجى فى موقفه .. وسأندته وكثيرا ما نصحت
 أبناى فى غيابه بأن يقدرُوا كفاحه وتعبه وشقاءه وان يقدرُوا له أمانته
 وشرفه .. فكان كلامى لا يعجبهم .. وأحيانا وصلت حدة المناقشات معهم
 الى الرد على بجدة وفظاظة .. واخلفيت كل ذلك عن زوجى لكيلا تزداد
 تعاسته ولقد ترددت ان اكتب اليك عن هذه المشكلة لحساسيتها الشديدة
 بالنسبة لزوجى ووضعه ومركزه .. لكنى استخرت الله وقررت ان اكتب
 لك عنها لانها ليست مشكلة زوجى وحده وانما مشكلة كل الشرفاء من
 العاملين فى هذا المجتمع الذى هبت عليه عواصف الانفتاح فاقطعت الكثير
 والكثير من القيم وزلزلت كثيرا من الاوضاع .. اننى اكتب اليك لاسألك
 ماذا أفعل .. ماذا يفعل زوجى فى وجه هذه العاصفة ؟ .



ولكتابة هذه الرسالة اقول سأقول لك يا سيدى .. أو « يا سيدى » بمعنى
 أصح لأنى أحس من أسلوب هذه الرسالة « القضاءى » ومن خطها
 « الرجالى » .. انك رب هذه الاسرة ولست « ربها على الأغلب » فككن
 من تكون .. لكنك بلا شك « تثير قضية هامة وحساسة أصبحت من أبرز
 مشكلات مجتمعا هذا العصر . وهى مشكلة التناقض الازلى بين « جريان
 المال كما يجرى الماء فى الغدير » فى أيدي البعض ممن قد لا يكونون من
 أصحاب العقول والمراكز الاجتماعية والمراكز العلمية ، وبين « شحها
 كقطرات الماء فى الأدوار العليا » بين أيدي آخرين وقد يكونون من « أهل
 القمة » بمقاييس المجتمع السليمة فى المستوى العلمى والاجتماعى والثقافى وهى
 قضية قديمة جدا شغلت أصحاب العقول منذ قديم الزمان .. لكنها اتخذت
 فى مجتمعا وخلال السنوات الطويلة شكلا فجأ واستفزازيا بسبب الممارسات
 الخاطئة لبعض أو لمعظم أبناء الطبقة الجديدة فى بلادنا . ففي العصر العباسى
 قال المتنبى عن نفس هذه القضية :

لو كانت الأرزاق تجري على الحجا

هلكن إذن من جهلن البهائم

أى لو كانت الحظوظ والأرزاق تقسم بين الناس حسب نصيب كل فرد من « الحجا » أى العقل والعلم والثقافة والمكانة المرموقة أو خطورة المناصب واسهامها في خدمة الآخرين ، لو كانت الأرزاق تجري على هذه « الاسباب » لما وجدت « البهائم » بالفعل قوت يومها ! فلا غرابة في ذلك لأن الطريقتين لا يلتقيان في الحياة غالبا .. لكن الخطير والغريب فعلا هو ما شهده مجتمعنا خلال السنوات الأخيرة من تغيرات اساسية في مفاهيمه هي التي جرّت علينا كل هذه الكوارث فحتى سنوات قليلة كان المجتمع يعرف ويقدر للآخرين شرف العمل وشرف المكانة والشخصية والخلق القويم ، فهب عليه اعصار مدمر لا يعترف لاحد بشيء الا « بشرف » المال وحده مع تحفظ على عبارة « شرف المال » هذه ! فلا شرف في رأبي لمن لا يملك من كل المقومات الخلقية والدينية والعلمية والاجتماعية .. سوى المال . فأى شرف « لزكية » متنفخة بالمال ؟ اليس في النهاية زكية مصنوعة من الخيش ؟ .

ووسط هذا الاعصار المدمر تحطم المثل الأعلى لدى قطاعات عريضة من الشباب وهم يرون أن كل المقومات الأخرى لا تقدم لأصحابها سوى قطرات شحيحة لا تكفى لصنع الحياة الكريمة فضلا عن التمتع « بمباهجها » وهم ايضا يرون هذا السباق الرهيب لجمع المال « ورشه » في الهواء كما ترش معطرات الجو في الغرف المغلقة .. لكن ذلك أبدا لا يبرر أن يقسو الابناء على الآباء وان يحملوهم مسئولية حرمانهم مما في أيدي اللاهين العائشين . وابناؤك يا سيدى قساة غلاظ القلوب .. فما أقسى ان يُشعر الابناء آباءهم بعجزهم وفشلهم في الحياة لأنهم غير قادرين على تحقيق بعض مطالب الحياة الصعبة . وويل للآباء من هذا الاحساس المؤلم حين يحثهم من جانب من أفنوا العمر في رعايتهم وتثنتهم وأمضوا الليل ساهرين ليوفروا لهم الرزق

الحلال قدر الجهد وقدر الاستطاعة فان قصرت ايديهم عما لا طاقة لهم به .. فلا جرم عليهم وما هم بملومين . ومن واجب أعزائنا أن يخففوا عنا لا ان يضاعفوا من الآثما ، ومن واجب احبائنا أن يشدوا من أزرنا لكي نبقي صامدين في وجه الاغراءات وتداءات الانحراف والشر لا ان يضعفوا من مقاومتنا لكي نحيد عن الطريق وننجرف الى ما انجرف اليه البعض فتصبح على ما فعلنا نادمين بعد ان نفقد احرامنا لانفسنا قبل ان نفقد احترام الآخرين لنا . والى اعجب لأبائك الذين يحضونك على مخالفة القانون لكي يجدوا بعض ما يريدون من أسباب الحياة هل تختلف « وسواسهم » هذه عن وسوس الشيطان حين يزين للانسان الخطيئة .. أليست مقولة « ان الجميع يفعلون هكذا » هي حديث النفس الأمارة بالسوء حين تضعف امام الخطأ والانحراف ؟ ثم أين هم هؤلاء الجميع ؟ هل نحن حقا أمة من اللصوص المتحرفين والمرتشين واختلسين والخطاة ؟ اذا كنا كذلك جدلا - وهذا ما لم يكن ولن يكون الى أبد الابدين ، فلم تعاني هذه الاكثية الصامتة التي تكسب رزقها بشق الانفس وتفر نفورا طبيعيا وغريزيا من الحرام وتخشاه ؟ .

إنهم يطالبونك بمخالفة القانون وبالعمل سرا فيما يتعارض مع شرف وظيفتك وتقاليدها .. فلم لا تطالبهم أنت بالعمل الى جانب الدراسة ليوفروا لانفسهم ما يحتاجونه من كإليات ، كما يفعل ملايين الشباب في كل المجتمعات ؟ ولماذا يكتفون هم بالشكوى والأتين .. وإشعارك بالعجز لقصر يدك عن تلبية بعض مطالبهم ؟ .

أليست هذه كارثة أخلاقية جديدة مئينا بها الى جانب كارثة انقلاب الهرم الإجتماعي بعد ظهور الطبقة الجديدة التي افسدت الحياة وافسدت القيم في مجتمعا ، لقد اصبحت إحدى مأسينا الآن ان « أهل القمة » في مجتمعا قد أصبحوا يشعرون بالاحباط والقرمية واللاجدوى أمام « اهل التخمة » ..

وامام اسلوب حياتهم المدمر الذى يهز قيم الشباب .. ويطلق براكين السخط
فيهم .. ومجتمعنا بالتأكيد فى حاجة الى نظرة شاملة تعالج هذا الخلل الخطير ،
وتداوى أسبابه ، وتعيد للقيم والفضائل مكانتها على رأس السلم الاجتماعى
كما كانت حتى وقت قريب .. والأسباب معروفة .. والوسائل أيضا معروفة
فلا جديد إذن فى هذا الحديث ولا طائل تحته ! .

العقاب

« أكتب إليك هذه الرسالة وأنا في قمة اليأس والكُره الشديد لنفسي ..
فأنا يا سيدى أمثل حالة من الحالات العجيبة التى تستقبلها فى بريدك ..
وأرجو أن يتسع لى صدرك كما يتسع لأصحاب هذه الحالات .. وبداية اقول
إننى أكتب إليك لا لأشكو ظلما وقع على من أحد ولا لأشكو إليك غدر
أحد بى .. وإنما أكتب اليك لأشكو إليك نفسى التى تُسبب لى الشقاء
والمعاناة وتكاد تحطمنى ! فأنا يا سيدى ممن يقول عنهم الناس أن كلامهم
مثل « الدبش » يتساقط على الآخرين فيصيبهم ويجرحهم ويُسيل دماءهم كما
تفعل الحجارة إذا سقطت فوق رأس انسان من عل ، فأنا أعامل الناس بسوء
وجفاء .. وبسبب هذه المعاملة وقلة ذوق معهم إبتعد عني الناس وأصبحت
وحيدا شريدا يتجنبني الاصدقاء والاهل ! .

وأنا سريع الغضب أغضب لأتفه الاشياء فأثور ثورة عارمة وأنهار على
الضحايا بالألفاظ الفظيعة ، ثم بعد أن أهدأ أحاول أن اجد سببا مقنعا لما
حدث .. فلا أجد ! .

فمثلا خلال العام الدراسى إختلفت مع زميلة لى فى الرأى ، فانفجرت
فيها فجأة وَسَبَّيْتُهَا وأهنتها واتهمتها بأسوأ الإتهامات ففوجئت المسكينة بما
حدث وإنهارت وبكت بينا أنا مستمر فى هجومى العتري عليها بلا أى
مراعاة لبكائها ولا لصيحات الإحتجاج من زملائى ، وبالطبع فلقد تجنبنى
الجميع بعد ذلك وأصبحت أدخل الى المحاضرة وحيدا ذليلاً واضعاً وجهى
فى الأرض واخرج منها على نفس الحال .

وحدث بعد أن تجنبنى الزملاء والاصدقاء أن كنت جالسا وحيدا فى
الحديقة المقابلة للجامعة فطلب منى الجنائنى بأدب أن أبتعد قليلا لكى يروى

الزرع في نفس المكان . فاذا بي أنفجر فيه بالسباب واللعنات شوطاً طويلاً
قبل ان أهدأ بعدها وأنصرف مضيقاً .

ثم جاءت بعد ذلك الإجازة الدراسية في الصيف فتعذبت فيها عذاباً فظيماً
لأن علاقتي مقطوعة مع أهلي وأصدقائي بسبب طول لسالي هذا . وطوال
أيام الاجازة كنت أستيقظ في الظهر وأخرج من البيت دون أن يهم بي أحد
أو يسألني أين أنت ذاهب أو هل تريد شيئاً ، فأتجه الى الحديقة العامة القريبة
من سكني وأظل جالساً وحيداً فيها أحاول ان اعرف لماذا أنا « أبيض » هكذا
بلا جدوى ! وأقرر أن أغير من نفسي .. وأتمسك بذلك لمدة أيام ثم ارجع
ثانية لان الطبع غلاب ! .

إنني أمرٌ بحالة شديدة من اليأس والإكتئاب والضيق والحزن الشديد
! أستطيع أن أصفها لك .. وأطلب منك حل مشكلتي لكي يتصلح حالي ..
(شكراً جزيلاً !)



ولكاتب هذه الرسالة اقول :

يا سيدى إن أباطرة وملوك وحكماء الشرق والغرب جميعاً لا يستطيعون
حل مشكلتك لسبب بسيط هو أن حلّها معلق بطرف لسانك .. ولا يستطيع
أحد مهما فعل ان ينطق نيابة عنك بما يجمع بينك وبين الناس .. بدلاً من
أن يفرق بينك وبينهم كما تفعل الآن .. ثم لأنك تعاني من داء عضال هو
الحماقة . وقدما قالوا :
لكل داء دواء يُسْتَلْبُ به

إلا الحماقة أعيت من دوايها !

وقبل أن أستطرد في إبداء رأيي أرجو الا تصعد النار الى رأسك على
الفور قبل أن تكمل قراءة هذا الكلام فتحفنى على البعد بباقة مخفارة من

قذائفك التى تطلقها فتسائر فى الجو كالقنابل العنقودية مفرقة الناس من حولك ..

فمن عادة الحمقى ان يسبق غَضَبُهُمْ حِلْمُهُمْ .. وأن تسبق إنفعالاتهم تفكيرهم لذلك أدعوك الى الهدوء لتسمع منى ما اقول « وانت وتريتك بعد ذلك » ! اننى أقول لك يا سيدى أن خير الخلق أجمعين وهو من أدبه رُبُهُ فأحسن تأديبه قد قال له الحق سبحانه : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » فكيف تنتظر من الناس ألا ينفضوا من حولك أنت وأنت معهم على هذه الحال التى تصفها بنفسك ؟ .

إن انصراف الناس عنك هو العقاب الطبيعى لك من جانبهم ، فليس كل الناس على استعداد لأن ينازلوك فى ميدانك ، وعقاب سليط اللسان .. غليظ الطبع والقلب هو إعتزاله والابتعاد عنه ، لذلك فانت وحيد لا يَهْمُ أمرك أحداً حتى أهلِكَ ومن كانوا اصدقاءك وسوف تبقى كذلك الى إن تغير ما بنفسك ، والى أن تعلم كيف تكظم غيظك وكيف تكف أذاك عن الآخرين .. بل وكيف تعطيهم من طرف اللسان حلاوة تجمع قلوبهم حولك بدلاً من أن تفرقها .

فأمك غضبك يا صديقى .. ثمك نفسك .. ومن ملك نفسه فقد ملك الآخرين بدمائه ورقّة طباعه ولين عريكته . وإعلم ان الكلمة الطيبة صدقة وأنها تأسر القلوب وتُدفع الاذى وتُسَدُّ أبواب الشر وتفتح أحيانا ابواب النعم . واذا صدق ظنى فإن اندفاعاتك وطلقاتك هذه قد يكون لها بعض الاسباب البيولوجية التى يفلح العلاج الطبى بالمهدئات والعقاقير فى التخفيف منها ، فاعرض نفسك على طبيب للأمراض العصبية يعاونك فى تجنب مثل هذه الانفجارات الضارة ..

أما دماثة الطبع ورقة الحديث مع الآخرين وتعلّم مراعاة شعورهم وإحترامهم فلن يفيدك فيها طيب ولا مُعلّم لأنك أنت طيب نفسك ولا طيب لك سواك ! .

هذا هو رأيي .. أرجو الا يفضبك .. وعموما ومن باب الاحتياط أقول لك : الله يسمعك ! .



بنت الباشا

أنا تلميذة بالصف الأول الثانوى كان جدى لأمى باشا .. أى باشا سابق
ثم تغيرت الدنيا وضاعت الأرض وضاع العز منذ سنوات طويلة ولم أر منه
شيئا لكنى سمعت عنه من أمى التى شهدت طفولتها بقاءه ، وقد ضاع المال
ونزلت أمى إلى ميدان الحياة وعملت موظفة كتابية فى إحدى المصالح
الحكومية وتزوجت من أبى وأنجبتا ونشأنا بين أحضان أبوين صالحين يعملان
كل جهدهما لتربيتنا وتعليمنا وإسعادنا وحياتنا تمضى عادية .. نعالى من
متاعب الحياة كغيرنا لكن يظل حياتنا دائما الحب والتعاطف الأسرى ونحيا
تحت رعاية أبى الرجل الفاضل وأمى السيدة المؤمنة التى ربنا تربية بنت باشا
سابق لأبنائها والحمد لله على كل حال ، تسألنى طبعاً ماذا أريد .. ولماذا
أكتب لك ؟ إلى أكتب لك لاني أريدك أن توجه رسالة فى بريد الجمعة إلى
إمى لأنها تقرأه كل اسبوع ، والحكاية اننى كنت نائمة ليلة عيد الفطر المبارك
فصحوته من نومى قرب الفجر على صوت بكاء .. ونشيج فنهضت مفروعة
ثم تسللت من غرفة النوم على أطراف أصابعى لأعرف إيه الحكاية .. فرأيت
أمى وراء الباب جالسة على الأرض فى الصلاة على سجادة الصلاة رافعة
وجهها ويديها إلى أعلى تكلم الله سبحانه وتعالى وتقول له : يارب .. يامن
لاظلم عنده الخلاق .. لقد كُرمتى بنجاح أولادى فهل ترضى بألا يفرحوا
فى العيد إنهم فى حاجة للملابس جديدة .. لكن العين بصيرة واليد قصيرة وانت
اعلم بحالنا « يارب »

سمعت كلماتها إلى الله وانسابت دموعى وخشيت أن ترائى فتخجل منى
ويزداد همها ، فعدت إلى فراشى وقلبي حزين وبقيت فى الفراش بلا نوم
حتى الصباح ، وفى الصباح نهضنا من فراشنا وتبادلنا التهتهة بالعيد .. وأنا

ألمح في عينيها نظرة منكسرة .. لذلك فاني أريد منك أن تكتب إليها رسالة تقول لها فيها إننا لم نطلب منها ملابس جديدة في العيد .. ولم نطلب منها حتى العيديات وإننا نعرف حالنا كويس وإن دخلنا يدوب يكفينا لآخر الشهر .. وقل لها كتر خيرها هي وبابا انهم يعلمونا ويصرفوا علينا ويحبونا ويتعبوا كثير علشان يسعدونا » .. وارجوك تقول لها كأن ان احنا راضيين بحياتنا والحمد لله .. وان مهما حصل فهي في نظرنا بنت الباشا .. وحفضل كدة على طول .. وشكرا لك » .



« وأتوقف طويلا أمام هذه الرسالة .. أتأمل في خيالي صورة الأم الجلاسة على سجادة الصلاة تبكي وتناجي ربها في ليلة العيد وإينتها ترقبها خفية .. ثم استبعد كلمات الابنه المعبرة ببساطة وصدق عن حبها لهذه الام الطيبة .. وأشعر أني عاجز عن توجيه الرسالة التي تطلبها مني الابنه الى الأم فأني مهما استجمعت الكلمات لن أستطيع ان انسج كلمة ارق ولا اصدق مما كتبت هي عنها واليها .. لكنني فقط أقول للأم : أن من نشأت أبناءها وسط متاعب الحياة وظروفها الخاصة على هذا الخلق الرضئ الطيب القانع .. هي أم عظيمة بلا جدال .. فهنيئا لك ياسيدي حب واحترام أبنائك لك وليرج الله كفاحك مع زوجك بنجاح الأبناء دائما واستكمال تربيتهم وتعليمهم .. فلا شك انك سوف تقدمين للمجتمع عناصر فاضلة تضيف إلى الحياة ولا تنقص منها وإذا كنت قد فقدت العز القديم .. فلقد عوضك الله عنه خيرا بأبناء صالحين محبين عطوفين .. وهو فضل لو تعلمون عظيم !

رسالة في الفجر

أكتب اليك هذه الرسالة وقد اقرب الفجر وأنا ساهر قلق معذب لا أعرف كيف اتصرف ولا كيف أحتمل الحياة بعد الآن . فأنا شاب أحمل شهادة متوسطة ومتزوج من زوجة طيبة تحبني وأحبها كانت موظفة باحدى الشركات بمرتب صغير وكنت وقتها موظفا في شركة أخرى بمرتب مماثل ، وكنا نعيش في سعادة رغم ضيق الحال لكن مشكلتنا الأساسية كانت إننا لا نملك شقة بل نسكن في غرفة مفروشة أحيانا وفي شقة مفروشة صغيرة أحيانا أخرى لذلك يلتهم الإيجار دائما معظم ما نكسبه ، ورغم ذلك كنا سعداء نفتسم الرغبة ونشتري الأشياء الضرورية من الملابس الرخيصة والالتزامات معاً ومضت حياتنا سعيدة رغم كل شيء حتى جاء يوم التفتت فيه عن طريق أحد اصدقائي بشخص صاحب اعمال شكا له صديقي مما أعانيه انا وزوجتي من متاعب الحياة فهذا التأثير على وجهه وعرض على أن أعمل في منشأة يملكها عملا إضافيا بعد الظهر فرحبت وشكرته كثيرا وبدأت العمل معه ، كان عملا حسانيا بسيطا اقبلت عليه بإخلاص فرضى عني وعن جهدي ثم بعد فترة وبعد تزايد اعتماده على عرضي على أن أستقبل من عملي بالقطاع العام وأن اعمل معه بمرتب ١٥٠ جنيها وأن تستقبل زوجتي وتعمل معي بـ ٦٠ جنيها ولم تتردد طويلا واستقلنا بالفعل وعملنا معه وبدأ الجحيم الذي مازلت أعيش فيه حتى الان . فلقد رأيت من الرجل صورة أخرى لم تتح لي الظروف أن أراها من قبل . ودعني أحدثك قليلا عن صاحب العمل .. لقد بدأ حياته موزعا للسجائر بالتريكل ، يطوف بالشوارع لبيع السجائر للأكشاك ثم جاءت أزمة سجائر « البلمونت » في الستينات ، وكانت السجارة الأولى في مصر فتاجر فيها في السوق السوداء

.. واقول لكاتب هذه الرسالة : رأيي ببساطة انك لست رجلا . ولو كنت كذلك لما قبلت هذه الإهانات اليومية من حيوان جاهل مريض النفس يعانى من مركب نقص تجاهك وتجاه كل من يحس بجهله أمامهم .. ففيم تفكر أيها الرجل ؟ إنك شاب وفي مقبل العمر وفي أتم صحة لكنك تعانى كل يوم من الإهانات والتجريح بلا سبب ويحترق دمك كل يوم عشرات المرات تسألنى ماذا افعل ؟ كنت أظن انك لست في حاجة الى مشورة أحد لتختار انقاذ ما بقى من كرامتك .. وما بقى من رجولتك أمام زوجتك وتنجو بنفسك وبها من هذا المستقع ؟ .

بل ولماذا سمحت لهذا الوغد بان يتناول عليك من البداية .. ولماذا لم ترد عليه الاهانة من أول يوم .. بل لماذا لم تصفحه حين أهانك اول مرة امام زوجتك إرضاء لعقده ونفسه المريضة ولو تحملت أية نتائج تترتب على ذلك ؟ . صدقنى إنك لو فعلت لما خسرت الكثير بل لكسبت احرام زوجتك التى أحس انها اكثر نخوة منك ، لقد فهمت من رسالتك ومما لم أنشره منها انك قد اكتسبت خبرة طيبة في هذا المجال من العمل .. اذن فإنك تستطيع ان تجد عملا آخر فيه ولو بمرتب اقل .. ولو في مدينة اخرى ، لكنك قبلت الهوان .. ومن بين يسهل الهوان عليه ! . فانج بنفسك وابحث عن عمل آخر ، فأرض الله واسعة ولا تستجيب لطلب هذا الحيوان لو أرسل اليك .. فهو إن فعل فسيفعل لكن يفرغ فيك وفي زوجتك كل عقده لأنه يعلم أنكما قد ارتبطتما به الى الابد بعد ترك الوظيفة ويشعر باحتياجكما اليه اكثر من غير كما لذلك فهو يختصكما بالقدر الأكبر من صفاته وسوقته وسوء تربيته ، وهذه العوامل كلها تتفاعل داخله مع ثراء فاحش مفاجيء أطاح بعقله فأثمرت هذه الشخصية المريضة ، فلا تنتظر منه أن يتغير أو أن يصبح إنسانا مهذبا في يوم من الأيام فالثراء وحده لا يصنع انسانا مهذبا

وانما تصنعه التربية السليمة والقيم الدينية والخلقية وصاحبك والحمد لله مجرد من كل ذلك ! .

ثم أين هو هذا الدين الذى تحكى عنه .. وأى تدين هذا الذى يسمح لصاحبه بإمتحان كرامة انسان وايدائه كل يوم والرسول عليه الصلاة والسلام قد استعاذ بالله من ثلاثة هي : ذل الحاجة وغلبة الدين وقهر الرجال ، والرجل يستغل فيك بوحشية ذل الحاجة ويقهر فيك الرجل .. ويتلذذ بتعذيبك بسادية مريضة واضحة ، انه قاتل يا صديقى وحسابه مع الله عسير عن جرائمه ولكن إلى أن يسوى الله معه حسابه وهو لا بد فاعل إن شاء الله انج نفسك من هذا الجحيم وسوف يوفقك الله إلى رزق اخر غير مغموس في الهوان كهذا الرزق الذى تظعمه الآن ! .

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
إهداء	٣	فتاة من قاع المدينة	١٠٢
هذا الكتاب	٥	رجل الأسرة	١٠٦
دائرة الإنتقام	٩	عمارة الأحلام	١١٣
فوق السحاب	١٥	أدب الحياة	١١٩
إنتصار الحياة	١٩	الوجه الآخر	١٢٥
الإختيار	٢٢	شيء من الرومانسية	١٣٣
الزهور السوداء	٢٦	نهاية القصة	١٣٨
أيام السعادة	٣١	مجلس العائلة	١٤٥
طائر الحب والسعادة	٣٩	الخيوط الرفيع	١٥١
الطريد	٤٣	السيمفونية الناقصة	١٥٧
وسط الزحام	٥٠	أسرة من الحى الشرقى	١٦١
صورة زفاف	٥٧	بلا عاطفة	١٦٧
حد السيف	٦٢	نداء العقل	١٧٢
الجريمة والعقاب	٦٧	أشياء لاتباع	١٧٩
الندم	٧٢	رسالة من حجرة الصالون ...	١٨٤
صاحب الجلالة	٧٥	أهل القمة	١٨٨
شبح من الماضي	٧٩	العقاب	١٩٥
رسالة من الباب الخلفى	٨٤	بنت الباشا	٢٠٠
لامؤاخذه	٩٠	رسالة فى الفجر	٢٠٢
رجل مهم	٩٤		

المهتدين

مطبعة نوزة مصر

